الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 20 أوت 1955 -سكيكدة-
كلية الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأبعادُ التّربويّةُ لأفعالِ الكلامِ في سورتي الإسراءِ والأنفال.

أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه (ل. م. د) في
تخصص: اللسانيات العربيّة

إعداد الطالبة: قُدّوس كنزة
تحت إشراف الأستاذ: أ.د. عبود حميودة

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
سفيان بوعنينبة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سكيكدة	رئيسًا
عبود حميودة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سكيكدة	مشرفًا ومقررًا
عبد السلام جغدير	أستاذ التعليم العالي	جامعة سكيكدة	ممتحنًا
طارق بومود	أستاذ محاضر أ	جامعة سكيكدة	ممتحنًا
زين الدين بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	ممتحنًا
محمد رضا بركاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الطارف	ممتحنًا

السنة الجامعيّة: 2024- 2025

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

بداية أحمد الله سبحانه وتعالى حمدًا يليق بجلال وجه وعظيم سُلطانه على تمام نعمه وآلائه ومنها إتمام هذا البحث، الذي جعلني أكثر اطلاعًا على كتاب الله ووقوفًا عند آياته تدبرًا وفهمًا وتفقهًا.

ثمّ بعد ذلك أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور عبود حميودة الذي لم يتوقف لحظةً في تقديم التوجيهات والنصائح فجازاه الله عنّي خير الجزاء.

وأتقدّم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى جميع أساتذة اللغة العربيّة وآدابها بجامعة سكيكدة قسم الدراسات اللغويّة وأخص بالذكر رئيس فرقة تكوين دكتوراه (2021) أستاذ التعليم العالي البروفسور سفيان بوعنينبة على دعمه المستمر وعلمه الذي أفاضه علينا الذي أسهم في النضج الفكريّ والعلميّ لإعداد هذا البحث.

وكذلك أشكر كلّ زميلاتي في مرحلة الدكتوراه لما أبدوه من طيب المعاملة والتعاون العلميّ والأخويّ، كلّ باسمها ولقبها، أسأل الله تعالى أن يوفقهنّ جميعًا للذي يحبه ويرضاه.

ولن أنسَى جميع الأصدقاء وكلّ المحبين ومعلّماتي في المدرسة القرآنية (الحروش) الذين لم أحرم سؤالهم ودعائهم، وفقهم الله جميعًا إلى كلّ خير ورزقهم سعادة الدارين إن شاء الله.

كنزة قُدّوس

إهداء

إلى أميّ الأميّة الطاهرة النقيّة...

صاحبة الفضل الأوّل عليَّ بعد الله تعالى

إلى أبي الرّجل المكافح الصبور ....

أهدي هذا العمل المتواضع مع دعائي لهما بتمام الصحة والعافيّة...

إلى إخوتي الأعزاء...احترامًا وحُبًّا

إلى زوجي رفيقي إلى الجنّة...

مقدّمة

مقدِّمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يضلل الله فلا هادي له ومن يهدي فلا مضل له، وصلّ اللهم وسلم على محمد وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين.

أماّ بعدُ:

فإنَّ القرآن الكريم ليس مجرّد نصّ تعبّدي، بل هو خطاب ربّاني متكامل، يتوجّه إلى عقل الإنسان وقلبه وسلوكه، ويخاطب فيه الكيان الإنساني بكلّ أبعاده .ومن بين أبرز الخصائص التي يتميّز بها هذا الخطاب أنه خطاب لغوي تأثيري بامتياز، يُنتج الأثر، ويوجّه السلوك، ويهذّب النفس، ويبني الفكر، وهو بذلك يمثّل أرضًا خصبةً لتحليل أفعال الكلام واستنباط الأبعاد التربوية الكامنة فيها، ومنه تبرز أهمية موضوعنا في الجمع بين مبحثين دقيقين :نظرية أفعال الكلام بوصفها آلية من آليات اللسانيات التداولية التي تُعنى بتحليل اللغة في بعدها الوظيفي والتأثيري، والوظيفة التربوية للخطاب القرآني، التي تُعدّ من أهم الأبعاد التي تُشكّل هوية هذا النص الإلهي؛ فتكمن أهميّة هذاالبحث في كونه يحاول الكشف عن كيفيّة تحقّق الأثر التربوي في أفعال الكلام في الخطاب القرآني، من خلال تتبّع أشكال التوجيه والإخبار والوعد والنهي والثناء وغيرها، وما ينتج عنها من بناء نفسي وفكري وسلوكي للفرد والمجتمع ويندرج هذا الإسهام ضمن ما يعرف بالدراسات البينيّة التي تسعى للإجابة عن إشكالية واحدة من خلال الدمج بين تخصصين مختلفين، فجاءت الدراسة معنونة بالأبعاد التّربويّة لأفعال الكلام في سورتي الإسراء والأنفال، ويرجع سبب اختيارنا لسورتي الإسراء والأنفال كنموذجين تطبيقين يمثلان مرحلتين مختلفتين من مراحل التنزيل، الأولى مكية والثانية مدنية لبيان تنوع أفعال الكلام في سياق الخطاب المكي والمدنيوما ينتج عنه من أغراض تربويّة مختلفة...

وقد عثرنا على عدة دراسات تتقاطع وموضوع بحثنا؛ منها من ركّز على التحليل التداولي دون استحضار البعد التربوي، منها أطروحة الماجستير لحليمة بوريش بعنوان أفعال الكلام في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجا، و بحث بعنوان الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي

وقد اعتمدت هذه الدراسة على الجانب الوظيفي للغة دون التوسّع في تأثيرها النفسي والسلوكي . كما عُنيت دراسات أخرى بالأبعاد التربوية في القرآن الكريم، لكنها لم تعتمد المنهج التداولي، مثل :"التوجيه التربوي في القرآن الكريم، دراسة وصفية" دراسة لمحمد حسن محمد عبد الرحمن، "والقيم التربوية في المرحلة المكية" لعبد الله بن أحمد بن عبد الله، دون ربطها بتحليل أفعال الكلام.

.وعليه، تسعى هذه الأطروحة إلى سدّ فجوة علميّة من خلال الربط بين: نظرية أفعال الكلام، بوصفها مدخلًا لسانيا، والخطاب القرآني التربوي، بوصفه مجالًا دينيا شرعيّا.

وانطلاقًا مما سبق، تتبلور إشكالية البحث على السؤال المركزي الآتي :كيف يُسهم توظيف أفعال الكلام في سورتي الإسراء والأنفال في بناء منظومة تربوية متكاملة تخاطب الإنسان في فكره ونفسه وسلوكه؟ وينبثق عن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية، منها :ما أنواع أفعال الكلام التي تتكرّرت في السورتين؟ ما الأبعاد التربوية التي تحملها هذه الأفعال؟ كيف يمكن للفعل الكلامي الكلي أن يُنتج خطابًا متكاملًا يتجاوز الزمان والمكان؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة تمّ إعتماد المنهج التداولي، بوصفه الأنسب لتحليل النصوص من زاوية الأثر المقصود منها، والوظيفة التي تؤديها اللغة داخل السياق .كما استعانت بآلية الاستنباط في استخراج الأبعاد التربوية الكامنة في النص، اعتمادًا على تحليل أنواع الأفعال الكلامية، بناء على تصنيف سيرل (Searl) الخماسي :الإخباريات، التوجيهيات، الالتزاميات، التعبيريات، الإعلانيّات.

وارتكزت هذه الدراسة على جملة من المراجع اللّسانيّة والقرآنية والتربوية، منها:: نظرية الفعل الكلام لعبد الله هشام خليفة، وكتاب دائرة الأعمال اللغويّة لشكري المبخوت، ومن كتب التفسير: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وكتاب في ظلال القرآن للسيّد قطب، إضافة إلى كتاب في التربية الإسلامية للمؤلف نفسه، وكتاب فلسفة التربية في الإسلام لعبد الرحمن النحلاوي ...

وقد توزّع البحث على مقدّمة، ومدخل نظريّ بعنوان مفاهيم تأسيسية لمقولة العنوان ومواضيع البحث الرئيسة وقد تضمن أربعة عناصر أساسية:

1. مفهوم مصطلح الأبعاد التربويّة وبيان لفروعه الفكريّة والنفسيّة والسلوكيّة.
2. عرض مفهوم التداولية في المجالين الغربيّ والعربيّ وذلك بوصفها الإطار اللساني الذي تنتمي إليه نظريّة أفعال الكلام.
3. شرحُ نظريةِ أفعال الكلام، من حيث النشأة والتطوّر والمفهوم...
4. بيان إشكالية مقاربة الخطاب القرآني وفق آليات المنهج التداولي، وإبراز إمكانية ذلك مع المحافظة على خصوصيته مقارنة بالنصوص العادية.

وأعقب المدخلُ النظريّ خمسة فطول تطبيقية، تناول كل فصل نوعا من أفعال الكلام حسب تقسيم (سيرل) في ضوء الأبعاد التربويّة الكامنةِ فيه؛ فجاء عناوينها على الترتيب الآتي:

أولا: الأبعاد التربوية للإخباريّات في سورتي الإسراء والأنفال

ثانيا: الأبعاد التربوية للطلبيّات في سورتي الإسراء والأنفال

ثالثا: الأبعاد التربوية للالتزاميّات في سورتي الإسراء والأنفال

رابعا: الأبعاد التربويّة للتعبيريّات في سورتي الإسراء والأنفال.

خامسًا: الأبعاد التربوية للإعلانيات في سورتي الإسراء والأنفال

وتلا هذه الفصول مبحث تكميلي بعنوان: الفعل الكلامي الكلي لسورتيّ الإسراء والأنفال وبعده التربويّ حيث عالجنا فيه كيفية تضافر كل الأفعال الكلامية في السورتين لتشكيل فعل كلامي كلي يُؤدي رسالة تربوية شاملة، تستهدف الفكر، وتهذّب النفس، وتضبط السلوك، ثم جاءت الخاتمة لتلخص أبرز النتائج وتقدم التوصيات.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات تمثلت خاصة في استنباط الأبعاد التربويّة الكامنة في أفعال الكلام في سورتي الإسراء والأنفال ، وذلك نظرًا لكون هذا الجانب يتجاوز تخصصنا اللساني ويتطلب استحضارًا لمفاهيم تربوية ودينية دقيقة.

وفي الختام نقول هذا هذا هو عملنا وهذا هو جهدنا ولا ندعي فيه الكلام فالكمال لله تعالى أمّا العقول البشرية فمن طبيعتها النقص والقصور، فإن وفقنا فهذا من عظيم كرم

الله تعالى ومنته علينا وإن أخطأنا فحسبنا أنا اجتهدنا وثابرنا سائلين المولى عزّ وجل أن يرزقنا علما نافعا لا باطل فيه.

المدخلُ النظريُّ:

مفاهيم تأسيسية، لمقولة العنوان ومواضيع البحث الرّئيسة.

أولًا: الأبعاد التّربويّة.

ثانيًا: اللسانيّات التداوليّة.

ثالثًا: نظريّة أفعال الكلام.

رابعًا: إشكاليّة مقاربة الخطاب القرآنيّ في ضوء آليّات اللسانيّات التّداوليّة.

أوّلًا_ الأبعاد التّربويّة:

إنّ تحديد المفاهيم والمصطلحات يُعدُّ من مستلزمات البحث العلميّ؛ فتحديدها بوابة العلم وطريق المعرفة، وانطلاقا من مقولة المصطلحات مفاتيح العلوم، ومفاتيح العلوم مصطلحاته نعرج لبيان أهمّ مفاهيم مصطلحات البحث.

1_مفهوم مصطلح الأبعاد:

أ_ لغة:

الأبعاد جمع مفرده البعد وقد ورد في معجم مختار الصحاح: «البعدُ ضدُ القرب وقد بعدَ بالضّم بُعدًا فهو (بعيدٌ) أي متباعدٌ و(أَبْعَدُ) غيره و(باعَدُ) و(بَعّدَّه) (تَبْعيدًا) ... »[1]، كما ورد في المعجم الوسيط أنّ «البعدُ: اتساع المدى ويقولون في الدعاء عليه: بُعدًا له: هلاكًا له، وقالوا إنّه لذو بُعْد، دو رأي عميق وجزْم»[2].

ونستنتج من خلال ما سبق أنّ البعد لغة مصطلح ضده القرب، والبعد يطلق على ما له اتساع وعمق، ويطلق أيضًا للدعاء بالهلاك، وعليه فإنّ الأبعاد هي كل له علاقة بعمق الموضوع واتساعه.

ب_ اصطلاحًا:

إنّ المقصود بالأبعاد جملة الأفكار والأسرار التي يمكن اكتشافها واستخراجها واستنباطها من فكرة مطروحة أو نظرية ما، ويعرّفها مقداد يالجن بأنّها: **الجوانب التي تبرز أطراف النظرية التربويّة الإسلاميّة ومعالمها المهمّة التي بها تتميز عن غيرها**[3].

إذًا فالأبعاد سواء في النظريّة التربوية الإسلامية أو في غيرها من النظريّات هي جملة الأمور التي تبرز جوانب الموضوع وأطرافه للإحاطة به وفهمه قصد الوصول إلى جوهره والمقصود به.

---

[1] _ أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، دار البشائر، دمشق، ط1، 1997، ص 37.

[2] _ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2005، ص23.

[3] _يُنظر: مقداد يالجن، معالم بناء نظرية التربيّة الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ط2، ج1، ص27.

والمراد **بالأبعاد** في بحثنا هذا هو استنباط الأسرار والمعاني والقيم التربويّة الكامنة خلف السور المختارة مدونةً للبحث.

2_ مفهوم التّربية:

أ_ لغة:

ورد مصطلح التربيّة في المعاجم العربيّة دالاً على ثلاثة أصول لغويّة وهي:

- الأصل الأول: (ر، ب،ا) «ربا الشيء يَرْبُو رُبُوًّا ورِباءً :زاد نَمَا وربَّ وأَربيْتُهُ: نمَّيتهُ»[1].
- الأصل الثاني: (ر، ب، ى) ربى يُربي على وزن خَفى يخفي، ومعناها نشأ وترعرع[2].
- الأصل الثالث: رَبَّ يربِّ على وزن مدَّ يمدُّ، بمعنى أصلحهُ وتولى أمره وساسه وقامَ عليهِ ورعاهُ[3].

ونستنتج من خلال ما سبق أنّ كلمة التربيّة في أصلها مأخوذة من الحرفين الأصليين (الراء) (والباء) وأنّ كل تلك المعاني اللغويّة تشترك في معنى النشوء والاعتناء بالشيء، والاهتمام به ورعايته والمحافظة عليه، حتى النمو والارتقاء.

ب_ اصطلاحًا:

يرى الكثير من الباحثين في مجال التربيّة والتّعليم بأنّه لا يوجد مفهوم جامعٌ مانعٌ لمصطلح التربية، وأنّ مفهومها غير محدد وذلك «بسبب تعقد العملية التربيوية من جانب وتأثرها

[1] _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ر با)، دار المعارف، القاهرة، (د،ط)، (د، ت)، ص 1572.

[2] _ يُنظر: علي أحمد مدكور، مناهج التربية أسسها وتطبيقها ، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، 2001، ص 29 .

[3] _يُنظر: عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط 25، 2007، ص16.

بالعادات، والتقاليد، والقيم، والديانات، والأعراف، والقيم من جانب آخر بالإضافة إلى أنّها عملية متغيرة بتغير الزمان والمكان... »[1].

وانطلاقًا مما سبق أخذنا تعريفًا حديثًا مبسطًا للتربيّة لمحمد عطية الأبراشي وهو تعريف يراعي فيه البعد التكويني المتعدد لشخصية الإنسان حيث قال بأن التربية هي: «إعداد المرء ليحيا حياة كاملة، ويعيش سعيدا، محبا لوطنه قويا في جسمه متكاملا في خلقه، ومنظما في تفكيره، رقيقا في شعوره، ماهرا في عمله، متعاونا مع غيره يحسن التعبير بقلمه ولسانه ويجيد العمل بيده»[2]، فمتى تمكنّ الإنسان من أن يحيا سعيدا متكاملا في خلقه وتفكيره متعاونا مع غيره محبا لوطنه... فذلك هو المقصود من مفهوم التربية. وفي بحثنا هذا سنركز حديثنا عن **التّربية الإسلاميّة** فما المقصود بها وما هي وسائلها؟

3_ مفهوم التربية الإسلاميّة:

يُعرّف عبد الرحمن نحلاوي (ت1405هـ) التربية الإسلاميّة بقوله: « إنّ التربية الإسلامية تمتاز عن سائر أشكال التربية الأخرى بخصائص ومميّزات مشتقة من خصائص الإسلام نفسه، فهي ربانية المصدر، ثابتة الأسس، موافقة للفطرة، شاملة شمول الإسلام معتدلة، متوازنة ... »[3]، فالتربية الإسلامية تستمد مبادئها من مقومات الإسلام، ومن ذلك فهي التربية الشاملة الكاملة في جميع أنواع التربية الأخرى.

ومن وسائل التربية في الإسلام نذكر ما يلي[4]:

أ_التّربيّة بالقدوة:

وأحسن قدوة جعلها الله سبحانه وتعالى للنّاس محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[1]، ولذلك كان رسول

---

[1] _عبد الرحمن بن حجر الغامدي، مدخل إلى التربية الإسلامية، دار الخارجي للنشر والتوزيع، الرّياض، 1985، ص 3.

[2]_الأبراشي، محمد عطية، روح التربية والتعليم، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة _مصر، 1998، ص 7.

[3]_ عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي، ص 81.

[4]_ يُنظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط2، ج1، ص 180.

الله أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل وكان مربيا وهاديا في سلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي يلقي به .

ب_التّربية بالموعظة:

حين توجد القدوة الصحيحة فإنّ الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس وتصبح دافعا من أعظم في تبربية النفوس، وعليه فالمقصود بالموعظة حسن إتباع القدوة بالتوجيهات التي تربي النفس والقرآن مليء بالموعظة ومنه قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرَا ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومَا مَّخۡذُولَا ٢٢۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴾[3].

ج_التّربية بالعقوبة:

التّربية بالعقوبة ليست في مقدمة طرائق التربية ، فقد يُستغنى عنها بالتربية بالموعظة والقدوة، فلا يحتاج المربي لاستخدام العقاب، لكن التّربية بالعقوبة ضرورية لاستقامة السلوك؛ فالتربية التي ترنو من اللطف والحنو تضر ضرارًا بالغا في تربية الأطفال، ومنه وجب استخدام تربية التخويف والتهديد والعقوبة، ومن صور التربية بالعقوبة في القرآن الكريم، التهديد بعدم رضا

[1]_ سورة الأحزاب، الآية: 21.

[2]_ سورة النساء، الآية: 58.

[3]_ سورة الإسراء، الآية: من 22 إلى 27.

الله ومنه قوله: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾[1].

ومن التهديد بعقاب الآخرة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[2].

د_التّربية بالقصّة:

يميل قارئ القصة بفطرته للتأثر بأحداثها ومجرياتها فتجد يقحم نفسه ومشاعره في أحداث القصة ويحاول تخيل نفسه في هذا الموقف أو ذاك عن وعي منه أو غير وعي، وقد أدرك الإسلام هذا وما للقصة من تأثير ساحر، فاستغل القصة لتكون من وسائل التربية والتقويم، ويضم هذه الوسيلة كل قصص الأنبياء، منها قصة آدم (عليه السلام) التي تعد من أهم قصص التوجيهي في القرآن، وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من عذاب...

هـ_ التّربية بالعادة:

وقد حاولنا في هذا البحث استنباط الأبعاد التربوية _في السور التي اخترناها مدونةً للبحث_ انطلاقا من وسائل التربية الإسلامية وآثرنا البدئ بالبعد الفكري الذي يساهم في تربية الفكر، ثمَّ ما ينتج عنه من بعد نفسيّ وبعدها ما ينتج عنه بعد سلوكيّ يغير تصرفات الفرد والمجتمع.

ونصل من خلال ما تمّ عرضه حول مفهوميّ الأبعاد والتّربية إلى أنّ المقصود بمصطلح **الأبعاد التربويّة** هو الوقوف عند الأسرار والمعاني المستنبطة من القرآن الكريم والتي تسعى إلى تربيّة الإنسان فكريًّا ونفسيًّا، وسلوكيًّا، ونورد فيما يلي مفهومًا للأبعاد التربويّة التي خصصناها بالبحث والتحليل.

[1]_ سورة الحديد، الآية: 16

[2]_ سورة الفرقان، الآية: 68_69.

1_ الأبعاد التربويّة الفكريّة:

أ_ مفهوم الفكر:

الفكر مصطلح مشتق من الفعل فكر: «الفَكْرُ والفِكرُ إعمال الخاطر في الشيء[...] والفكرة: كالفِكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى[...] ورجل فِكير...والتّفكر التأمل، والاسم الفِكرُ والفِكرةُ والمصدر الفَكر... »[1].

ويُستخدم مصطلح الفكر للدلالة على نتائج عمليات التفكير والتأمل العقلي التي يقوم بها الإنسان بوصفه كائنا عاقلا مفكرا[2]، كما يطلق «على عمل الذهن تدبرا وتأملاً في أي شيء من شؤون الحياة الدنيا أو الدين، وهو نشاط بشري أداؤه العقل، وثمراته الرأي والعلم والمعرفة»[3].

ب_مفهوم التربيّة الفكرية في القرآن الكريم:

يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بقدرته على التفكير والتدبر والتأمل وهذا الذي جعله «أهلا للتكليف بالعبادات، وتحمل مسؤولية الاختيار والإرادة»[4]، وقد حث القرآن الكريم ودعا إلى التفكر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ ﴾[5].

2_ الأبعاد التّربويّة النّفسيّة:

أ_ مفهوم النّفس:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ) أنّ النفس تتكون من النون والفاء والسين من أصل واحد يدل على خروج النسيم، كيف كان ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه ومنه التنفس خروج النسيم من الجوف، ونفس الله كربته، وذلك خروج النسيم روحا

---

[1]_ ابن منظور، لسان العرب، مادة (فكر) دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص 3451.

[2]_ يُنظر: بلقزيز، عبد الإله، الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2002، ص 264_265.

[3]_القادري، أحمد رشيد، الفكر التربوي الإسلامي، دار جرير، عمان _الأردن، 2005، ص13.

[4]_محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط7، 2001، ص 137.

[5]_سورة سبأ، الآية: 46.

وراحة، والنّفس كل شيء يفرج به مكروبا[1]؛ فالنفس إذا هي ذلك الشيء الذي يروح به الجسم عما فيه من ضغوطات وكروبات ولذلك سميت النفس نفسا لتروحيها عن جسم الإنسان سواء بخروج النسيم من الجوف أو بتفريج الكربات فكل هذا يعد نَفَسًا.

يرى الماوردي(ت450هـ) أنّ النفس هي ذات الإنسان، واعتبرها قوة من قوى الإنسان، عليه نصحها ودأبها، وإصلاحها بالدين الذي يصرف النفوس عن شهواتها[2].

وعليه نستنتج أن الماوردي يرى أن النفس مرتبطة بالإنسان والتي يمكن نصحها وتقويمها فالذي يقوم ويصلح في الإنسان إنما هي نفسه فهي الدأب والديدن وذلك بصرفها عن شهواتها وغيرها من المغريات التي تلهيها عن طاعة الله.

ب_ مفهوم التربيّة النفسيّة في القرآن الكريم:

الله سبحانه وتعالى هو العالم بأحوال النفس البشرية، فالنفس تتعرض لأزمات وطعنات وضغوطات كما يتعرض البدن إلى فيروسات وميكروبات وأمراض مختلفة، ودائما الوقاية خير من العلاج فقبل أن يصاب الإنسان بهذا الأذى النفسي لابدّ له من اشتشعار القرآن الكريم في كل حياته، فالقرآن الكريم يصنع حالة عجيبة من الطمئنة، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3].

ولذلك تولّى القرآن الكريم تربية النفس البشرية بزرع معاني الطمأنينة والقرب من الله ونزع معاني الخوف والضعف، فقد «جاء في القرآن الكريم وصف دقيق لكثير من الانفعالات التي يشعر بها الإنسان مثل الخوف، والغضب، والحب، والفرح، والكره، والغيرة، والحسد،

[1]_يُنظر: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، مادة (نفس)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003، ج5، ص 460.

[2]_يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن الماوردي، النكت العيون(تفسير الماوردي)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د، ط)، ص 136.

[3]_ سورة الرعد، الآية: 28.

والندم، والحياء، والخِزي... »[1]، وهذا دليل عن اهتمام القرآن الكريم بمعالجة نفس الإنسان وتربيتها وترميمها؛ حيث يقوم القرآن الكريم بتربية ما يصدر عن النفس البشرية من انفعالات الخوف والضعف وغيرها فيعالجها ويقويها بعدما كانت محطمة مهمشة.

وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بتربية النّفس البشرية من خلال القرآن الكريم، ونقصد في بحثنا بالأبعاد التربويّة النفسيّة الأسرار التي يمكن استنباطها من الآيات القرآنية ـفي سورتي الإسراء والأنفال ـ وكيف يمكن أن تربيّ الآية القرآنيّة الفرد المؤمن وذلك بما يمكن أن تثيره من مشاعر خوف، أو حزن، أو طمأنينة، أو أنس، أو رضا...

3ـ الأبعاد التّربويّة السلوكيّة:

أ_مفهوم السلوك:

المقصود بالسلوك هو المثير الذي يُسبب الانفعال، حيث « يقوم الانفعال بتوجيه السلوك مثل الدافع، فانفعال الخوف يدفع الإنسان إلى الهرب من الخطر، وانفعال الغضب يدفعه إلى الدفاع عن النفس، وقد يدفعه إلى العدوان، وانفعال الحب يدفعه إلى التقرب من موضوع حبه»[2].

بـ مفهوم التربيّة السلوكيّة في القرآن الكريم:

وإذا كان السلوك هو القيام بنفعالات نفسية ومادية، فإنّ التربيّة السلوكيّة في القرآن الكريم تهدف لتغيير السلوك إلى ما هو أقوم وأصح؛ بحيث أنّ «الخوف من عقاب الله يدفع المؤمن إلى تجنب الوقوع في المعاصي وإلى التمسك بالتّقوى والانتظام في عبادة الله وعمل كلّ ما يرضيه»[3]، وما نقصده بالأبعاد التربويّة السلوكيّة هو كيف يمكن أن تغيّر الآية القرآنيّة من سلوك الفرد المسلم المؤمن فيترك شرا ويفعل خيرًا.

[1]_محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط 7، 2001، ص 71.

[2]_ المرجع نفسه، ص 71.

[3]_ المرجع نفسه، ص 72.

ثانيا_ اللسانيّات التداوليّة:

1_ نشأتها:

اتخذت النظريّات اللسانيّة الحديثة اتجاهين، يضمُّ الاتجاه الأوّل جميع النظريات اللسانيّة التي تعدّ اللّغات الطبيعيّة أشكالا مجردةً، في حين يضمُّ الاتجاه الثاني اللغات الطبيعية آخذة بعين الاعتبار ظروف استعمالها في إطار وظيفتها التواصليّة؛ فالمرحلة الأولى تعرف باللسانيات البنيوية والمرحلة الثانية تعرب بما بعد البنيوية والتي أسفرت عن ظهور اللسانيّات التداوليّة، بحيث لانفصال بين الاتجاه الأوّل والثاني؛ فالاتجاه الثاني جزء لا يتجزء من الاتجاه الأوّل وفي هذا الصدد يقول أحمد محمود نحلة : «إن الاتجاهين في مدى النظر متكاملان في دراسة الظاهرة اللغوية، إذ ليس من الممكن دراسة الاستخدام اللغوي دون معرفة بالنظام، وليس من الممكن أن تظل دراسة النظام اللغوي معلقة في فراغ»[1]؛ إذ لا يمكن فصل البنية اللغوية عن البنية التواصليّة.

وعليه، فقد كانت التداولية مرحلة مكملة مضيفة لما جاءت به اللسانيات البنيوية مستفيدة منها، أمَّا «بدايات التداولية فتعود إلى 1938 حينما تحدث شارل موريس في الولايات المتحدة الأمريكية عن السيميوز *، في أبعاده الثلاثة»[2]، ومنه البعد التداوليّ وكان شارل موريس يقصد بالبعد التداوليّ علاقة العلامات بمستعمليها بما في ذلك العلامات غير اللغوية؛ فهو يرى أنّ التداولية جزء من علم العلامات (السيمياء)، فكان ذلك أوّل ملمح بشرّ بميلاد اللسانيّات التداوليّة، لكن ظهورها بمعالم واضحة كان مع المحاضرات التي ألقاها الفيلسوف أوستين (Austin) سنة (1955).

---

[1]_ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، (د، ط)، 2002، ص58.

* _ ويقصد بالسيميوز السيميولوجيا أو السيمياء وهي علم الإشارة الذي يهتم بدراسة العلامات اللغوية وغير اللغويةوعلاقاتها الدلالية مع مسيمياتها أو ما تحيل عليه. سيرورة إنتاج وتناول الدلالة

[2] _جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016، ص 20 .

فنشأة اللّسانيّات التداوليّة في الأصل تعود إلى منابع فلسفيّة وبالتحديد إلى الفلسفة التحليلية ضمن أحد أبرز اتجاهاتها وهي فلسفلة اللغة العاديّة، التي تقوم أساسًا على النظر في اللغة الطبيعية المستعملة في حياتنا اليومية التي تُظهر الألفاظ وهي مرتبطة باستعمالاتها.ش

وكان هدفه أوستين سنة (1955) تأسيس اتجاه فلسفي قائم على اتخاد اللغة وسيلة لوصف الواقع وحلّ القضايا الفلسفية بعدما كانت الفلسلفة تنظر في أمور ميثافيزيقية خارج عن نطاق اللغة واستعمالاتها، وأول ما بدأ به هو التمييز بين العبارات الوصفيّة والإنشائيّة[1]، حيث توصل إلى أنّ الكلام يمكن أن يُقسم إلى عبارات وصفية (إخباريّة) تصف الواقع ويمكن الحكم عليها بالصدق والكذب وإنشائية لا تصف الواقع إلا أنّ التلفظ بها يؤدي فعلا إنجازيّا يؤثر في العالم ويغيره، وهذا ما أدى إلى ظهور اللسانيّات التداوليّة التي أخذت اللغة الطبيعية المستعملة أساسا لدراستها، كما أسهم في ظهور نظرية أفعال الكلام فيما بعد، إذ إن النشأة الأولى للتّداوليّة كانت مرتبطة بشكل كبير بنظرية الفعل الكلامي[2]،(وسنفصل القول فيها في جزء لاحق) التي كان أساسها دراسة العبارات الإنشائية والإخبارية.

ونستنتج من خلال ما سبق أنّ نشأة التداولية كانت نشأةً فلسفية من خلالها المحاضرات التي ألقاها أوستين بهدف تأسيس فلسفة اللغة العاديّة، كما أنّ ظهورها كان مرتبطًا بنظريّة أفعال الكلام.

[1]_ يُنظر: آل روبول وجاك موشلار، التداولية علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطفي الزيتوني، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ط1، 2003، ص28_29.

[2]_ يُنظر :علي محمود حجي الصراف، في البراجماتيةالأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي،مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص 10 .

2_مفهومها:

أ_ لغةً:

قبل أن نباشر في تحديد مفهوم التداوليّة اصطلاحا، لابدّ لنا من تأصيل هذا المفهوم وذلك بالعودة إلى مفهومه اللغويّ، الذي من شأنه أن يرسم لنا دورب الاهتداء إلى تعريف التّداوليّة اصطلاحًا.

التّداوليّة لغة مأخوذة من الفعل (دَوَلَ) وقد جاء في لسان العرب لابن منظور (711 هـ): «تداولنا الأمر أخذناه بالدول[...] ودالت الأيّام أي دارت، والله يُداولها بين النّاس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرّة وهذا مرّة»[1]، وورد في معجم الوسيط: «دَالَ الدَّهرُ دولًا ودولةً: انتقل من حال إلى حال[...] ودَاولَ كذا بينهم جعله متداولًا تارةً لهؤلاءِ ويُقال داولَ الله الأيّامَ بين النّاس أدَارهَا وصرفهَا»[2].

ويتضح لنا مما سبق أنّ كل من معجم لسان العرب والمعجم الوسيط اتفقا على أنّ المعنى المعجمي لمادة (دول) معناه أحذ الشيء والتحوّل والانتقال به من حالة إلى حالة، بين طرفين أو أكثر، ولو طبقنا هذا المنظور على اللغة لوجدها متحوّلة ومنتقلة بين المتكلّم والمخاطب يتداولونا بينهم[3]، وبما أنّ التداولية مأخوذة من مادة (دول) التي تعني الانتقال والتحوّل ومجال التّداوليّة هو اللغة المتداولة فما مفهوم اللسانيّات التّداوليّة؟

ب_اصطلاحًا:

تعددت مفاهيم التداوليّة بين الباحثين الغربيين والعرب على حدا سواء مما أدى إلى عدم وجود تعريف جامع مانع لها، وذلك راجع إلى تداخلها مع عدة علوم معرفية، كالفلسفة، وعلم

[1]_ ابن منظور، لسان العرب، مادة (دول)، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص1481.

[2]_إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسط، مادة (دول)، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، إيران، 1374، ج1، ص304.

[3]_ يُنظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية الدرس العربي القديم،بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2008، ص 148.

النفس المعرفي، وعلوم الاتصال، واللسانيّات[1]، ولتوضيح ذلك فصلنا مفاهيمها عند الغربيين أوّلا ثم عند العرب.

1_ مفهومها عند العلماء الغربيين:

لعلّ أوّل وأقدم مفهومٍ للتداوليّة يعود للعالم الأمريكي شارل موريس (Morris Charles) وقد كان ذلك عندما قسم علم العلامات إلى ثلاثة فروع أساسية وهي: علم التراكيب، علم الدلالة، علم التداولية، حيث ربط التداوليّة بعلاقة العلامات بمفسريها[2]، ويقصد شار موريس بمفسريها مستخدميها، بما في ذلك العلامات غير اللغوية؛ لذلك ظل تعريف موريس للتداوليّة واسعا فضفاضا حيث يُدمج في ذلك ما هو لساني وما هو غير لسانيّ وكأنه يتحدث عن الاتجاه السميائي[3].

وعرّفاها آن روبول وجاك موشلار على أنّها «دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاص اللسانيات»[4]، ويتضح لنا من خلال هذا المفهوم أنّ التداولية تُعنى بدراسة اللغة أثناء استعمالها من قبل المتكلّم في سياق تواصلي محدد، بألفاظ ومعان، موجهة نحو متكلم محدد، أمَّا اللسانيّات والمقصود هنا اللسانيّات البنيوية تختص بدراسة البنية اللغوية من حيث أصواتها وصرفها، وتراكيبها ... وهي مجردة عن السيّاق أو الاستعمال وهنا يظهر الفرق بين الحقلين، كما يظهر التكامل بينهما؛ فالتداوليّة تنطلق من البنيّة اللغوية؛ إذ لا وجود لتواصل واستعمال الكلام دون بنية لغوية، فهي مندمجة في اللسانيّات وجزء لا يتجزأ منها.

---

[1]_ يُنظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 27.

[2] _ يُنظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين لغوفمان، ترجمة صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 42.

[3]_ يُنظر: جواد ختّام، التدوالية أصولها واتجاهاتها، ص20.

[4]_آلان روبول و جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداوليّة،ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، مراجعة خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د، ط)، 2010، ص21.

وذكر جورج يول بأنّ التداولية تختص « بدراسة المعنى كما يوصله المتكلّم (أو الكاتب) ويفسّره المستمع (أو القارئ)؛ لذا فإنّها مرتبطة بتحليل ما يعنيه النّاس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أنّ تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة »[1]، ونفهم من هذا أنّ القصد الذي يرمي إليه المتكلّم ويفهمه المخاطب هو أساس اهتمام التداولية، فالعبرة ليست بالألفاظ المرسَلة ولكن بالمعنى المقصود.

وهنا لابدّ من التنبيه على الفرق بين علم الدلالة واللسانيّات التداوليّة، حتى لا يتوهم الباحث أنهما بالمعنى نفسه، فعلى الرغم من التقائهما في دراسة المعنى، لكن كليهما يبحث عنه بطريقة مختلفة، فعلم الدلالة ميدانه معاني الجملة أمّا التداوليّة فميدانها معاني القولة[2]، أي أنّ الدلالة تبحث عن كيفية سيرورة المعنى في الجملة مع ارتباطها بالسيّاق، والتداوليّة تبحث عن المعنى الذي يقصده المتكلّم من كلامه ضمن سياق الخطاب، فالأولى تُعنى بالجملة فحسب، والثانية أوسع حيث تهتم بالكلام الذي قد يتكوّن من أكثر من جملة.

2_مفهومها عند العلماء العرب المحدثين:

اختلفت مفاهيم التّداوليّة وتباينت بين الباحثين العرب ولم تتخذ مفهوما جامعا مانعا فلم يكن لها تعريفا واحدا عند الغرب ولا عند العرب ولعلّ ذلك راجع على حد تعبير مسعود صحراوي إلى أنّها ليست علما لغويّا محضًا، أي أنّها تنهل من علوم ومعارف أخرى تنوعت بين مشاربٍ لغويةٍ وغير لغويةٍ، يقول: «التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة»[3]، ومعنى ذلك أنّ التّداولية _في دراستها للكلام وتفسيره_ تحاول الأخذ من عدة علوم لغرض تسهيل التواصل وتحقيق الفهم بين المتكلم والمخاطب ومن ثمّ نجاح العمليّة التخاطبيّة.

[1]_ جورج يول، التداوليّة ، ترجمة قصي العتّابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص 19 .

[2]_ يُنظر: محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيّات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت_ لبنان، 2004، ص19.

[3]_ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 16 .

ويعرفها صلاح فضل بأنّها «أحدث فروع العلوم اللغوية وهي التي تُعنى بتحليل عمليات الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام، مما يجعلها ذات صبغة تنفيذية علمية»[1]، فصلاح فضل يرى أنّ موضوع التداولية هو دراسة الكلام وطُرق آدائه أثناء العملية التّواصلية.

أمّا الباحث المعاصر ثروت مرسي فيعرفها في كتاب الأفعال التداوليّة بأنّها «علم يدرس طرائقَ الاستعمال الفعلي لتشكيل المعنى في التّواصل وفق أهداف المتخاطبين وسياقات التّخاطب، وسيرورات تأويل ذلك المعنى»[2]؛ فالتّداوليّة حسب هذا المفهوم تنصب على دراسة المعنى الذي يقصده المتكلّم في ظل الظروف المحيطة بالعملية التخاطبيّة.

ونخلص مما سبق، إلى أنّ جل المفاهيم السابقة ذكرت فكرة الاستعمال؛ فالتداوليّة تتجاوز بنية اللغة إلى استعمال اللغة في الخطاب، وانطلاقًا من هذا صارت حقلًا مهمًّا تجاوزَ المناهج النصيّة التي عزلت البنية الصورية للغة عن محيطها، إلى التأكيد على فكرة العوامل المحيطة والمساهمة في بناء المعنى.

3_ المصطلحات العربيّة المقابلة للمصطلح الأجنبيّ:

- **التداوليّات:**

يعدُّ الفليسوف المغربيّ (طه عبد الرحمان) أوّل من استخدم مصطلح التداوليّات حيث قابل المصطلحين (pragmatics) بالإنجليزيّة (pragmatique) بالفرنسيّة بمصطلح التّداوليّات ويعدُّ من أوائل الباحثين الذين استخدموا مصطلح التّداوليّة في البحوث اللغوية العربية، يقول : «ووقع اختيارنا منذ1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا لأنّه يوفي المطلوب حقه بالنظر إلى دلالاته على معنيي الاستعمال والتفاعل معا و لقي منذ ذلك الحين قَبولا من لدن الدارسين» [3]، وهذا ما ذهب إليه معظم الباحثين حيث يرى (جميل حمداوي)

[1]_ صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة،(د، ط) ، 1992، ص 7 .

[2]_ ثروت مرسي، الأفعال التداولية مداخل تأسيسيّة، دار كنوز المعرفة، الأردن، عمان، ط1، 2022، ص21.

[3]_ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص 27.

أن الحديث عن تيارات مختلفة، كتيار موريس، وتيار فلاسفة أوكسفورد، والنظرية التخاطبية، والنظرية التفاعلية، والنظرية الحجاجية، والنظرية التلفظية...يتيح إطلاق تسمية تداوليّات بدلًا من تداوليّة[1].

وهذا ما ذهب إليه أيضا الباحث المعاصر ثروت مرسي حيث عنون كتابه بـ : في التداوليّات الاستدلالية الصادر سنة(2022).

ونستنتج من خلال ما تقدّم أنّ حجة هؤلاء الباحثين في تبني مصطلح التداوليّات بدلًا من التداولية ترجع إلى تشعبها إلى عدة تيارات واتجاهات لسانية تداوليّة اتخذت البحث عن المعنى اللغوي هدفا لها.

- **التداوليّة:**

أمّا المصطلح الثاني فهو (التداوليّة) الذي يختلف عن المصطلح الأوّل في الجمع بزيادة الألف والتاء ومن أبرز الباحثين العرب المتبنين لهذا المصطلح الأستاذ الجزائري مسعود صحراوي حيث يرى أنّ التداوليّة الغربية (pragmatique) ليست ترجمة للمصطلح الفرنسي) (pragmatisme)[2]، وقد تبنى مسعود صحراوي مصطلح التداوليّة بدلا من التداوليّات قصد تخصيصه الحديث عن التداولية اللسانية فحسب؛ فالتداولية التي تدرس اللغة في الحقيقة تداولية واحدة.

هذا ما أدى إلى ظهور مؤلفات مسعود صحراوي حاملة لمصطلح التداولية ومن أهمها كتاب: التداولية عند العلماء العرب سنة (2005)، وكتابه الصادر مؤخرا المعنون بـ: "لحظة ميلاد التداوليّة" ويُضاف إلى مسعود صحراوي أحمد المتوكل الذي كان من أبرز الباحثين المتبنين لمصطلح التداوليّة.

- **الذارئعيّة والبراغماتية:**

[1]_ يُنظر: جميل حمداوي، المقاربة التداولية في النقد والأدب، بحث منشور في منصة منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 2012، ص 12_13.

[2]_يُنظر: مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، ص 15.

ذهب بعض الباحثين العرب إلى مقابلة مصطلح (pragmatics) و (pragmatique) بالذرائعية أو البراغماتية فقابوا مصطلح التداوليّة الأجنبي بترجمته " براجماتية" أو " براغماتية" مستعملين بذلك آلية التعريب في مقابلة المصطلح ، وهذا ما يقابل الفلسفة النفعية الذرائعية وهي في الأصل مذهب فلسفي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ولذلك عدّ الباحثين أن هذا المقابل يعدُّ خطأ شائعا[1]؛ فلم يلق هذا المصطلح قبولا ورواجا من لدن الباحثين العرب.

- **الفعليّات:**

يذهب الباحث المعاصر هشام إبراهيم عبد الله خليفة إلى مقابلة مصطلح التداوليّة بالفعليّات ويذكر ذلك في مقدمات كتبه منها الكتاب الذي ترجمه لمؤلفه ليان هوانغ بعنوان مُعجم أوكسفورد[2]، حيث يرى أنّ مصطلح الفعليّات هو الأنسب للمطلح الأجنبيّ (pragmatics) أو (pragmatique) إلاّ أنه كان متحفظًا في استعمال المصطلح ولا يذكر سببا لاختياره ، ويؤجل ذلك ـعلى حد تعبيره إلى مناسبات ومؤلفات أخرىـ، وهناك عدّة ترجمات أخرى مقابلة لمصطلح التداوليّة تجاوزنا تفصيلها لضيق المقام، أمّا في بحثنا فقد وقع اختيارنا على مصطلح التداوليّة اقتداءً بمذهب الباحث الجزائري مسعود صحراوي الذي ذكر بأنّ مصطلح التداوليّة هو الأنسب لتمييزه عن باقي التداوليّات[3]، التي لا تعدُّ من صميم بحثنا؛ فالتداولية في الأساس تداوليّات، والذي يهمنا التداوليّة اللسانيّة أو اللسانيات التداولية، كما أنّ مصطلح التداوليّة من أكثر المصطلحات شيوعا وقَبولا من لدن الباحثين العرب.

4ـ ملامح اللّسانيات التّداوليّة في التراث العربيّ:

لم تكن التداولية بمفهومها الحديث بعيدة عن الممارسات اللغويّة التراثيّة فقد أثبتت الدراسات اللغويّة الحديثة أن للسانيات التّداوليّة حضورا بارزا في تراثنا اللغوي العربي حتى وإن

---

[1]ـ يُنظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص43.

[2]ـيان هوانغ ، معجم أوكسفورد، ترجمة هشام إبراهيم عبد الله خليفة، دار الكتب المتحدة، بيروتـ لبنان، ط1، 2020، المقدّمة.

[3]ـ يُنظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداوليّة،ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د، ط)، (د، ت)، ص 12.

كان ذلك بطريقة مختلفة وبمسميات مغايرة؛ فالتداوليّة مصطلح جديد يحمل مفهوما قديما، حيث وردت ملامحها في مؤلفات العرب القدماء ضمن مباحث نحويّة وبلاغيّة، وفقهيّة ...، فلم يكن النحو العربيّ ولا البلاغة العربيّة ولا حتى علميّ التفسير والفقه ... بمنأى عن ما جاءت به اللسانيّات التداوليّة حديثا .

ومن أبرز الباحثين العرب المحدثين الذي رصدوا مواطن تلاقي التراث اللغويّ مع اللسانيّات التداوليةّ (خليفة بوجادي) حيث نقل العديد من الأقوال والمباحث العربيّة التي تبيّن ملامح اللسانيات التداولية عند العرب ومنها بيانه أنّ الدرس اللغوي العربي القديم ككل قام على دراسة اللغة أثناء الاستعمال منذ بداياته، وينقل في ذلك قول السيوطي (ت 911 هـ): «اللغة تؤخذ استعمالا لا قاعدة »[1].

كما بيّن أنّ البلاغة العربية تهتم بالمتكلّم، والسّامع، والمقام التواصلي، فقد تحدث الجاحظ (ت255 هـ) عن المتكلّم وما يجب أن تتوفر فيه من خصائص لكي يصير بليغا ؛ فالمتكلم البليغ عند الجاحظ هو ما جعل أقدار اللغة و تصاريف الكلام مواتية لأقدار السامعين ومقتضيات الحال، وللسامع أيضا أهمية ودور في إنتاج الخطاب؛ فالخطاب أساسًا أُنتج للسامع ويكون حسب ما يريده السّامع؛ فصاحب الخطاب يحاول دائما استحضار السامع في كل عملية إبلاغية ولو بصورة ذهنية إن لم يكن حاضرا عيانًا[2].

كما اهتمت البلاغة بفكرة المقام حتى ظهرت المقولة الشهيرة : (لكل مقام مقال) فكانت فكرة المقام الأساس الذي قامت عليه البلاغة العربية فلابدّ أن تكون كلمات الخطاب (المقال) مناسبة للمقام ؛ فالغرض يكون بحسب الكلام المؤلف[3].

---

[1]_ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق، إسماعيل الشافعي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط1، 1998، ص 166.

[2] _يُنظر :خليفة بو جادي، في اللسانيات التداولية ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط2، 2012، ص143.

[3]_ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان، ط1، 1982، ص94.

إنّ المتأمل في كل ما بيّناه سابقا يجد أنّ البلاغة العربيّة كانت من أقرب العلوم العربيّة للسانيات التداوليّة، فقد انصب اهتمامها على عناصر العمليّة التواصليّة من متكلم ومخاطَب ومقام تواصلي ومطابقة الكلام لمقتضى الظاهر، وتلك من أبرز اهتمامات اللسانيات التداولية[1]، ولذلك يرى ليتش(leitch) «أن التداولية بلاغة في صميمها»[2]، لذلك ذهب بعض العلماء العرب المحدثين إلى عدم التفريق بينهما.

وتأسيسًا على ما سبق، نلاحظ أنّ علماء التراث اللغوي قد تنبهوا منذ مئات السنين لما ينادي به رواد اللسانيّات الحديثة اليوم، وعرفوا اللسانيّات التّداوليّة قبل شيوعها في خمسينيات القرن الماضي، ومنه وجب علينا فهم تراثنا اللغوي العربيّ بشيء من التدقيق والقراءة السليمة، ليس لغرض بيان الأسبقية وإنّما للأمانة التاريخية[3] على حد تعبير هشام إبراهيم الخليفة.

ثالثًا_ نظريّة أفعال الكلام:

تعدُّ نظرية أفعال الكلام من بين أهم محاور اللسانيّات التّداوليّة وهي الأساس الأوّل الذي انبثقت منه والحديث عن هاته النظريّة هو حديث عن صميم نظريّة اللسانيّات التداوليّة؛ إذ إن النشأة الأولى للتّداوليّة كانت مرتبطة بشكل كبير بنظريّة أفعال الكلام، وسنوضح ذلك من خلال المحاور الآتية:

1_ نشأة نظرية أفعال الكلام:

تبلورت معالم نظرية أفعال الكلام على يد الفيلسوف واللغويّ البريطاني (جون أوستين)، حين ألقى محاضراته في جامعة (هارفارد) الأمريكية في عام (1955) م والتي نشرت عام

[1]_ مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص 20.

[2]_ صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، (د، ط)، 1992، ص121 .

[3] _يان هوانغ ، معجم أوكسفورد، ترجمة هشام إبراهيم عبد الله خليفة ، دار الكتب المتحدة، بيروت_ لبنان، ط1، 2020، المقدّمة.

1962م بعد وفاة على شكل كتاب بعنوان كيف تفعل الأشياء بالكلمات (How to do things with words)[1].

انطلق أوستين في وضعه لنظرية أفعال الكلام جراء رفضه لمقولة الفلسفة الوضعية القائلة أنّ اللغة وسيلة لوصف حالات العالم وإثباته، وبالتالي هناك صنف واحد من العبارات اللغويّة وهي الخبريّة التي يحكم على صدقها وكذبها بمدى مطابقتها للواقع[2].

فقد صرّح بأنّه إلى جانب هذه العبارات الخبريّة «وإلى جانب الوصف أغراض أخرى تُستخدم من خلالها اللغة فهناك السؤال، والأمر، والنهي، والتعجب والرجاء وهلمّ جرا»[3]، فهذه الجمل لا تصف شيئا في الواقع الخارجي، ولا تحتمل الصدق والكذب.

فانتهى بذلك إلى التمييز بين صنفين من العبارات اللغويّة : العبارات الوصفية التقريرية التي تصف حدثا أو حالة معينة، والعبارات الإنجازيّة الأدائيّة، أو كما تسمى الإنشائية وهي التي لا تصف ولا تخبر ولا تثبت أمرا، لكن التلفظ بها يساوي إنجازُ فعل كلاميّ في الواقع الخارجي[4]، والحكم عليها يكون بالنجاح أو الفشل، كما وضع شروطًا لنجاح الفعل الكلاميّ وضحها في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" ولعلّ أهمها شروط الملاءمة[5]، وأساسها أن يكون الفعل الكلاميّ ذا طبيعة إجتماعية عرفية؛ فعبارة: (صباح الخير)، قد تكون مجرد تحية صباحية إذا جاءت في سياق إلقاء تحية في الصباح بين صديقين، وقد تتحول إلى عبارة استهزاء إذا قيلت

---

[1] ـيُنظر: هشام عبد الله خليفة ، نظرية الفعل الكلامي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، بيروت_لبنان ، 2008، ص 39.

[2] ـيُنظر :خلفية بوجادي، في اللسانيّات التداوليّة، ص 89 .

[3] ـ إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت_لبنان، ط1، 1993، ص 18 .

[4] ـ يُنظر: جون لانكشوأوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د، ط)، 1991، ص 16 .

[5] ـيُنظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص64 نقلا عن:

Austin J .L :How to do things whit word Harvard University press ,(1962) ,p14 ff.

لشخص أدرك أو عرف شيئًا متأخرًا، فهذا مرتبط بأعراف اجتماعية تم التتفاق عليها*فأفعال الكلام بصفة عامة (سواء كانت أدائية أو إخباريّة) فهي ذات طبيعة اجتماعية وقصدية[1].

وفي مرحلة ثانية من تطوّر نظريّة أفعال الكلام، لاحظ أوستين أنّ الجمل الإخباريّة هي الأخرى يمكنها أن تكون إنجازيّة؛ فالتلفظ بها يُسهم في إنجاز فعل الوصف أو التقرير أو التأكيد وارتأى بعدها أنّ كلّ هذه العبارات أساسها هو إنجاز فعل حين النطق بالقول لذلك لابدّ أن تضمّ فعلًا كلاميًّا مركبًا من ثلاثة أفعال تؤَدي في الوقت نفسه الذي يُنطق فيه الفعل الكلامي وهي : أفعال لفظيّة (الفعل اللفظي)وهي الأصوات التي ينطقها المتكلّم بصورتها التركيبية ومعناها المعجمي، وإنجازيّة (الفعل الإنجازي)وهي ما يقصده المتكلّم بقوله، وتأثيريّة (الفعل التأثيري)وهي ما يخلفه القول من تأثير في المخاطَب[2]، وقد كان الفعل المتضمن في القول أو الفعل الإنجازي في ترجمة أخرى المظهر الأساسي الذي ركز عليه أوستين ثم سيرل من بعده، وقام أوستين بتقسيم هذا الفعل إلى خمسة أصناف[3].

2_ مفهوم نظرية أفعال الكلام:

انطلاقًا مما سبق نلاحظ بأنّ نظرية الفعل الكلامي تنظر إلى اللغة على أنّها أداء لإنجازات مختلفة؛ فعندما يتلفظ المتكلّم بقول ما، فإنه في الواقع يخبر عن شيء أو يصرح، أو يأمر، أويشكر، أو يعد ،أو يعتذر ...[4]؛ فاللغة بهذا المفهوم ليست أداة واصفة فحسب وإنّما هي أداة فاعلة كذلك.

---

*-وهذا ما ذهب إليه سيرل؛ فالفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم ومقصده، بل يرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي= يُنظر: أوستين، العقل واللغة والمجتمع، ص224.

[1] _Michael Geis,Speech Acts and conversational ,cambriadge ,New York ,press 1955, p 4.

[2]_ علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 13 .

[3]_ فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين لغوفمان، ترجمة صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 61 _62 .

[4]_يُنظر: محمد محمد يونس علي، مقدمة في علميّ الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي_ليبيا، ط1، 2004، ص 34.

فأفعال الكلام ليست مجرد تفوهات تضم بنى نحوية وكلمات، بل إن المتكلّم من خلالها ينتج خطابًا يحاول بواسطته التأثير في العالم؛ فمثلا إذا قال لك المدير: (أنتَ مفصولٌ) فهذه العبارة تحمل أكثر من مقولك نحوية، لأنّها قد تستخدم لإنهاء عملك[1]، ومنه كذلك إذ قال الرجل (أَقبلُ) جوابًا لسؤال القاضي: (هل تقبل الزواج من فلانة بنت فلان)؟ فالناطق بهذه العبارة لم يقصد إخبار القاضي أو إمالته بمعلومات يجهلها بل هو قد قام بفعل حين النطق بها[2]، فهذا يدل على أنّ اللغة في نظرية أفعال الكلام ليست مجرد أداة لنقل الأفكار والتواصل فحسب، وإنّما هي أداة لتغيير العالم والتأثير فيه.

ومن ثمّ فإنّ الفعل الكلاميّ هو الوحدة الأساسية للتواصل « فوحدة التواصل اللغوي ليست ما كان مفترضا، بأنّها الرمز أو المفردة أو الجملة، ولا حتى العلامة على الرمز والمفردة، أو الجملة بل هي بالأحرى إنتاج أو إصدار المفردة في تأدية فعل الكلام»[3]، ويلخص مسعود صحراوي مفهوم الفعل الكلامي بحسب ماكتبه أوستين وسيرل بأنّه: «الإنجاز الذي يؤديه المتكلّم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة »[4]، ومن المفيد الإشارة هنا أنّ من الباحثين من يطلق على الفعل الكلامي مصطلح و(العمل اللغوي)، و(الأعمال القولية) و(الأعمال الكلامية)[5]؛ لأنّ حقيقة الفعل الكلامي هي أداء وإنجاز لعمل في الواقع.

---

[1]_يُنظر : مجيد الماشطة، مسرد التداولية ، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018، ص 89 .

[2]_ يُنظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص 44.

[3]_John, Searle, Speech acts an essay in the philosophy of language, cambridge University prees 1969, p16.

[4]_ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 10

[5]_ يُنظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، (التكوثر العقلي) ، ص 260، ويُنظر، خلاد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ص 499، ومسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 40.

3_ تطوّر نظريّة أفعال الكلام:

لم يُكتب لنظرية أفعال الكلام الاستواء والتطوّر، فبعدما توفي أوستين كان عمله غير مكتمل[1]؛ فتولى تلميذه سيرل إتمام النظرية، حيث عمل جاهدا على اقتراح بعض التعديلات فجاءت معه مرحلة النضج والاكتمال.

أعاد سيرل التقسيم الثلاثي لأفعال الكلام؛ حيث أبقى على تقسيم أستاذه وأضاف الفعل القضوي (القضية المتحدث عنها)، فجاء تقسيمه رباعيّا نذكره فيما يلي باقتضاب شديد[2]:

1.الفعل النطقي: ويسمى فعل القول، يتمثل في التلفظ بالتراكيب والكلمات، على نسق نحوي ومعجمي.

2.الفعل القضوي: ويسمى فعل الإسناد، ويشمل المرجع المتحدث عنه.

3.الفعل الإنجازي: قد يكون هو الإخبار أو الاستفهام أو الأمر أو التمني...

4.الفعل التأثيري ويقابل المصطلح والمفهوم نفسه عند أوستين، إلا أن سيرل يرى أن الفعل التأثيري لا أهمية له، لأنه ليس من الضروري أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما، ولذلك ركّز سيرل على الفعل الإنجازي لانَّ فعل القول يُعد من اهتمام اللسانيات، وإنّ الفعل التأثيري بقيَ محل شك وريبة لأنه يتعدى مجال التداولية[3].

لذلك اعتنت نظرية أفعال الكلام عناية أساسية «بالفعل المتضمن في القول إلى حد يمكن اختزال هذه النظرية في مفهوم العمل المتضمن»[4]؛ لأنه من خلال الفعل المتضمن يتم نجاح العملية التواصلية فهو الذي يمثل قصد المتكلّم فإذا فهم المتلقي القصد نجحت عملية التواصل أمّا

---

[1]_ ثروت مرسي، في نظرية الأفعال التداولية، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2022، ص48.

[2]_ John,Searle, Sppech Acts An Essay in the philosophy of language, _p 24_25.

[3]_ جواد ختام، التداوليّة أصولها واتجاهاتها، ص 91.

[4]_ المبخوت شكري، دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد، بيروت،ط51، 2010، ص 51.

إذا كان المتكلم يقصد شيئا والمتلقي يفهم شيئا آخر فهذا سيؤدي إلى فشل التواصل كما أنه؛ فالفعل الكلامي في نظر سيرل كان من المفروض أن يسمى الفعل الإنجازيّ[1].

وذهب شكري المبخوت مدافعا عن أهمية الفعل التأثيري بقوله: والفعل المتضمن في القول، والفعل أفعال متصلة مع بعضها البعض؛ لأن التأثير بالقول جزء من تكوين بنية الفعل اللغوي وليس متروكا لردة فعل المخاطب فهذه الأفعال الثلاثة وجوه متكاملة في الفعل لغوي قائمة على مبدأ الإدماج[2]، حيث لايمكن الفصل بين هذه الأفعال_إلا على سبيل الدراسة_ ؛ لأنّ كل منها قائم على الآخر فلا وجود لفعل تأثيري دون فعل قولي كما أنّ الفعل المتضمن في القول (الفعل الإنجازي) غرضه إحداث تأثير في المخاطب سواء كان الفعل التأثيري متعلق بقصد المتكلّم أو خارج عنه خاصة فيما يتعلق بالأفعال الكلامية غير المباشرة.

كما اقترح سيرل نمذجة عامة لأفعال الكلام ووضع شروطا وقواعدا لنجاح الفعل الكلاميّ[3]، تتمثل في اشتراك المتخاطبين في نفس المعارف وشروط متعلقة بسياق الكلام وأخرى متعلقة بقصد وغاية المتكلمين ...[4]، أمّا إعادة صياغته لأفعال الكلام وإعادة نمذجتها فكانت نتيجة نقده لتقسيم أوستين حيث كان تقسيمه لأفعال الكلام غير واضح، فجهوده كانت موجهة لدراسة الألفاظ وليس الأفعال أي دراسة لفظ الفعل وليس الفعل منجزا بكل ما يحمله من حركية ومادية[5]؛ فهدف نظرية أفعال الكلام هو دراسة كل ما يتعلق بنشاط الفعل أثناء استعماله وما يقصده المتكلّم في سياق تواصلي ما، ونتيجة لذلك توصلّ سيرل أن هذه الأعمال يمكن تقسيمها لخمسة أصناف وهي: الإخباريّات، الطلبيّات، الالزاميّات،التعبيريات، الإعلانيّات، _وسنفصّل الحديث عنها في القسم الثاني من بالبحث- ويمكن لهذه الأفعال أن ترد على شكل أفعال

[1]_ يُنظر: محمد العبد بحث تعديل القوة الإنجازية ضمن كتاب حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ومجموعة باحثين، عالم الكتب الحديث، إربد، ط2014،2، ص 312.

[2]_ يُنظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوي ، ص 14_ 26.

[3]_ ختام جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص91.

[4]_ يُنظر: صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب ، ص 10.

[5]_ يُنظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص91.

كلامية مباشرة وغير مباشرة، والأفعال الكلامية المباشرة (direct illocutionary acts) هي « الأفعال التي يتلفظ بها المرسل في خطابه وهو يعني حرفيا ما يقول»[1]، أمّا الأفعال الكلامية غير المباشرة(illocutionary actsindirect) فهي التي يؤدي فيها المرء فعلا كلاميّا بصورة غير مباشرة من خلال أدائه فعلا كلاميّا آخر، ويتميز باختلاف قوته الإنجازيّة عن مراد المتكلّم[2]، أو بمعنى آخر هي الأفعال التي تتحقق إذا أراد المتكلّم خلاف ما يتلفظ؛ فقد يتم التعبير عن المقصود بفعل كلامي مباشر مثال ذلك قولك: (أَنَا أُحذّركَ من الذهابِ خارجَ المنزلِ)، أو قد يُعبر عن المعنى نفسه بطريقة ضمنية غير مباشرة مثال ذلك قولك: (سينزلُ المطرُ بغزارةٍ اليومَ)؛ فقد عبر المثال الأوّل عن الفعل الكلاميّ التحذير بالتلفظ به مباشرةً (أُحذّرِكَ) أمّا في المثال الثاني فقد عبر عن المقصود (التحذير) بجملة خبرية، وهذا ما يسمى فعلا كلاميًّا غير مباشرٍ.

ويرى جون سيرل بأنه لكل فعل كلامي قوّته الإنجازية (illocutionary fore) التي تتفاوت في الفعل الإنجازي الواحد فمثلا القوة الإنجازيّة في الفعل الإنجازي التوجيهي للأمر تختلف شدتها في الترجي رغم انتمائهما لغرض إنجازيّ واحد وهو الغرض التوجيهي (الطلبيات)[3]، فكل من فعل الأمر والترجي غرضهما الإنجازيّ هو طلب شيء ما من المخاطَب، لكن درجة الشدة تختلف فالأمر يكون أقل تأثيرا في المخاطب لأنّه طلبٌ دون إصرار، على عكس الترجي الذي يكون فيه الطلب بإصرار وإلحاح شديدين.

ومن الوسائل المساعدة على زيادة درجة شدة القوة الإنجازية: نغمة الصوت، الوسائل المعجمية، كالتكرار، العلامات الرابطة مثل : إلى جانب ذلك، فضلا عن ذلك، إضافة إلى الروابط

---

[1]_ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت_لبنان، ط1، 2004، ص 135.

[2]_ يُنظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت_لبنان، ط1، 2006 ص221.

[3]_ يُنظر: العبد محمد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مجلة فصول، العدد 65، 2004_2005، ص 141.

السببية (السبب والنتيجة)، الاستفهام غير الحقيقي وغيرها من العلامات التي تساهم في زيادة تأثير الفعل الإنجازيّ.[1]

وعليه، نلاحظ بأنّ الكلام عند سيرل إما يحمل معنى واحدًا مباشرًا وإمّا يحمل معنيين، معنى مباشر يُفهم من التراكيب اللغويّة، ومعنى غير مباشر يُفهم من سياق الكلام.

كما يُنسب تطوّر نظريّة أفعال الكلام إلى الفيلسوف بول غرايس (Grice) الذي طرح سؤالا مهما، وهو كيف يكون ممكننا أن يقول المتكلّم شيئًا ويعني شيئًا آخر؟ وكيف يمكن أن يستمع المخاطَب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وقد وجد حلا لهذا الإشكال في ما سماه (بمبدأ التعاون) بين المتكلّم والمخاطب[2].

أمّا اللّساني فان دايك (van dijk) فقد تولّى تطوير نظرية أفعال الكلام بإضافة ما أسماه بالفعل الكلاميّ الأكبر، وهو فعل الكلام الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي، وتنجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة، وانتهى إلى أن سلسلة الأفعال الكلامية يفسرها فعل كلامي واحد، إذا كانت تشير إلى مقصد إجمالي واحد، وأطلق على دراسة التنظيم الكلي لمتواليات أفعال الكلام التداولية الكبرى، وتفسرها سلسلة من الأفعال الكلاميّة الجزئية التي تتضافر مع بعضها الآخر لبناء فعل كلامي كلي وقد تشتمل على المدح والاقتراح والسؤال والوعد والتوكيد ...[3]؛ فالنص «مهما كان طوله فإنه قد يؤدي فعلا كلاميا واحدا (ولو تعددت الأفعال الكلامية)»[4]، بحيث يمكن جمع الأفعال الكلاميّة الأكثر تكرارًا أو الأبرز في النص تحت فعل ذلك الفعل المتكرر وفقًا للسياق والغرض التداوليّ.

وتأسيسًا على ما سبق، يمكننا القول إنّ نظرية أفعال الكلام هي النّظرية التي تهتم أساسا بما يصنعه القول المتلفظ به من عمل وإنجاز، فأن تتكلم معناه إنجازك فعلًا يؤثر في فكر المخاطب وقد

---

[1]_ يُنظر: العبد محمد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب ، ص147_148.

[2]_ يُنظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33_34.

[3]_ يُنظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة_مصر، (د، ط)، 2014، ص 215.

[4]_ عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، (د، ت)، ص 286.

يغير سلوكه، والفعل المنجز عبر اللغة لابدّ أن يمر بأربعة مراحلة أساسة، فعل تلفظي الذي يمثل شرطا ضروريا لوجود محتوى قضوي وفعل متضمن في القول (الفعل الإنجازيّ) ينتج إنطلاقا من فعل التلفظ، وفعل تأثيريّ يتمثل في ما يتركه الفعل الإنجازيّ في المخاطب، وقد تبلورت معالم هذه النظريّة على يد ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أكسفورد والذين شكلوا القوّة المؤسسة للتداولية، وهم: أوستين، وسيرل، و غرايس، إضافة إلى اللسانيّ فان دايك، هذه نظرة عن نظرية أفعال الكلام كما نظر لها علماء التداوليّة المحدثين، لكن مع الإقرار بحداثتها إلا أنّ ذلك لا ينفي وجود درس عربيّ يتقاطع وهذه النظرية، فأين يظهر ذلك؟

4_ ملامح نظرية أفعال الكلام في التراث اللسانيّ العربيّ:

كان لنظرية أفعال الكلام التداوليّة الغربيّة الحديثة امتدادًا معرفيًّا في المدونة اللغويّة التراثيّة فقد كانت متواجدة بين دفات الكتب التراثية_حتى وإن كان ذلك بطرق حديثة مغاية_ من كتب أصول الفقه إلى كتب النحو والبلاغية، حيث تفطنّ علماء العربيّة ومنذ وقت مبكر أنّ اللغة ليست وسيلة للوصف والإخبار والتقرير فقط، وإنّما هي أيضا وسيلة للإنجاز وتغيير العالم، وهذا ما لم يدركه علماء اللسانيّات التداوليّة إلا مؤخرا، ولأهميّة الموضوع خصصنا الحديث عنه ببيان بعض نقاط التقاء نظرية أفعال الكلام مع منجزات العرب في علم الأصول، والبلاغة والنحو وغيرها على أن يكون هدفنا توضيح الامتداد ولبيان الأمانة التاريخية فحسب على حد ما قاله هشام إبراهيم الخليفة.

ب_ نظريّة أفعال الكلام عند الأصوليين:

يبدأ عادة التأريخ للدرس اللساني الغربيّ من إنجازات الأصوليين وذلك لما شهد علماؤها من اعتناء شديد باللغة فبواسطتها ينطق علماء الأصول في شرح وتوضيح القضايا الفقهية، فقد

كانت اللغة «تساعدهم في اتخاذ القرارات الشرعية القضائية، ومن ثمَّ بحثوا في مواضيع القصد أو المعنى النفسي»[1]، وهذا من صميم البحث التداوليّ المعاصر.

كما نجد في أبحاث علماء أصول الفقه «نظرية صالحة لمقاربة أنواع الخطاب الطبيعي، وينهض دليلا على ذلك ما أثبتوه في باب الاقتضاء والمفهوم من قواعد خطابية تفاجئنا بمضاهاتها لما يعرض اليوم في سياق نظريات التخاطب المعاصرة كأنه فتح علمي جديد»[2]؛ فقد تحدثوا المعنى الصريح بما يعرف بالمفهوم والمعنى الضمني بما يعرف بالاقتضاء، وهذا ما وُجد حديثا في نظريّة أفعال الكلام.

كما درس علماء الأصول ظاهرة الخبر والإنشاء التي اتفق معظم الدارسون العرب أنّها مكافئة لنظرية أفعال الكلام[3]، وقد تناول علماء الأصول هذه الظاهرة وفق رؤية تداولية محكومة بآلية البعد المقاصدي، تختلف عن رؤية علماء البلاغة العربية، وعلماء النحو[4].

ثانيًا_ نظرية أفعال الكلام عند البلاغيين :

تتجلى نظرية أفعال الكلام في البلاغة العربيّة ضمن مبحث علم المعاني وتحت قسم ظاهرة الخبر والإنشاء تحديدًا، وهذا ما أكده مسعود صحراوي في كتابه التداوليّة عند العلماء العرب بقوله : «تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية تحديدًا ضمن الظاهرة الأسلوبيّة المعنونة بـ: (الخبر والإنشاء) عند العرب من الجانب المعرفي العام لمفهوم الأفعال الكلامية»[5]، إضافة إلى أنّ مفهوم علم المعاني عند القزويني (ت 739 هـ) هو «علم تعرف به كيفية مطابقة أحوال اللفظ العربي

---

[1]_يُنظر : هشام عبد الله خليفة : نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت_لبنان، ط1، 2007، ص 225 .

[2]_ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص292.

[3]_ يُنظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص49.

[4]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص 56_57.

[5]_ المرجع نفسه، ص 49 .

لمقتضى الحال»[1]، فبواسطة هذا العلم يمكننا معرفة اللفظ المنطوق به وكطابقته للحال المراد التعبير عنها وهذا ما يسمى في نظريّة أفعال الكلام بقصد المتكلّم المرتبط بالسياق، أي إنجاز فعل كلاميّ بناء على قصد المتكلم وحال السامع.

وعليه، يتضح لنا من خلال ما سبق أنّ علم المعاني يهتم بدراسة المعنى في السياق وهذا ما نجد له مقابلا في نظرية أفعال الكلام عند (أوستين وسيرل) فهما يدرسان أفعال الكلام من خلال تحققه من إنجاز داخل السياق، ويؤكد أحمد المتوكل أن الفكر اللغوّي العربّي قد نظر لأفعال الكلام تحت قسم علم المعاني الخبر والإنشاء، يقول المتوكل : «من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية (الخبر/الإنشاء) التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية (الوصف / الانجاز) »[2].

ثالثا_ نظرية أفعال الكلام عند النحويين:

يُعدُّ المخاطب أو المتلقي أساس العمليّة التواصليّة فلا تواصل دون متلقي فهو المسؤول عن فهم قصد المتكلم والتفاعل مع كلام، لتغيير سلوك أو فكرة أو استقبال معلومة، ولذلك أولت اللسانيات التداولية عنايتها بالمتلقي وكذلك تحدث أوستين في نظرية أفعال الكلام عن دوره الفعّال، والنحو العربي لم يكن بعيدا عن هذا، فقد أدرك النحويون دور المتلقي في فهم كلام المتكلّم تظهر هذه العناية في كلام شيخ النحاة سيبويه، يقول: «ولا يجوز أن تقول: بعت داري ذراعا، وأنت تريد: بدرهم، فيرى المخاطب أن الدار كلها ذراع، ولا يجوز أن تقول: بعت شائي شاة شاة، وأنت تريد بدرهم، فيرى المخاطب أنك بعتها الأول فالأول على الولاء... »[3].

---

[1]_الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، 2003، ص4.

[2]_ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي_ليبيا، ط2، 1987، ص 42.

[3]_ أبو بشر عمر سيويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت _لبنان، ط1، (د، ت) ، ج1، ص 393.

ومنه نستطيع القول أنّه من خلال الربط بين التراث العربيّ ونظريّة أفعال الكلام الحديثة يتضح أنّ مفاهيم هذه النظريّة لم تكن غائبة عن أذهان علماء العرب من نحويين وبلاغيين وأصولين وغيرهم بل كانت حاضرة لكن بمسميات مختلفة وهذا ما ينمّ عن عمق التراث العربيّ وثرائه.

رابعًا_ إشكالية مقاربة الخطاب القرآنيّ في ضوء آليات اللسانيّات التداوليّة:

ذهب العديد من الباحثين المعاصرين إلى اتخاذ آراءٍ متعددة حول توسل المناهج الغربيّة ومنها التداوليّة خاصة في قراءة ومقاربة النّص القرآني، بين مؤيد لتحليل النص القرآني لغويا وخلع ثوب القداسة عنه، ومعارض يرى أنّ في القرآن الكريم خصوصيّة وقداسة لا ينبغي مقارنتها بالخطاب البشري، وبين من يقف بين الرأيين موقفا وسطا، بجواز مقاربة الخطاب القرآني وفق آليات المناهج الغربية مع الإحاطة بمفاهيم التراث اللغويّ والاستعانة بكتب التفسير ، والابتعاد عن المصطلحات التي تمس بقداسة القرآن، وانطلاقا من وقوع هذه الإشكاليّة بين الباحثين العرب وتضارب الآراء، ودراستنا تدور حول مقاربة الخطاب القرآني مقاربةً تداوليّةً، قررنا البحث في الموضوع وجعله مبحثا مستقلا حتى تتضح رؤية البحث، والهدف منها.

منذ ظهور ما يسمى باللسانيّات العربيّةالحديثة* مع منتصف القرن العشرين وعودة الوافدين المصريين من الجامعات الأوروبيّة ودراستهم المناهج اللسانيّة الحديثة، ومشكلة المناهج الغربيّة وإمكانية خلق لسانيات عربية قائمة، بين متعصب للتراث رافض لفكرة تطبيق المناهج اللسانيّة الغربيّة، وأنّ التراث اللغويّ قد نضج واكتمل ولا مساس فيه، وبين من اتخذ موقفا وسطا، فيدرس التراث اللغويّ ويفهمه فهما جيّدا ثم يعيد إخراجه في حلة جديدة من خلال قراءته في ضوء ما تقترحه النظريّات اللسانيّة الغربيّة الحديثة، وبين من قام بتطبيق المناهج الغربيّة بكل تفاصيلها على نصوص عربيّة، وعلى رأسهم عبد القادر الفاسي الفهري الذي طبق النحو

*_ يعنى بفكرة اللسانيات العربية الحديثة تلك المؤلفات والدراسات اللسانيّة التي ألفها العرب منذ منتصف الأربعينيات من القرن العشرين والتي تبنؤا فيها مناهج غربية وكان أول مؤلف في ذلك كتاب إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية= يُنظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 18.

التوليدي التحويلي لتشومسكي وأحمد المتوكل الذي طبق النحو الوظيفي لسيمون دايك[1]، ومنذ ذلك الحين إلى وقتنا هذا ظهرت فكرة تطبيق المناهج اللسانية الغربيّة في مقاربة الخطاب القرآني حيث حاول الكثير من الباحثين « توظيف المدارس والنظريّات والاتجاهات اللسانيّة والأدبيّة في معاملة نصوص الخطاب القرآني»[2]، وهنا تضاربت الآراء والاتجاهات بين من ذهب إلى صلاحيّة بعض المناهج الغربية وعدم صلاحيّة أخرى، حيث يرى الباحث المغربي عبد الرحمن بودرع إلى صلاحيّة منهج لسنيات النص وإمكانية مقاربة وتحليل الخطاب القرآني وفق هذا المنهج[3] لعدة أسباب يذكرها في الكتاب الجماعي "مامدى إفادة المناهج النقديّة واللسانيّة الحديثة في دراسة النص القرآني"، والذي يهمنا هو البحث عن مدى صلاحيّة المنهج التّداوليّ في مقاربة الخطاب القرآني، فهل يمكن توسّل آليات التحليل التداوليّ في كشف معاني النص القرآني؟

طبق العديد من الباحثين آليات التداوليّة من أفعال كلام واستلزام حواري وافتراض مسبق وحجاج وغيرها في مقاربة الخطاب القرآني، وظهرت العديد من المؤلفات والدراسات في ذلك، ولعلّ أقدمها كان سنة (2009) على شكل أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه والمسوسمة بالخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي للباحث مؤيد عبيد آل صوينت بالجامعة المستنصرية بالعراق، وبعدها توالت البحوث العلميّة ومنها أيضا في الجزائر أطروحة الدكتوراه للباحث محمد مدور الموسوبة بالأفعال الكلاميّة في القرآن الكريم ـسورة البقرةـ دراسة تداوليّة وكان ذلك سنة (2014)، وهنا ظهرت الإشكاليّة وتضاربت الآراء بين الباحثين، فكيف لمنهج

---

[1]ـ يُنظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللسانيّ العربيّ، ايتراك للنشر والتوزيع، مصرـالقاهرة، ط1، 2004 ، ص13ـ 14ـ15، ويُنظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربيّة، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص34 .

[2]ـ عبد الرحمن بودرع، محمد أبو زبد أبو زيد، أحمد تنوف، ميلود عرنيبة، محمد بلعيد، مصطفى العادل، خالد حسني، سليمان محمد أمين السلامة، مامدى إفادة المناهج النقديّة واللسانيّة الحديثة في دراسة النص القرآني، مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، قطر، 2021، ص 6.

[3]ـ عبد الرحمن بودرع، محمد أبو زبد أبو زيد، أحمد تنوف، ميلود عرنيبة، محمد بلعيد، مصطفى العادل، خالد حسني، سليمان محمد أمين السلامة، مامدى إفادة المناهج النقديّة واللسانيّة الحديثة في دراسة النص القرآني، ص 9.

غربي طبق على لغة غربيّة لها خصوصيتها التركيبية والدلاليّة والاجتماعيّة، أن يطبق على خطاب عربيّ إلهي مقدس؟ بعدما رفضت من أساسها فكرة تطبيق هذه المناهج الغربيّة الدّخيلة على نصوص عربيّة فما بالك بنص مقدس؟ وقد نشر سنة (2021) مقال للباحث جلال سليمة المعنون: بالمقاربة التداوليّة في الخطاب القرآني في البحوث الأكاديمية الجزائرية أفعال الكلام أنوذجا، حيث قدم الباحث بعض نمادجٍ من البحوث الجزائرية في درجة الدكتوراه والماستر ليخلص في نهاية بحثه إلى أنّ هذه البحوث قد قدّمت موروث المفسرين ومفاهيم ومصطلحات التداوليّة عندهم دون فهم جديد، وإنما هي أعمال كشفت المنحى التداوليّ عند المفسرين.

وانطلاقًا من هذه البحوث المَقدّمة توصلنا إلى أنّ مقاربة الخطاب القرآني لم تكن وليدة اليوم، فقد خاض غمارها نخبة من الباحثين بين المشرق والمغرب العربيين، لذلك كان بحثنا يستأنس بجل هذه البحوث، وبما أنّ التداوليّة من أقرب العلوم الغربية للبلاغة العربيّة[1]، ونظريّة أفعال الكلام متمثلة أساسا بما يسمى في البلاغة العربية بأسلوبيّ الخبر والإنشاء لكن التداوليّة اللسانية كانت أكثر تنظيرا ومنهجا ولعلّ هذا سبب مقنع لاتخاذ التداوليّة منهجا في المقاربة بدلًا من البلاغة.

ومن جهة أخرى فإنّ الخطاب القرآني وبغض النظر عن إعجازه وبيانه ونظمه وقدسيته إلا أنّ لغته تخاطب ما ورد عند العرب في عاداتهم وتقاليدهم وكلامهم ...يقول سيويه(ت180هـ) : «ولكن العباد إنّما كلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون»[2]، أليس هذا كافٍ لدراسته ومقاربته دون الاكتفاء بجعله نصًا للعبادة والتقرب إلى الله؟

وتدعيمًا لما سبق ذهبت الدكتورة عائشة هديم إلى تأييد فكرةِ مقاربة الخطاب القرآني بمناهج غربية، حيث أُلّفت بحوث متعددة منها رسالة المجاستير في الحوارات القرآنية بين الرسل وأقوامهم وغيرها من المقالات المجموعة في كتاب مقالات في تداولية الخطاب القرآني وعلومه

[1]_ يُنظر: المبحث الثاني من مدخل بحثنا، (نشأة التداولية عند العرب، وأفعال الكلام عند البلاغيين)، ص 27.

[2]_ أبو بشر عمرسيبويه، الكتاب، ج1، ص331.

المنشور سنة (2021) ، وتقول الباحثة في هذا الكتاب: «ويرتكز اشتغالنا على فكرة نؤمن بها بقوّة، وهي أنّ النص القرآني، بما هو خطاب موجه للنّاس في كل زمان مكان، بخصائصه اللغويّة والثقافية والفكرية والمعرفيّة يحثنا على استنطاق ذهني عميق بقدر طاقتنا الاستدلالية والمعرفيّة، فهو ليس نصا للتبرك والتنسك فقط، بل هو أيضا نص للقراءة والتدبر والاستدلال»[1] فالخطاب القرآني نص قابل للمقاربة التداوليّة بغض النظر عن قدسيته، ومقاربته تداوليًّا لا تعني نزع القدسيّة، إذ أنّ المقاربة تكون على أساس ما قدّمه علماء التفسير والبلاغة العربيّة.

وانطلاقًا مما سبق اتخذ بحثنا المنهج التداوليّ كآلية على أن يكون هدفنا تحليل القرآن الكريم في حدود كلام الفسرين دون مطاوعة القرآن الكريم الاكتشاف مفاهيم جديدة تؤدي بالباحث إلى جعل كلام الله في مستوى واحد مع كلام البشر، حيث يمكن للباحث مقاربة الخطاب القرآني مع أخذ الحيطة والحذر وذلك بالاستعانة بما قاله المفسرون.

وبناءً على ما سبق ذكره ارتئينا للأخذ بالموقف الوسط، فالمناهج الغربيّة على حد تعبير مصطفى غلفان لابدّ منها لكن في حدود المعقول ودون الانبهار بها لكي يكون الغرض هو السمو باللغة العربيّة نحو مستوى نظريّ ومنهجيّ مضبوط ...، ونوظف نظريّة أفعال الكلام الغربيّة في مقاربة وتحليل القرآن الكريم (خطاب بلغة عربية) على أن يكون تحليلنا معتمدا على ما قاله المفسرون وأولهم الطاهر بن عاشور، فتكون مقاربتنا متوافقة مع تراثنا الإسلامي فنستفيد مما قدمته النظريّة التداوليّة دون قطيعة مع ما جاد به علماء التفسير والبلاغة العربية، وفي نهاية الأمر يبقى عملنا مجرد مقاربة قابلة للنقد والزيادة، ومجال الاجتهاد فيها يبقى مفتوحًا.

[1]_ عائشة هديم، مقالات في تداوليّة الخطاب القرآني وعلومه، تقديم عمر بلخير، دار ركائز للنشر والتوزيع، الأردن، 2021، ص7.

الفصل الأوّل:
الأبعاد التّربويّة للإخبريّات في سورتي الإسراء والأنفال.

تمهيد:

المبحث الأول: الأبعاد التّربويّة للإخباريّات في سورة الإسراء

المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للإخباريّات في سورة الأنفال

خاتمة الفصل الأوّل:

تمهيد:

أُنزل القرآن الكريم لهداية النّاس وايصالهم إلى طريق السعادة والنجاة، والفرح، والغبطة والسرور، يعالج قلوبهم ويصلحها، فيه الشفاء والهداية والنور والرحمة منهج حياة فيه التهذيب والإصلاح والتنظيم لكافة الميادين، يضم في ثناياه أرقى أنواع التربيّة التي لو سار عليها البشر لحققوا الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، فيه حل لمشكلات البشر على مختلف العصور سواء كانت دينية أو اجتماعية أو اقتصادية ... وبقدر تمسك النّاس بهديه يحصل لهم الخير والسعادة والسّلام والاطمئنان ويحدث العكس إن هم نأو عنه وأعرضوا.

ومن أجل الوصول بالإنسان إلى أسمى الغايات وكبرى الأهداف والمقاصد التشريعية تولى القرآن الكريم تربيته بالحكمة، والموعظة، وبالقصص، والعبر وإيقاظ النفس البشريّة، وهدايته إلى الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿**لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ**﴾[1]، فالقرآن مصدر رئيس لتربيّة الإنسان والمجتمع، يضمّ أبعادًا تربويّة فكريّة، ونفسيّة، وسلوكية....وفي سورة الإسراء، والأنفال العديد منها.

لذلك نبدأ رحلتنا في تحليل هذه الأبعاد التربويّة في سورتيّ الإسراء والأنفال انطلاقًا من **الأبعاد الفكريّة** للخطاب القرآني، فهو يبث فيك فكرة أولا تدعوك للتأمل والتدبر فتزرع في نفسك نوازع الخير والعطاء ثمّ يخاطب النفس البشرية لتطمئن وتصبر أو لتتألم فتتأمل، فيزكيها ويطهرها، وهذا ما أسميناه **بالأبعاد النفسيّة**، عندما تتأثر النفس فإنها تحتاج إلى تغيير في السلوك؛ فتلك المشاعر التي يبثها القرآن في نفس الإنسان قادرة على إيقاظ ويتغير السلوك الداخلي فيتربى ويستقيم، وهذا ما ما حاولنا استنباطه وأطلقنا عليه مصطلح **الأبعاد السلوكيّة.**

[1]ـ سورة يوسف، الآية: 111.

وسنحاول الكشف عن هذه الأبعاد التربويّة بأنواعها الثلاثة، انطلاقاً من تحليل أفعال الكلام الإخباريّة الواردة في آيات هاتين السورتين، محاولين بذلك المزج بين الجانب اللسانيّ التداوليّ والتربويّ الإصلاحيّ على حد سواء، حتى يكون بحثنا مرجعا لطلاب العلم في المجال اللغوي من جهة والتربويّ والأخلاقي من جهة أخرى ونستعين في ذلك بمقولات نظرية الفعل الكلامي وبما جادت به أبحاث التداوليين المعاصرين أمثال أوستين وسيرل وفان دايك، إضافة إلى كتب التفسير الحديثة والقديمة.

وقبل ذلك نورد فيما يلي تعريفًا موجزًا للسورتين (مدونة البحث):

يضمُّ بحثنا مدوّة تمثلت في سورتين من القرآن الكريم، السورة الأولى مكيّة والثانيّة مدنيّة، وقد قصدنا باختلافهما بيان الفرق بين المكيّ والمدني من حيث أفعال الكلام وما تحققه من أبعاد تربويّة، ونعرض في ما يلي التعريف بالسورتين من حيث سبب النزول والموضوعات الرئيسة، ومناسبة كل سورة لما قبلها وما بعدها.

أولًا_ سورة الإسراء:

إنّ كل سورة من سور القرآن لها مضمونها، ومنهجها، وخواصها من حيث سبب تسميتها، وسبب نزولها، وعدد آياتها وصلتها بالسورة التي قبلها وبعدها، وأهدافها، ما جعل لكل سورة خصائصها التي تميزها، ومن ثمّ كان من اللازم لدراسة سور القرآن الكريم أن نعرض بالبحث لهذه الجوانب لندرك جلّ هذه الخصائص ومميزات السور، وكيفية علاج القرآن الكريم لأحداثها، وسنبيّن فيما يلي أهم تلك الجوانب ونبدأ بسورة الإسراء.

- **تسميتها:**

ترتبط سور القرآن الكريم بأسماء خاصة بها، وقد يكون لها اسمان فسورة الإسراء تسمى سورة سبحان وبني إسرائيل[1]، وسميت بسبحان لأنّها افتتحت بهذه الكلمة[1]، وسميت بني

[1]_ شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت_لبنان، (د، ط)، ج 15، ص 2.

إسرائيل؛ لأنّها تناولت حاضر بني إسرائيل ومستقبلهم وجاءت بذكر أحوال خاصة بهم لم تذكر في غيرها[2].

❖ **موضوعها:**

تمّ التطرق في سورة الإسراء إلى العديد من الموضوعات من بينها أهميّة القرآن في حياة الإنسان وبأنه شفاء لما في الصدور، يهدي للتي هي أقوم، وبيان بعض حدود الله التي لا يجب تجاوزها من بينها أكل مال اليتيم وقتل النّفس التي حرم الله والقرب من الزنا وغيرها لكن العنصرالبارز في هذه السورة هو شخصيّة الرسول (ﷺ) وما أيده الله به من المعجزات الباهرة[3]، فقد أكرم الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة إلاهية وهي الانتقال به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالشام حيث فرض عليه الصلاة لتكون رباطا بين المخلوق والخالق، وقد ذهب جمهور العلماء على أن الإسراء كان بالروح والجسد يقظة لا مناما، وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان بالروح فقط وكان في النوم لا في اليقظة[4].

❖ **مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها:**

أ_ لما قبلها:

سبق سورة الإسراء سورة النحل، «والحديث في سورة النحل مسوق لإثبات الوحدانية، والنبوة، والبعث، وهو الموضوع نفسه الذي تعالجه سورة الإسراء، إلا أن سورة النحل عمدت في الاستدلال على ذلك، إلى سوق الآيات الكونية والتذكر بالنعم»[5].

ب_ لما بعدها:

---

[1]_ يُنظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، ط4، ج 2، ص 151.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، 1984، ج15، ص 5.

[3]_ الصابوني، صفوة التفاسير، ج 2، ص 150.

[4]_ يُنظر :عبد الله شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ،مطابع الغيمة المصرية العامة للكتاب، (د، ط)، 1986، ص 191 _192.

[5]_ السيد محمد علي النمر، سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، مكتبة طاهر أحمد المختار، ط1، 1988، ص 14.

تتناسب سورة الإسراء مع سورة الكهف في تحدث هذه الأخرة عن «الموضوع الذي تحدثت عنه سورة الإسراء وهو العقيدة بجوانبها الثلاثة، التوحيد، والرسالة، والبعث ولكنها عالجت ذلك عن طريقة القصة وضرب الأمثال، ولقد انتهت سورة الإسراء بتنزيه الله عن الولد والشريك»[1].

❖ **موافقة أول السورة لآخرها:**

افتتحت سورة الإسراء بالحديث عن «القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ وختمت أيضا بذكر القرآن قال تعالى: (وَبِٱلْحَقِّ)، وذلك للتأكيد على أهمية القرآن وبيان مكانته ومنزلته»[2]، وهذا ما يوضح التناسب بين أوّل السورة وآخرها.

❖ **فضلها:**

وقد وردت عدة أحاديث في فضل سورة الإسراء (بني إسرائيل) وبأنها من بين السور التي يحث على قراءتها وتدبرها كل ليلة، فعن عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يقطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم. وكام يقرأ كل ليلة ببني إسرائيل، والزمر»[3]، حيث أنّ في قراءة هذه السور فضل ونفع واستفادة تعود على العبد بالخير في الدنيا والآخرة[4].

ومن فضلها أيضا أنّها من أوائل السور القرآنية التي أُنزلت وتمّ تعلمها في مكّة المكرّمة، «فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء إنهنّ من العِتاق الأوّل وهن من التِلاَدِي»[5]، فهؤلاء السور من قديم ما نزل من القرآن الكريم.

---

[1]_ السيد محمد علي النمر، سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، ص16.

[2]_ عادل محمد خليل، أوّل مرة أتدبر القرآن،الكويت، ط2، 2016، ص 96 .

[3]_ أخرجه أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط1، 2008، ج 6، ص68

[4]_ زكي بن سعد بن فهد الهويمل، خواص القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ص405.

[5]_ أخرجه البخاري ، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (4994).

❖ **أغراض السورة:**

اشتملت سورة الإسراء على العديد من الأغراض والأهداف حيث بدأت «بالحديث عن الإسراء بالنبي الأمين، والسورة في مجملها تتحدث عن النبي وعن القرآن الذي نزل عليه ووقف المشركين من هذا القرآن»[1].

ومن أغراضها أيضا إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وفضل القرآن الكريم وبأنه معجزة، والتذكير بنعم الله التي سخّرها للنّاس، والحث على إقامة الصلوات في أوقاتها والحديث عن مكارم الأخلاق، وتهديد المشركين ...[2]

ثانيًا_ سورة الأنفال:

سورة الأنفال من السور المدنية، وهي السورة الثالثة نزولا بالمدينة بعد الفاتحة والبقرة[3]

❖ **تسميتها :**

من مسمياتها سورة الأنفال ، وسمّيت بهذا: «لسؤال الناس عن أحكامها والمراد بها الغنائم الحربية»[4]، فالمقصود بالأنفال غنائم الحرب.

وقد سماها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، سورة بدر، قال سعيد بن جبير (95هـ): «قلت لابن عباس: سورة الأنفال: قال تلك سورة بدر»[5]، وذلك لنزولها في واقعة بدر، وسمّاها

---

[1]_ عبد الله شحاتة، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص 194.

[2]_ يُنظر : ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص8_9_10

[3]_ الزهري، ابن شهاب، تنزيل القرآن، ، تحقيق صلاح الدين منجد، دار الكتاب الحديث، بيروت، ط2، ص 29.

[4]_ الزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج9، ، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، ص 236.

[5]_ أخرجه مسلم، رواه سعيد بن جبير ، صحيح مسلم، رقم الحديث(3031)، ص 1212، وينظر: السيوطي، الإتقان، ج1 ص 100، وابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص 5.

الطبري سورة الجهاد[1]، وذلك لاشتمالها على حكم الجهاد والحث عليه وعلى قتال المسلمين وغلبتهم على الكفّار.

❖ **تاريخ نزولها:**

يقول الطاهر بن عاشور(ت1393هـ): «اتفق رجال الأثر كلهم على أنّها نزلت في غزوة بدر، قال ابن إسحاق: أنزلت في أمر بدر سورة الأنفال بأسرها وكانت غزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة بعد عام ونصف من يوم الهجرة»[2].

❖ **موافقة أول السورة لآخرها:**

بدأت سورة الأنفال المباركة بذكر مكاسب غزوة بدر من الأنفال قال تعال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ ﴾.

وختمت السورة أيضا بذكر مكسب من مكاسب الغزوة وهو الأسرى قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾.

أمّا بالنسبة لأفعال الكلام الإخباريّة (Assertive) أو الإخباريّات وهناك من يسميها التقريريات، هي الأفعال التي يكون الغرض الإنجازيّ منها وصف المتكلّم واقعة معينّة من خلال قضية ما، وأفعال هذا الصنف كلّها تحتمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم (words _to_world)وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها[1]، ومن ثمّ فإنّ هدفها يتمثل في «تعهد المتكلّم (بدرجات متنوعة) بكون شيء ما حقيقة واقعة، وبصدق القضيّة المعبر عنها، وجميع أعضاء هذه الفئة قابلة للتقييم في حدود الصدق والكذب»[2]، إلا كلام الله فلا يمكن وصفه بالكذب فهو منزه عن الخطأ والنقص؛

[1]_ يُنظر: أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرف، ط4، 1926، ج3، ص 397_536.

[2]_ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص 245.

لذلك فإنّ الإخباريّات في الخطاب القرآني لا يمكن أن توصف بالصدق والكذب لأنّها تخص كلام الله تعالى وما كان من عند الله فهو منزه عن الشك والارتياب فجميع كلامه صادق مطاقا[3]؛ لذلك فإنّ كل كلامه يوصف بأنّه مطابق للواقع.

وقد تخرج التقريريات لتحقيق غرض إنجازي غير مباشر* أو ما يعرف بالقوّة الإنجازية غير المباشرة كالوعد والوعيد، والأمر، والمدح، والثناء...[4]؛ فقد يكون ظاهر الآية خبر إلى أنّ المقصود به إنشاء فعل غير الخبر، كالأمر، وغيرها ومثال ذلك قوله تعالى:﴿۞وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾[5]؛ فظاهر الآية إخبار إلا أن المقصود هو توجيهات الأمّهات بأن يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد إكمال الرضاعة.

ونلحظ وجود مقابل لمثل هذا النوع من أفعال الكلام عند استقرائنا للمدونة العربيّة التراثية؛ فقد مثل لها سيبويه (ت180هـ) بألفاظ جمعها في قوله: «سلامٌ عليك، ولبيك، وخيرٌ بين يديك، وويل لك [...] وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6] [...] فهذه كلها حروف مبتدئة مبني عليها ما بعدها والمعنى فيهنَّ قد ثبت عندك وليست في حال حديثك تعمل في إثباتها»[7]، فمقصود سيبويه هو أنّ هذه الألفاظ تحمل معنى خبر قد علمت وثبت عندك وتريد

---

[1]_ يُنظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 78_79.

[2]_ إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، ص 232.

[3]_يُنظر: محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014، ص81.

* _وقد خصصنا قسم الإخباريات (التقريريات) بالحديث عن الأفعال الإنجازية المباشرة لها فحسب مثل والوصف، والإخبار، والتقرير، وما ابتق عن هذا الصنف من أفعال غير مباشرة وضعناه تحت القسم الذي خرج الخبر لتحقيقه، فإذا حقق غرض الوعيد أو الوعد صنفاه ضمن الازاميّات وهكذا دواليك، مع الإشارة إلى ذلك.

[4]_ علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، ص 155.

[5]_ سورة البقرة، الآية: 233.

[6]_ سورة هود، الآية: 18.

[7]_ أبو بشر عمر سيبويه، الكتاب ، ج1، ص 213_214.

إيصاله للمخاطب وهذا هو معنى التقريريات كما جاء في نظرية أفعال الكلام الغربية عند كل من أوستين وسيرل.

المبحث الأوّل: الأبعاد التربويّة للإخباريّات في سورة الإسراء:

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (1):**

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾.

ورد في حادثة نزول هذه الآيات أنّها نزلت عندما ظهر الفساد في بني إسرائيل في أرض الشام وبيت المقدس وما والاها، فبعث الله عليهم عبادا قيل هم من أهل بابل وكان عليهم بُختنصر في المرة الأولى وقيل جالوت، ثم انتصر بنو إسرائيل بعد سنة طويلة من الاضطهاد فقتل داوود جالوت ورزقهم الله بالأموال والقوة[...] وذلك بسب رجوعهم إلى الله تعالى بالعمل الصالح [1]، ثمّ وقع من بني إسرائيل إفساد ثانٍ فأعاد الله عليهم العباد أولي بأس ليقاتلوهم ويجوسوا خلال ديارهم والجوس هو«التخلل في البلاد وطرقها ذهابا وإيابا لتتبع ما فيها، وأريد به هنا تتبع المقاتلة فهو جوس مضرة وإساءة بقرينة السياق»[2].

وقيل أن وعد الله بتدميهم ومقاتلهم لم يقع بعدُ[3]، ويظهر ذلك وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾.

---

[1]_ يُنظر: أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، ج13، ص 20_21.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص31.

[3]_يُنظر : نصر خليل جحان، وعد الآخرة زوال لا إبادة، تقديم محي الدين الأسطل،مكتبة دار الأرقم، غزة، 2018، ص 61_62 _63 .

وبالنظر إلى ما سبق يمكن القول، إنّ **الفعل القولي** لهذه الآيات يكمن في الجملة الفعلية المتصدرة بالفعل (قضينا) وهو فعل ماض بمعنى «أخبرنا وأوحينا»[1]، والفعل الماضي يفيد أنه قدم وأُنجز لدلالته على المضي فلمّا كانت أحكام الله سارية المفعول عبر عنها بالفعل الماضي لتحقق الوقوع، أمّا **المحتوى القضوي** التي تتحدث عنه هذه الآيات هو الإفساد الذي حدث والذي سيحدث من قبل بني إسرائيل، حيث أخبرهم الله وأوحى إليهم في كتاب التوراة بأنّهم سيفسدون في أرض مصر مرتين ـوهناك من قال أن الأرض هي فلسطينـ، والمقصود بالإفساد هو عملهم للمعاصي واستعلاؤهم وتسلطهم وتكبرهم بغير حق، فإذا تحقق إفسادهم في المرة الأولى أرسل الله إليهم عبادا أولي قوة أبادوهم وقاتلوهم[2].

فالله بعِلمه الغيبي الذي لا يعلمه إلا هو أخبرهم بما سيقومون به من فساد، وقضاء الله هنا لا يعني أنه أراد السوء بأهل فلسطين فحاشاه الله أن يفعل ذلك، لكن الخير والشر بيد الله والخيرة دائما فيما اختاره الله لنا[3]، وهؤلاء المفسدين «سيتحملون عواقب هذه المعاصي وسيحاسبهم الله عليها في الدنيا أو في الآخرة»[4]، هناك من يرى أن الإفساد الأول قد حدث قديما ومضى أما الإفساد الثاني فهو لم يقع بعد وإنما الله يحدثنا عن شيء سيقع في المستقبل وهو الفساد الذي نراه اليوم على أرض فلسطين المباركة[5]، وغيرها من الآراء التي اختلف حولها المفسرون من القدماء والمحدثين في تحديد زمن الإفسادين .

وبعدها يثبتُ الله سبحانه وتعالى بأنّه سيعود عليهم بالعذاب في إفسادهم الثاني، في قوله: ﴿**فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا**

---

[1] ـمحمد بن عبد العزيز الخضيري، السراج في بيان غريب القرآن، مجلة البيان، 2008، ط1، ص122.

[2]ـيُنظر : فخر الدين الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1981، ج20، ص 155 .

[3]ـ يُنظر: القناة الرسمية للأستاذة الدكتورة رقية العلواني، تدبر سورة الإسراء: الحلقة الأولى (الآية من 1 إلى3)، نشر منذ ثلاث سنوات، شُوهد سنة 2022، رابط الفيديو:https://youtu.be/QIogPrWfVJI?si=y_VsXrtp3DGvohFk

[4]ـ نصر خليل فجان، وعد الآخرة زوال لا إبادة، ص 53 .

[5]ـيُنظر : المرجع نفسه ، ص 61ـ62 ـ63 .

﴿عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ۝٧﴾، «ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعد فشردهم الله في الأرض ودمّر مملكاتهم تدميرا»[1] وأصبحوا بلا موطن يأويهم.

ومنه، نستطيع القول إنّ هذه الآية أفادت لأوّل مرة خبر الإفساد الذي قامت به بنو إسرائيل وما سلطه الله عليهم من عبادٍ أولي بأسٍ وبما سيفعلونه بهم جراء ما فعلوه من تخريب في ذلك الحين وفي الزمن القادم، (وعد الآخرة) فلم يكن لدى المخاطبين علم بهذا الخبر قبل نزوله في هذه الآية.

وبالتالي فإنّ ملفوظ هذه الآيات استطاع أن يولّد **فعلا إنجازيًّا** إخباريّا مباشرا يتوخى فيه المتكلّم (اللهﷻ) إخبار المخاطب أمرًا حدث في الماضي وآخر سيحدث في المستقبل(الإفساد الثاني لبني إسرائيل)، واتجاه المطابقة في هذه الأخبار (الإخبار بالماضي وبالأحداث الغيبية المستقبلية) من الكلمات إلى العالم، فهذه الآيات أخبرتنا عن الوعد الذي أوحاه الله لبني إسرائيل والإفساد الذي سيقومون به في أرض فلسطين المباركة.

وعليه، يمكن القول إنّ هذه الآيات ضمت سلسلة من الأفعال الكلامية **الإخبارية**؛ فالقرآن يخبرنا أولًا بالإفساد الذي ستقوم به بني إسرائيل وسيكون على مرتين، يقول تعالى: ﴿**لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾، ثمّ يخبرنا بأنه سيرسل عليه جنودا ذوي قوة وبطش حتى يحدوا من إفسادهم، وبعدها يخبرنا بإفسادهم الثاني وعقابهم الذي ينتظرونه قال تعالى:﴿**وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ**﴾؛ فالخبر الذي تضمنته الآية الكريمة فعل كلامي نقل الواقع نقلًا أمينًا فهو من الإخباريّات واتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم.

وجاءت الأخبار كلها مؤكدة (بلام القسم) و(نون النسوة) التي تفيد التوكيد، يقول القرطبي: « واللام في ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾لام قسم مضمر»[2]، ويسمى هذا الخبر في عرف النحاة العرب الذي يستعمل فيه أكثر من مؤكدين بالخبر الإنكاري ويكون بحسب حالة

[1]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003، المجلد4، ج15، ص2214 .

[2]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 20.

المخاطب[1]، فالخبر موجه إلى بني إسرائيل المعروفين بالإنكار وعدم التصديق، ويمكن القول أنّ الخبر هنا جاء مؤكدا بأكثر من مؤكد واحد، «لأنه أولا يشير إلى أحداث غيبية مستقبلية تحدث لبني إسرائيل وهي إفسادهم وطغيانهم في الأرض في مرحلتين تاريخيتين، ثمّ ذكر هلاكهم على أيدي عباد الله»[2]، فاستعمال هذه العلامات (أداوت التوكيد) أدى إلى تقوية الخبر، وهذا ما نجده عند سيرل بالعوامل المساعدة على زيادة وتعديل درجة شدّة القوّة الإنجازية[3] ؛ فاستعمال أدوات التوكيد في تقوية الحدث وتوكيده، ومنه زيادة درجة شدة القوة الإنجازية.

إلاّ أنّ التعبير القرآني في هذا المقام ـومع ما تضمنه من إخبارـ تتجلى فيه مضمرات عمادها: الوعظ والزجر، فما حدث لبني إسرائيل ما هو إلا نصح ووعظ من أجل أخذ العبرة وزجر لتجب تصرفاتهم.

ومنه، يمكننا القول إنّ الفعل التداوليّ المراد هنا هو الوعظ والزجر، والفعل الإنجازي لا يمكنه أن يكون فعلا كلاميا إنجازيا إلا بتضافره مع الفعل القولي والفعل التأثيري ومنه يرى شكري المبخوت ـونحن نتبنى رأيه بشدة إلاّ في بعض الأفعال الكلاميةـأنّه لا يجب الفصل بين الفعل التأثيري والفعل المتضمن في القول والفعل القولي لأنّ التأثير بالقول جزء من تكوين بنية الفعل اللغوي وردة فعل المخاطب فهذه الأفعال الثلاثة تعد كفعل لغوي واحد لا فصل بينها[4]. فما الفعل التأثيري الذي يمكن استنتاجه من خلال الفعل الإنجازي لهذه الآيات ؟ من المتوقع أن يكون **الفعل التأثيري** لهذه الآيات إيجابي التأثير وذلك لما تم توظيفه من عناصر معجمية (أدوات التوكيد) ومنه نستطيع القول إنّ الفعل التأثيري هنا يتعلق باستثارة المتلقي من أجل

---

[1]ـ يُنظر: أبو يعقوب محمد بن عليّ السكاكي، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروتـلبنان، ط2، 1997، ص 208، والقزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص28ـ 29.

[2]ـ فاضل ضايف سلطان، سورة الإسراء دراسة بلاغية دلالية نحوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة كلية الآداب، 2007، ص 48.

[3]ـ يُنظر: محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، ص 12ـ13

[4]ـ يُنظر: شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوي ، ص14.

أخذ العبرة مما وقع لبني إسرائيل، ومنه الدعوة إلى الرجوع إلى الله، فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وكل تلك الأخبار إنّما جاءت من أجل أخذ العبرة لما وقع لبني إسرائيل؛ فالقرآن الكريم عندما يسوق لك تلك الأخبار فهو لا يسوقها من أجل الإخبار فحسب وإنما هناك تلويح وأمور متضمنة في القول؛ فإفساد بني إسرائيل وقع بسب مخالفتهم منهج الله لذلك فهو ينبهنا ويحذرنا من مخالفة منهجه في الحياة[1]، والخطاب موجه إلى كافة المسلمين وليس لبني إسرائيل ـفي ذلك الوقتـ فحسب؛ فالخطاب القرآني السابق يمكننا توظيفه في سياق ارتفع فيه الفساد، وانتشرت رذائل الأخلاق.

ومن خلال ما سبق يمكننا الوقوف على مجموعة من **الأبعادِ التربويّة** نذكر منها ما يلي:

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الإخبار:**

مما لاشك فيه أنّ الفعل الكلام الإخباري في هذه الآيات وما ضمه من عوامل ساهمت في زيادة درجة شدة القوة الإنجازية أبعاد وأسرارتربيوية؛ فالقرآن الكريم لم يقصد هذه الأفعال لذاتها بل «لغايات وأهداف تتناسب مع غايته الكبرى وهي هداية النّاس إلى كل خير»[2]، ومنه فالقرآن الكريم يبغي من وراء ذلك تربية فكرية بأخذ فكرة تصحح العقيدة أو تدفع الفكر لإعمال العقل بالبحث والدراسة، ثم تأثيرا في النفوس يساهم في طمأنتها ونزع الضغوطات عنها، وبعدها تغييرا في السلوك بتقويمه بدفعه إلى فعل الخير وإبعاده عن فعل الشر، فما الأبعاد التربويّة التي حققها الفعل الكلامي الإخباري في هذه الآيات المباركة؟

1ـ الأبعاد الفكريّة: جاءت هذه الأخبار (الفعل الكلاميّ الإخباري) مخاطبة الفكر البشري بقوله تعالى:﴿**وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ** ...﴾ هو يريد أن يثير فيك فكرة فلم يتكلّم

[1]ـ يُنظر: القناة الرسمية للأستاذة الدكتورة رقية العلواني، تدبر سورة الإسراء: الحلقة الأولى (الآية من 1 إلى3)، نشر منذ ثلاث سنوات، شُوهد سنة 2022، الرابط:

https://youtu.be/2auWUdAZUl8?si=0CdLKEdBQvjVOevq

[2]ـ عبود حميودة، الصورة البيانية والبعد التربوي دراسة في سورة البقرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربدـالأردن، ط1، 2016، ص 69.

عن التفاصيل والجزئيات والأحداث والقصص، فهو لا يريد من القارئ أن يغوص في تلك الأحداث مما وقع لني إسرائيل من هلاك من قبل خبنصر أو طالوت وغيرهم، إنّما سبحانه وتعالى هو يريدك أن تشغل فكرك لكل هذه الأمور التي وقعت لني إسرائيل وسبب وقوعها فالله سبحانه يربي فكرك بكل هذه الأخبار، الله يريد منك أن تقف عند المقصد فكل ما وقع لني إسرائيل وقع بسبب مخالفتهم منهج الله واستعلائهم واستكبارهم وظلمهم وأنت عندما تخالف المنهج سيقع منك الفساد وعندما تفعل ذلك ستسلط عليك أقوام أخرى وتفعل بك ما فعلت فعليك بمراجعة فكرك ومنهجك .

2_ الأبعاد النفسيّة: من وظائف القرآن الكريم تزكية النفس، بزرع معاني الخير فيها، وتصفيتها من معاني الشر، بمعنى أن القرآن أُنزل ليعالج أمراض النفس لتنطلق في الحياة تعبد ربها ويساعد بعضها بعضا وتعمر الأرض بكل ما هو خير[1].

فالنّفس البشرية لا تستعصي على الارتفاع، حيث تجد التوجيه والترغيب، ولكنها حين تترك وشأنها أو حين تجد المغريات الدائمة للهبوط فلا شك أنها تهبط حتى تصل إلى مستوى الحيوان[2].

والخطاب القرآني يتميّز بقوته التأثيريّة، وذلك لما يحمله من ألفاظ موحية معبرة وأدوات وأساليب متنوعة رصينة وطرق أدائية مؤثرة متغلغلة في النفوس، وجاء كل ذلك بما يتناسب ومقامات المخاطب ونفسياته، فنجد في الخطاب القرآني ضروبا من الأبعاد النفسيّة، ويظهر في ضوء كل فعل كلامي في القرآن الكريم أبعاد وتأثيرات نفسية، وعليه فإنّ للفعل الكلامي الإخباري في هذه الآيات أبعادا نفسية خفية منها:

- ❖ إثارة مشاعر الخوف من ظلم الناس والاستكبار في الأرض بغير حق.

[1]_ يُنظر: عبود حميودة، الصور البيانية والبعد التربوي دراسة في سورة البقرة، ص 257.

[2]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15، ص1980.

❖ تربية الإنسان على الصبر والتحمل: فالإخبار بما حدث لأرض فلسطين وما لاقاه أهلها من عذاب وما يلقونه الآن تعويد على الصبر، فالله (ﷻ) هنا يربي في نفسك القدرة على الصبر والتحمل، فقد يكون تسليط الناس عليك من قبيل الرحمة، فعليك أن تبقى متفائلا مستبشرًا بما عند الله فالخير كله بيد الله وكل شيء يأتي من عند الله تأكد بأنهم خير لك مهما كان، فالله يربيك بالمنحة كما يربيك بالمحنة، ويربيك بالشدّة كما يربيك بالرخاء، ويربيك بالصحة كما يربيك بالمرض، ويربيك بالتفوق كما يربيك بالفشل قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾، فالله يمهل ولا يهمل[1]، وما على المؤمن إلا التفاؤل بالله.

3_ الأبعاد السلوكيّة: بعدما خاطب الله فينا الأفكار والمشاعر فكيف سيكون سلوكنا؟ أخذ العبرة والموعظة لما وقع لبني إسرائيل: الخالق أعطاك المنهج وأنت عليك بالسير على هديه فالهدف من كل هذا هو تجسيد السلوك الحسن القائم على منهج القرآن في الواقع الإنساني وكل ما تقوم به من عمل له جزاء فالجزاء محفوظ وهو من جنس العمل والسلوك الذي تقوم به .

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (2):**

قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠**﴾.

تتكون بنية الفعل الكلامي في هذه الآيات من **الفعل النطقي:** والذي يكمن في الجملة المتكوّن من الناسخ (إنّ) واسمه (هذا) وخبره الجملة الفعلية (يهدي...) ويمكن اعتبارها جملة فعلية بحسب المحدثين أو جملة اسمية بحسب رأي القدمى، وفي قوله تعالى: ﴿**هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ**﴾إحالة إلى الحاضر في أذهان النّاس من المقدار المنزل من القرآن قبل هذه الآية[2]، فكل آية نزلت من

[1]_ رقية العلواني، عنوان الفيديو، تدبر سورة الإسراء، شُوهد سنة 2022، رابط الفيديو:
https://youtu.be/1RoYjLSCLvw?si=Fb_cSn9BzCr4BT9k

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 40.

القرآن الكريم هي في حد ذاتها قرآن[1]، **والمحتوى القضوي** يتمثل في عظمة وشرف وجلالة هذا القرآن فهو يهدي إلى ما هو أعدل وأعلى من الأعمال والأخلاق فمن اهتدى بهداه كان من أقوم الناس وأهداهم[2].

فقد أفادت هذه الآية تقديما وصف لآثار القرآن الكريم، وهي **الهداية** الطريقة الصحيحة والقويمة في الحياة، والتبشير، والانذار.

كما يمكن عد الآية عبارة عن فعل كلامي يفيد التأكيد، فقد جاء الكلام مؤكدا بأداة توكيد واحدة (إنّ) فنتجية لورود المعلومة أول مرة قد يكون المخاطب في شك وتردد من قبول الخبر والتسليم به أو قد أُنزل منزله المتردد الشاك فأدى ذلك إلى تأكيد الخبر وتقويته بأداة واحدة وهي (إنّ)؛ فاستخدام الأداة (إنّ) لجاء لتأكيد على أن القرآن الكريم يهدي «للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله»[3]، لذلك فقد قيل إنّه تم تأكيد الخبر (بإنّ) مراعاةً لحال المخاطبين الذين أنكروا الشرف والعظمة التي تميز بها القرآن وحال المؤمنين من الاهتمام بهذا الخبر[4]، فكلا الأمرين يحتاج إلى تأكيد الخبر.

وعليه، فإنّه يمكن تصنيف هذه الآية ضمن فئة الأفعال الكلامية الخبريّة وذلك لما حملته من أفعال (الوصف والتأكيد)؛ فهذه الأفعال من قبيل أفعال الكلام التي سمّاها (سيرل) الإخباريّات.

ويمكن القول إجمالا إنّ الآية الكريمة تضمنت فعلا كلاميّا إخباريّا قدم خبرا صادقا تتطابقت فيه الكلمات مع العالم، وتمثلت الوظيفة التّداولية للفعل الكلامي الإخباري في التّأكيد على أنّ في هذا القرآن ضمان لسلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم[5]، كما أنّه مصدر

---

[1]_ عبد الله بن إبراهيم السادة، ثلاثون مجلس في تفسير سورة الإسراء، (د، ط)، (د، ت)، ص34.

[2]_ يُنظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي،تفسير السعدي، مكتبة الإيمان المنصورة، (د، ط)، (د، ت)، ص471.

[3]_ محمد بن علي محمد الشوكاني، فتح القدير، راجعه يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت_لبنان، ، ط4، 2007، ص812.

[4]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ج15، ص40.

[5]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص40.

لبشارة المؤمنين ويقدم نذارة للكافرين، وتوظيف العلامة المعجمية (إنّ) ساهم في زيادة درجة شدة **القوة الإنجازيّة**، ما جعل الخبر أكثر نجاحًا وتأثيرا في المخاطب؛ فالتّوكيد أو التأكيد يختلف عن الخبر الاعتيادي بمعايير سيرل لأنّه يزيد في درجة شدة الغرض المتضمن في القول[1]، أمّا **الفعل التأثيريّ** فيتمثل في تمسك كل ذي لب سليم وكل إنسان عاقل مكلف بما جاء به القرآن الكريم وبكل ما يضمه من شرائع وأحكام كيف لا وهو الهادي والمبشر.

- **الأبعاد التّربويّة لفعليّ الإخبار والتأكيد:**

إنّ في التّأكيد على أنّ القرآن الكريم هادٍ إلى سبيل الرشد والطريق المستقيم الذي لا التواء فيه أبعاد تربيوية نذكر منها:

1_ الأبعاد الفكريّة: إنّ في الوصف والتأكيد على أنّ القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم بعدا فكريا يساهم في بناء العقيدة السليمة التي منبعها الأساسي القرآن الكريم «فهذه القاعدة تجعل المؤمن يزداد يقينا بعظمة هذا القرآن وأنّه الكتاب الوحيد الذي يصلح لكل زمان ومكان»[2]، ومنه إعادة الاعتبار لهذا القرآن الذي اتخذه الكثير في زماننا هذا مهجورا ، فكيف نهجر القرآن وفيه المنهج الصحيح القويم الذي لا يحتاج منا إلى زيادة ولا نقصان؟؛ فالبقرآن ترقى الأمّة وتحيا «فما كانت الأمة الإسلامية قبل نزول الآيات الأولى من (سورة العلق) شيئا مذكورا، وإنّما كان هذا القرآن فكانت هذه الأمّة»[3].

التأكيد على أنّه يوجد في كتاب الله كل ما يصبو إليه الإنسان ففيه من الخير والصلاح ما يضمن للأمة الإسلامية الحيدة عن الطريق الأقوم.

القرآن الكريم هو كتاب الهداية، يهدي إلى ما هو أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره.

---

[1]_ يُنظر: مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، ص207.

[2]_ عمر بن عبد الله المقبل، قواعد قرآنية في النفس والحياة، مركز تدبر للاستشارات التربوية والعلمية قواعد قرآنية، المملكة العربية السعودية، ط2، 2012، ص 307.

[3]_ فريد الأنصاري، مجالس القرآن، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 2015، ج1، ص 9.

2ـالأبعاد النفسيّة: القرآن الكريم يبث في النفس الاطمئنان والراحة، فهو كافٍ لكل ذي لب سليم، وهادٍ لكل أمر قويم[1]، فكلّما دب في نفوس المؤمنين اليأس والقنوط فالحل هو القرآن الكريم، فكيف لا نتلوه ولا نتدبر معانيه؟

3ـالأبعاد السلوكيّة: إنّ من المتوقع أن في التأكيد على هداية القرآن الكريم وقدرته على ذلك آثار تُساهم في تغيير سلوك الفرد والمجتمع المسلم فمادام القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم فعلى الفرد التمسك بالقرآن الكريم تلاوةً وتدبرًا وعملًا، وجعل كل سلوكاتاته مستواحات من أحكامه وشرائعه، وذلك يكون باكتشاف أسراره والوقوف عند كل آيات من آياته بالبتأمل والتفكر، فلا يوجد كتاب يشابه القرآن الكريم، كل آياته تدفع العقول إلى البحث والدراسة...[2]

ومن حاد عن هديه القرآن الكريم «فقد ضل وغوى وخاب وخسر، فحياته بؤس وشقاء وهم وعناء، قد حرم كل خير وسعادة وكل أنس وهناء...»[3]، فوجب على كل مسلم مكلف أن يخصص للقرآن وقتا، فكل ما زاد اهتمام الإنسان بالقرآن كلّما زاده ذلك خيرا وبركة وبصيرة... فعالج فؤادك بالكتاب فهو شفاء للروح وطِب للقلوب.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (3):**

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا** ﴿٤١﴾﴾.

وضّح الله (ﷻ) في هذا القرآن الأحكام وأكثر الأدلة والبراهين وقدم المواعظ لأجل أن يتذكر النّاس ما ينفعهم فيسلكوه وما يضرهم فيدعوه ولكن أبى أكثر النّاس إلا نفورا عن آيات الله لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل[4].

---

[1]ـ يُنظر: سامي بن محمد العمر، الابتلاء بوابة الاصطفاء،(د، ط)، 1441هـ، ص 45.

[2]ـ يُنظر: العربي بختي، العقل في القرآن والسنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر-بن عكنون، (د، ط)، 2015، ص39.

[3]ـ عايد بن عبد الله الحربي، وصايا سورة الإسراء (تفسيرها ودلالتها)، المجلة الإسلامية، العدد 131، ص131.

[4]ـ السعدي، تفسير السعدي ، ص 476.

وبالنظر إلى ما سبق، يمكن القول إنّ **الفعل القولي** لهذه الآية يتمثل في **الفعل النطقي** الظاهر في الجملة الاسمية والظاهرة ﴿**وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ...**﴾ وفي قوله تعالى:﴿**لِيَذَّكَّرُواْ**﴾ «أصلها يتذكروا فأدغم التاء في الذال لتقارب مخرجيهما»[1]، وهذا ما يسمى في علم التجويد بالإدغام المتجانس، والضمير (واو الجماعة) إحالة شخصية أولائك وزعموا أنّ الملائكة بنات الله[2] واتخذوهم من دون آلهةً.

أمّا القسم الثاني من الفعل القولي، يتمثل في **المحتوى القضوي** يتمثل في أنّ الله صرف في القرآن من «الأدلة والبراهين لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلكوه وما يضرهم فيدعوه» [3]، وجاء في آية أخرى من سورة الإسراء بأنّه صرف فيه من كل مثل؛ أي آيات وعبر قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا**﴾ ، ويرى الرازي (ت606هـ) أنّ معنى ﴿**صَرَّفۡنَا**﴾ مأخوذة من التصريف ومعناه في اللغة صرف الشيء من جهة إلى جهة، وقد جاء هنا لمعنى كناية عن التبيين؛ لأنّ من حاول بيان شيء فإنّه يصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر ليكمل الإيضاح ويقوى البيان[4]، ثم بينّ سبحانه وتعالى هذا التصريف بأنّه جاء من أجل أن يتذكر النّاس ما ينفعهم فيه فيسلكوه ما يضرهم فيبتعدوا عنه إلاّ أن معظم النّاس لم يعتبروا به وما زادهم كلام الله إلا نفورا عن الحق وقد ورد في المفردات في معنى﴿**نُفُورٗا**﴾ أنّها من « النفر الانزعاج من الشيء وإلى الشيء كالفزع إلى الشيء وعن الشيء يقال: نفر عن الشيء نفورا قال تعالى: (ما زادهم إلا نفورا) (وما يزيدهم إلاّ نفورا) »[5].

وتأسيسًا على هذا نستنتج أنّ **الفعل الإنجازي،** قد ورد على شكل قوة إنجازية مباشرة تمثلت **الإخبار** عن خصائص ومميزات هذا القرآن العظيم الذي بين أيدينا، وبأنّ المكذبين به

---

[1]ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 109.

[2]ـ يُنظر: المرجع نفسه ، ص109.

[3]ـ السعدي، تفسير السعدي، ص 476.

[4]ـ يُنظر: محمد الرازي فخر الدين، تفسير الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ج20، ص 217.

[5]ـ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت_لبنان، (د، ط)، ص501.

أعرضوا عنه لبغضهم الحق وحبهم الباطل، والملاحظ استخدام أداتي توكيد وهما (لام الابتداء) و(قد) وهي من الحروف التي تحقق الاختلاف والتباين في درجة الشدّة للغرض المتضمن في القول (الإخبار) وقد اتم توظيفها لزيادة شدة القوة الإنجازية وجعل الخبر أكثر تأكيدا ومنه إقناع المكذبين بضلالهم وبهتانهم، يقول مسعود صحراوي: «ولكن هناك فرقًا بين التوكيد وبين الخبر العادي، ويشمل بمعايير سيرل في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول التي يزيدها التوكيد عن الخبر العادي مثبتا كان أو منفيا»[1]، يظهر **الفعل التأثيري** فيظهر في تذكر كل ذي لب سليم بعظيم الأدلة والبراهين التي جاءت في القرآن الكريم.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الإخبار عن خصائص ومزايا القرآن الكريم**

1ـالأبعاد الفكريّة: إنّ في القرآن الكريم أدلة وبراهين تدعو العقول إلى التأمل والنظر «فالحقائق العلميّة المذكورة فيه لم يكتشف العلم الحديث إلّا القليل منها، بل الكثير منها مازال أفكارا مكنونة في أعماق الإنسان حتى تتهيأ لها اللحظة المناسبة»[2]، وكل تلك الأدلة تدعو إلى توحيد الله وعبادته؛ فالمسلم الحق لا يجد في أدلة وبراهين الله شك ولا ريب فهم مسلم بها ومنيب في كل أموره إلى الله، أمّا الذين كفروا بالقرآن الكريم لا تزيدهم تلك الأدلة والبراهين إلّا نفورا عنه فما يزالون منكرين جاحدين لها.

2ـالأبعاد النفسيّة: لاشك في أنّ الإخبار على أنّ الله تعالى صرّف في القرآن الكريم ليتذكر عباده باعث على الإطمان والراحة على أنّ القرآن الكريم دستور حياة وسيكون حتما مصدرا يحتوي النفس تلجأ إليه، عند يأسها وقنوطها، كيف لا هو الشافي لأمراض القلوب؟

3ـالأبعاد السلوكيّة: كل ما صُرّف في القرآن الكريم داعٍ إلى التأمل والنظر والتفكر ثم إلى توحيد الله، وذلك لا يكون بمجرد «القرآة العابرة أو التأمل البسيط وإنّما هوأكثر من ذلك وأعمق بكثير»[3]، لذلك علينا تخصيص ورد كل يوم من القرآن الكريم، نتلوه ونتدبر معانيه فهذا

[1]ـ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 208.

[2]ـ العربي بختي، العقل في القرآن والسنة، ص 40.

[3]ـ المرجع نفسه ، ص41

يفكرنا ويذكرنا بعظمة القرآن الكريم، ويقوي إيماننا بالله، ولابدّ أن نسأل أنفسنا اليوم كيف هو حال القرآن في قلوبنا؟ هل تلوناه كما كان يتلوه أولئك من قبل؟ وما الذي حدث لنا نحن أهل هذا الزمان؟[1] فلابدّ من تصحيح منهج التعامل مع القرآن الكريم.

وكلّ ذلك له فضل وثواب عظيم فتالي القرآن الكريم ومتدبر معانيه والعامل به يلاقى جزاءً وفضلًا يوم القيامة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «اقرؤوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[2]، وعن بُزيدة الأسلمي رضي الله عنه، قال رسول الله (ﷺ): «من قرأ القرآن، وتعلّمه، وعمل به: ألبس يوم القيامة تاجا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم بهما الدنيا»[3]؛ فبركة القرآن الكريم شاملة حتى للوالدين، فهل هذا لا يدعو لتلاوته وحفظه والتأمل في معانيه؟

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(3):**

قال تعالى: ﴿**قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾**﴾.

إنّ في هذه الآي خطاب من الله تعالى إلى المشركين بأمر تعليميّ للرسول (ﷺ) أن يخبرهم بتكذيبهم وعلى أن يكون مع الله آلهة أخرى، وقد روي في حادث نزولها أنّ الكفار كانوا يعبدون الأصنام بحجة أنّها تقربهم من الله زلفى، فقال الله تعالى لو كانت الأصنام كما

---

[1]_ يُنظر: فريد الأنصاري، مجالس القرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 2015 ج1، ص9.

[2]_ أخرجه مسلم ،صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم الحديث 804، ج2، ص 197.

[3]_ أخرجه الحاكم في المستدرك، تحقيق الفريق العلمي لمكتب خرقة السنة، دار المنهاج القويم، الجمهورية العربية السورية،ط1، 2018، باب: ذكر فضائل سور وأي متفرقة، رقم الحديث(2113)، من حديث بريدة الأسلمي، المجلد 3، ص 171.

تقولون تقربكم إلى الله زلفى لطلبت لأنفسها أيضا قربة إلى الله ولطلبت الدرجات والمراتب العليا فلما لم تقدر أن تتخذ لأنفسها سبيلا إلى الله فكيف يعقل أن تقربكم إلى الله[1]؟

إنّ **الفعل النطقي** لهذه الآية يظهر في النطق بالجملة الفعلية المبدوءة بالفعل (قل)، **والمحتوى القضوي** يتمثل في بيان أن أقول المشركين باطلة وأنّ القضية كلها غير ممكنة، فلا يمكن أن تنتزع هذه الأصنام الملك من الله تعالى ولم ولن يكون مع الله آلهة أخرى فقولهم فاسد، فالله منزه عن الشركاء وما يدل على ذلك أنّ كل ما في السماوات والأرض يسبح بحمده، وما بين امتناع القضية هو استعمال الحرف (لو) فلو «كما يقول النحاة حرف امتناع لامتناع، فالقضية كلهما ممتنعة، وليس هناك آلهة مع الله»[2].

وفي قوله تعالى:﴿**سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾ فيه ثناء وتنزيه لله تعالى عمّا افتروا من أنّ له شركاء في الألوهية[3] ؛ فالمقصود بالتسبيح التنزيه[4]، وجاء ووصف العلو بالكبر للمبالغة في النزاهة[5] ثم بين سبحانه وتعالى أن كل المخلوقات تشهد بتنزيهه، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ **إحالة شخيصة** إلى الملائكة والثقلان (الجن والإنس) وقوله:﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ﴾ **إحالة** إلى ما دون ذلك من مخلوقات[6]، وفي هذا كله زيادة في التقرير والتأكيد على أنّه لا توجد آلهة مع الله وأنّ العزة لله جميعا.

والقوّة الإنجازيّة المباشرة تتمثل في الأمر، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾ حيث أنّ في هذا أمر موجه من الله تعالى إلى النبي (ﷺ) ليبلغ المشركين أنّه لا شريك مع الله ولا يمكن لأي أحد كان أن ينتزع منه الملك، والآلهة التي يعبدونها «ما هي إلا

---

[1] يُنظر: فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ج20، ص 218.

[2] ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15، ص 2230.

[3] ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص113.

[4] ـ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص88.

[5] ـ يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، ص825.

[6] ـ المرجع نفسه، ص825.

خلق من خلق الله سواء كانت نجما أو كوكبا، إنسانا أو حيوانا، نباتا أو جمادا»[1]، ولو كان مع الله آلهة « لطلبوا طريقا إلى الوصول إليه ليزيلوا ملكه لأنهم شركاؤه»[2]، وإذا نظرنا إلى ملفوظ الآية والمقصود العام نلاحظ أنّ القصد ليس الأمر الحقيقي على وجه اللزوم والتكليف الفوري، وإنّما الأمر هنا بالفعل (قل) أمر تعليمي شأنه شأن معظم أفعال (قل) المذكورة في القرآن الكريم ـوقد وضحنا ذلك في الفصل الأوّلـ وعليه يمكننا القول إنّ ملفوظ الآية قد عبر عن **قوّة إنجازية غير مباشر ومستلزمة** تمثلت في تقرير حقيقة إنتفاء إلهية الأصنام والملائكة الذين جعلوهم آلهة؛ ففي ذلك إبطال لادّعاء الكفار، وهذا هو المقصود إنجازه، وجملة﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ تنبيه على خطئهم[3]، **وما دعمّ القوّة الإنجازية (المستلزمة)** بالإيجاب العلامة المعجميّة (إذًا) الدالة على «الجواب والجزاء فهي مؤكدة لمعنى الجواب الذي تدل عليه اللام المقترنة بجواب (لو)»[4]؛ فقد أكّد هذا أنّه لا توجد آلهة مع الله ولو وجدوا لعبدوا الله ولتقربوا إليه، فهم لا يفعلون ذلك لأنهم أصنام صم بكم لا يعقلون، وهذا دليل على بطلان ما ذهبوا إليه وتأكيد على انتفاء ذلك، كما يمكننا استثمار قوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ...**﴾ حجاجيّا في زيادة التأكيد والتقرير أنّه تعالى واحد أحد لا يوجد معه شركاء.

وعلى هذا الأساس نقول إجمالا أنّ المقصود من سياق هذه الآيات هو إنشاء فعل يندرج ضمن فئة الإخباريّات وهو التقرير؛ **والفعل التأثيري** يظهر في الإقلاع عن مقالتهم ليغفر الله لهم[5]، فهو الحليم الغفور.

---

[1]ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15، ص 2230.

[2]ـ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج13، ص88.

[3]ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص110ـ111.

[4]ـ المرجع نفسه، ص111.

[5]ـيُنظر: المرجع نفسه، ص 115.

- **الأبعاد التربويّة لفعل تقرير حقيقة إنتفاء إلهية الأصنام والملائكة الذين جعلهم الكفّار آلهة**

1_الأبعاد الفكريّة: الله سبحانه وتعالى إله واحد ولن ولم يكن له شريك في الملك، إليه يرجع الأمر كله وفي ذلك حكمة إلهية؛ لأنّ «أصل فساد العالم إنمّا هو من اختلاف الملوك والخلفاء»[1]، فلو كان هناك حاكم واحد لما حدث الفساد والطغيان، كما أنّ «صلاح السماوات والأرض واستقامتهما وانتظام أمر المخلوقات على أتم نظام من أظهر الأدلة على أنه لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له»[2].

2_الأبعاد النفسيّة: هذا ما يريح النفس، ويغرس فيها الإيمان والسكينة، والطمأنينة، فكيف يضيق القلب، وفي السماء رب واحد، يدبر الأمر كله.

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ الأبعاد السلوكيّة تظهر في توحيد الله والبعد عن الشرك به؛ فهو الذي يسبح له كل من في السماوات والأرض ولا يمكن أن يكون معه آلهة فهو المعبود الذي لا إلاه إلا هو، أفلا يسبحه الإنسان بكرة وأصيلا ويوحدهُ ونزهه عن الصاحبة والولد والشريك؟

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(5):**

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾.

جاء سياق الخطاب القرآني في هذه الآية عبارة عن رد وتبكيت للمشركين الذين لم يقبلوا بدعوة النبي وأنكروا من أن يكون من عظماء وقادة بلادهم[3]، فقالوا: «أبعث الله يتيم أبي

---

[1]_ ابن القيم الجوزية، الداء والدواء، تحقيق، محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، ت)، ص 471.

[2]_ المرجع نفسه، ص 471.

[3]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 136.

طالب رسولا، أبعث الله بشرا رسولا»[1]، فأنكر الله عليهم ادعاءهم هذا وأبكتهم بقوله: ﴿**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ وأثبت أنه الوحيد العالم بمن له الحق في تأدية الرسالة، وقد فضلنا النبيئين على بعض بعلم منه وحكمة من عنده، ولذلك فإنّ في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا**﴾ تأكيدٌ على إبطال أقوالهم.

الفعل القولي ينقسم إلى فعل نطقي: (ربك أعلم) (لقد فضلنا) **ومحتوى قضوي** بشقيه: **المرجع**: النبي (ﷺ) **والخبر** يظهر فيعلم الله المطلق بكل ما هو في السماوات والأرض وهو أعلم أيضا لماذا فضل النبئين على بعض، ولماذا أتى القرآن لمحمد(ﷺ) والزبور لداود (عليه السلام)، أمّا **الفعل الإنجازيّ** فقد ظهر على هئية **قوة إنجازية مباشرة تمثلت في التقرير والإثبات**؛ حيث يعدّ التوكيد من الأفعال الإنجازيّة المباشرة ويصنف ضمن فئة الإخباريات؛ فالغرض من هذا الخبر هو تقرير وإثبات النبوة لمحمد(ﷺ) رغم أنه لم يكن ذا سلطة وعظمة وكان يتيم الأبويين.

ومن الملاحظ استعمال أدوات التوكيد (اللام) و(قد)﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا ﴾التي سبقت الفعل الماضي وهي من حروف المعاني التي تُسهم في تقوية الخبر وتأكيده؛ فالكلام يأتي مؤكدا بمؤكدين «إذا كان المتلقي مترددا في الحكم وطالبا للوصول إلى اليقين في معرفته فيحسن توكيد الكلام ليتمكن في نفسه، ويسمى هذا الضرب من الخبر خبرا إنكاريا»[2]؛ فبالنظر إلى السياق يتضح لنا أنّ الغرض هنا هو تأكيد الخبر وتقريره لدى المشركين المنكرين لكون محمد (ﷺ) هو رسول من الله، وإبطال أقوالهم في تكذيبهم لرسول الله؛ فقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا** ﴾ بمثابة مقدّمة لما جاء بعدها، وتأكيد وتقرير أنّ تعالى قد فضل بعض النبيئين على بعض بعلمٍ منه، وكأنّ تقدير الخطاب هو «كما آتينا داود الزبور، فلا تنكروا أن يؤتي

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15 ، ص 136.

[2]_ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط1، 2003، ص 28.

محمد (ﷺ) القرآن الكريم»[1]، فالله لديه علم بكل شيء، وكل هذه عوامل ساهمت في تقوية الخبر وتوكيده (زيادة درجة وشدة القوة الإنجازية).

وجاء في تفسير التحرير والتنوير أنه خصص داوود(عليه السلام) بالذكر بعد هذه القضية؛ لإثبات أن الله يعطي النبوة لمن يشاء من عباده، فقد كان داوود(عليه السلام) راعيا للغنم ولم يكن ذا سلطة وعظمة لكن الله اصطفاه وجعله نبيا[2]، أمّا المقصود بالزبور فهو اسم لمجموع أقوال داوود (عليه السلام) التي بعضها مما أوحاه إليه وبعضها مما ألهمه من دعوات ومناجاة، فيه المواعظ والحكم والتضرع لله...[3]، أمّا **الفعل التأثيريّ** فيظهر فالاعتراف بنبوة محمد(ﷺ).

ومن خلال ما سبق يمكننا القول إنّ **المعنى الصريح:** يظهر في علم الله بكل شيء وتفضيل النبئين بعضهم على بعض، **والمعنى الاستلزامي:** يتمثل في وجود مشركين منركرين لرسالة الرسول(ﷺ)، **والمعنى الضمني** هوتبكيت وإبطال أقوال المشركين بشأن الرسول الكريم، فقد فضله الله على سائر الأنبياء والرسل.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل تقرير وإثبات النبوة لمحمد(ﷺ)**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في التأكيد على أنّ الله(ﷻ)فضل بعض النبئين على بعض، وأنّه عالم بما في السماوات والأرض ردٌ على المشركين وإبطال لأقوالهم بشأن الرسول(ﷺ) ؛ بأنّه فضله الله على سائر الأنبياء رغم أنه كان يتيم الأبوين، وراعيًا للغم، أميًّا لا يقرأ ولا يكتب فأيّده بمعجزة القرآن الكريم الذي يعدُّ أفضل الكتب السماوية، وكذلك جعل لداوود(عليه السلام) الزبور، وكل ذلك راجع إلى علمه المطلق، فهو الوحيد العالم بأسبابه[4].

---

[1]_ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكرالقرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط1، 2006، ج 13، ص 105.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 137.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص 138، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص105.

[4]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد، ج15، ص2234.

ولعلّ أبرز ما يمكننا أن نبين أبعاده من الفعل الكلامي السابق قضية **التفاضل**؛ فالتفاضل واقع بين الأنبياء والرسل «ويقع كذلك بين أتباع الرسول بعضهم على بعض كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [1]، كما يقع بين البشر بعضهم من بعض.

وهذا ما يربي لدينا فكرة أنّ الله هو الوحيد العالم بأحوال البشر وأن في تفضيله النّاس بعضهم على بعض حكمة ؛ «فالرسل هم أعلى أصناف بني آدم ومع ذلك يقع التفاضل بينهم»[2] ، فالتفاضل حكمة إلهية؛ فكل إنسان في هذه الحياة دور يقوم به، والبشر مختلفون ومفضلون بعضهم على بعض[3]، فلو كان البشر كلهم بنفس الدرجة ونفس العلم ...، فهل سيكون في الحياة توازن؟

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ التفاضل الذي أقرّه الله بين الأنبياء والرسل أولًا ثم بين البشر يبث في النفس الاطمئنان بأن فضل إنسان على آخر ويدفع عن الفرد المسلم مشاعر الغيرة والحسد التي قد يكنها شخص لم يفضله الله بالرزق من أموال وبنين ورغد عيشٍ عن شخص آخر آتاه الله من كل فضله، قال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ**﴾ ، فكل ذلك التفاضل الواقع بين البشر إنّما هو راجع إلى أسباب يعلمها الله وكل ما علينا هو الاطمئنان باختيار الله لنا فكل أمر بني آدم هو خير له.

3_الأبعاد السلوكيّة: في التأكيد على قضية التفاضل بين الأنبياء والرسل ثم بين البشر، تربية للإنسان على سلوك الرضا بكل ما أعطاه الله إيّاه، والقناعة بالرزق ونصيب من الدنيا، فليس كل البشر سواء في نصيبهم من الدنيا فهناك الشقي والسعيد ، والفقير والغني.، والمهموم والسعيد...

---

[1]_ يُنظر: محمد بن صالح العثمين،تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، (د، ط)، (د، ت)، المجلد1 ، ص239.

[2]_ المرجع نفسه ، ص239.

[3]_ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص137.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(6):**

قال تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾.

نزلت هذه الآية الكريمة في نفر من الإنس كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجن واستمر الإنس على عبادتهم وهم لا يشعرون بإسلام هؤلاء الجن[1]، وقيل نزلت في قوم كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء الذين هم بذاتهم لا يعبدون إلا الله ولا يبتغون الوسيلة إلا إليه[2].

ونلاحظ أنّ الآية تعبر عن فعل كلاميّ يظهر في **محتوى قضوي** يتمثل في وجود مجموعة من الأنبياء والملائكة يعبدهم النّاس وهؤلاء في حدّ ذاتهم ليس لهم إله سوى لله ولا يعبدون إلا الله ولا يبتغون الوسيلة إلا إليه، فكيف يعبد هؤلاء النّاس من كان الله إله لهم أصلا؟ وقيل أنّ ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ**﴾إحالة إلى الأنبياء والصالحين والملائكة[3]، والضمير في ﴿**رَبِّهِمُ**﴾إحالة إلى العابدين أو المعبودين[4]، **ويظهر الفعل الإنجازيّ** للآية في الإخبار بأنّ الذين كان يعبد أولائك النّاس هم في الأساس لا يعبدون إلا الله، أو يمكن القول إنّ المعنى المباشر هو وصف هؤلاء (الملائكة والأنبياء) بمحبتهم لله وخوفهم منه وابتغائهم الوسيلة إليه، أمّا المعنى العرفي (الاستلزامي) هو اسلزام وجود أشياء كان يعبدها أولئك النّاس سواء كانت ملائكة أو جن أو أنبياء. **والفعل القولي** يكمن في النطق بالعبارة السابقة،﴿**أُوْلَٰٓئِكَ...**﴾والذي عبّر عنه بالجملة الاسميّة.

كما يمكن استثمار قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا**﴾في زيادة التحذير والتنبيه من عبادة غير الله، فعذاب الله هو الذي ينبغي شدّ الحذر منه والتوقي من أسبابه، وعليه يمكننا القول

---

[1]_ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري،(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق عبد الله بن محسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 2001، ج15، ص 629.

[2]_ يُنظر: فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ج20، ص234.

[3]_ يُنظر، المرجع نفسه ، ص234، والسعدي، تفسير السعدي، ص 479.

[4]_ يُنظر: الشوكاني، الفتح القدير، ص 829.

إنّ الإخبار بمحبة هؤلاء الملائكة والأنبياء لله تعالى وعبادتهم له ثمّ التحذير من عبادة غير الله يكوّن لنا **فعلًا تأثيريًّا** يتمثل في التمسك بعبادة الله وحده لا شريك له فكل ما خلا الله باطل.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل وصف الأنبياء والملائكة بأنّهم لا يعبدون إلا الله والتحذير من الشرك بالله.**

إذا انطلقنا من المعنى الصريح للآية وهو وصف أولائك الذين يدعون النّاس من غير الله بأنّهم في حد ذاتهم لا يعبدون غير الله ويخافون عذابه، والمعنى الآخر المتمثل في التحذير والتنبيه من اتخاذ غير الله إلاهًا، توصلنا إلى أنّ الأبعاد التربيوية تتمثل في ما يلي:

1_الأبعاد الفكريّة: بيان صفات عباد الله من ملائكة وأنبياء وغيرهم، وهذا ما يؤدي إلى استشعار محبة الله سبحانه، ورجائه، والخوف منه؛ فهذه الأعمال القلبية الثلاثة أصل لكل خير، لأجل ذلك وصف الله بها المقربين عنده وهذه الأمور الثلاثة «هي الأصل والمادة في كل خير، فمن تمت له تمت له أموره وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات، وأحاطت به الشرور»[1].

وقال سهل بن عبد الله: الرجاء والخوف زمانان على الإنسان، فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر[2].

2_**الأبعاد النفسيّة:** تتمثل في استثارة مشاعر الخوف من عذاب الله؛ فعذابه كان محذورا مخوفا يتقيه المؤمنون، وكما أنّ في ذلك زرع لمشاعر الرغبة والتحفيز في التأسي بأولائك الذي لا يعبدون إلاّ الله ويبتغون إليه الوسيلة، ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

3_**الأبعاد السلوكية:** تتجلى في اشعال فتيل الهمّة والاجتهاد في الأعمال التي يتقرب بها العبد من ربّه؛ فقد أصبح العبد القابض على دينة في زماننا هذا كالقابض على الجمر.

[1]_ السعدي، تفسير السعدي، ص479.

[2]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج13، ص107.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (7):**

قال تعالى:﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥﴾.

يأتي الخطاب القرآنيّ هنا في سياق محاولات الكفار فتنة الرسول (ﷺ) وقيل في سبب نزول هذه الآيات عدة أقوال منها ما قاله قتادة: «أن قريشا خلو بالرسول (ﷺ) ذات ليلة إلى الصباح يكلمونه ويفحمونه [...] فقالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس وأنت سيدنا [...] حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله من ذلك، وأنزل الله تعالى هذه الآية»[1].

يظهرالفعل النطقي: في النطق بعبارة رئيسة:﴿**كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ...**﴾ ﴿**وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ ...**﴾ ومعنى الركون: الميل إلى خديعتهم[2]، وعبارة ﴿ **إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ**﴾ فكل هذه العبارات تحمل معاني محاولة الكفار فتنة الرسول (ﷺ)،**المحتوى القضوي:المرجع**: الرسول (ﷺ)؛ فضمير المخاطب (الكاف) عائد عليه أمّا ضمير الغائب فيحيل إلى كفار قريش أمّا **الخبر المتحدث عنه:** هو محاولة الكفار فتنة الرسول، فقد كادوا يفتنونه، وعصمة الله رسوله من فتنتهم وما يدل على ذلك عبارة (لولا أن ثبتناك) .

وعليه، نلاحظ أنّ الآيات عبرت عن **معنى صريح** يتمثل في **الإخبار** عن الفتنة التي حدثت للنبي (ﷺ) من قبل الكفار بدعوتهم إيّاه لاتباع أهوائهم وإبعاده عن القرآن، أمّا في قوله تعالى:﴿**إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا**﴾فهي عبارة عن نتيجة في حالة ما إذا وقع الركون من الرسول ﷺ) إليهم؛ (فإذًا) هنا حملت معنى الجزاء لعبارة (لقد

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج13، ص 134.

[2]_ يُنظر: أبو القاسم جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار المعرفة، بيروت_لبنان، ط2، 2009ص 604.

كدت تركن إليهم)[1]، والكلام حامل لمعنى التحذير إلى رسول الله «من أن يركن إلى إغراءات الكافرين ومواعيدهم الكاذبة ولو ركونا قليلا»[2]، فقد كاد الرسول(ﷺ)أن يقع في إغوائهم فحذرّه تعالى من أن يركن لفتنتهم_على الرغم من أن الركون لم يقع_، وهذا الخطاب موجه إلى كل الأمة الإسلامية « لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه»[3].

وانطلاقًا مما سبق من بيان لسبب نزول الآيات ومحتواها القضوي، وما صدر عن كلام المفسرين يتضح لنا أنّ الآي السابقة تحمل فعلا إنجازيّا مباشرا يتمثل في الإخبار عن فتنة الكفار، وهو فعل كلامي يصنف ضمن فئة الإخباريّات، أمّا الآية الثالثة فقد حملت معنى التحذير والذي يمكن تصنيفه تداوليّا ضمن قسم التوجيهيّات.

والفعل التأثيريّ يظهر في التمسك بالإيمان بالله وسدّ الثغرة وعدم ترك الفرصة.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الإخبار عن فتنة الكفار:**

1_الأبعاد الفكريّة: الفتنة أمر ليس بالهين، هي استدارج للشيطان حتى ينحرف صاحب الدعوة عن الاستقامة ويرضا بتغيير الدّين، وهذا أمر خطير، ومن أكثر النّاس وقوعا في الفتنة هم أصحاب الدعوات الحاملين لراية العلم والدّين، وعليه، فقد كان التحذير «لكل أئمة الفقه والعلم بالدّين من الاستجابة لمطالب الكبراء في إصدار الفتاوي التي فيها تنازل عن أحكام الله جلّ جلاله، وعظم سلطانه»[4]، ومنه فإنّ في الفعل الكلامي دعوة لاستشعار خطورة الفتنة.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ الإخبار بفتنة الكفّارمن شأنه أن يورث في نفس الإنسان الخوف من الركون والخضوع إليه، واستشعار مواضع الفتنة وعدم الاقتراب منها.

3_ الأبعاد السلوكيّة: فعلى المسلم _وأصحاب الدعوات خاصة_الحذر من الوقوع في الفتنة وترك الفرصة لتلبيسات إبليس، وإنّما الثبات يكون منذ البداية؛ «فالانحراف الطفيف في أول

---

[1]_ يُنظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص176.

[2]_ عبد الرحمن حنبنة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ج9، ص696.

[3]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 135.

[4]_ عبد الرحمن حسن حمبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التّدبر، ص 696.

الطريق ينهي بك إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق»[1]، وجب الحذر من الابتعاد عن مسببات الفتن؛ فالله تعالى لن يعصمك من الفتنة ؛ فالمعصوم الوحيد هو النبي (ﷺ).

الفتنة قد تصيب الإنسان ضعيف الإيمان بالله؛ ولذلك وجب تقوية الإيمان بالله بالتقرب من الله بشتى أنواع العبادات، من صلاة وذكر ودعاء وتلاوة القرآن الكريم.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(8):**

قال تعالى:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾.

جاء الخطاب القرآني في هذه الآية عبارة عن إخبار من الله تعالى أنه يُنزل القرآن شفاءً لأمراض البشر وجاء في تفسير الآية أن «كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيمانا ويستصلحون به دينهم [...] أما الكافرين فيزيدهم نقصا لتكذيبهم به»[2]، أمّا (من) في الآية ليست للتبعيض فلا يمكن أن يكون بعض القرآن شفاء للناس ولا البعض الآخر لا[3]، ويرى الطاهر بن عاشور أن (من) جاءت للدلالة على تمكين وصف (شفاء ورحمة) منه بحيث يُعرف به والمعنى: ننزل الشفاء والرحمة وهو القرآن[4]، فمن جاء لبيان وصف القرآن بهذه الصفة، وهذا ما يدلّ على أنّ كل القرآن هو شفاء ورحمة.

وبالنظر إلى ما سبق، يمكننا القول إنّ في الآية فعلا كلاميّا يظهر أولا في **الفعل القولي** المتمثل في النطق بالعبارة (وننزل من القرآن...) **والمرجع هو** القرآن الكريم، **والخبر** المتحدث عنه كون القرآن الكريم فيه الشفاء والرحمة للمؤمنين، أمّا للظالمين فهو خسارة لهم.

ويتضح لنا من خلال ما سبق أنّ الفعل الكلامي المنجز **(الفعل الإنجازي)** هو الوصف والإثبات حيث وُصف القرآن الكريم بأنّه شفاء ورحمة، «والشفاء الذي تضمنه القرآن

---

[1]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، ج15، ص 2245.

[2]_ الزمخشري، الكشاف ، ص 607.

[3]_ يُنظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د، ط)، 2010، ج7، ص 103.

[4]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 189.

عام لشفاء القلوب، من الشبه والجهالة والآراء الفاسدة، [...] وشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها»[1]، وهذا الفعل من باب الإخباريّات؛ حيث جاءت الكلمات مطابقة للواقع ومعبرة عن صدق القضية؛ فقد ثبت أنّ القرآن الكريم يستعمل كدواء للأمراض النفسيّة التي تكون سببا للشفاء من الأمراض البدنيّة، وقد ورد في الصحيحين ذلك الذي رقى بالفاتحة من لسعة العقرب وشفي من لدغتها؛ فالتداوي بالفاتحة سبب في الشفاء كالتداوي بالأدوية الحسية، وأثر الدواء يبقى مرتبطًا بقَبول القلب لها ومدى فاعلية نفس الراقي وقوّة همّته[2].

ومنه نستطيع القول إنّ الفعل الإنجازي تكوّن من **قوّة إنجازيّة مباشرة** تمثلت في التأكيد على أن القرآن الكريم فيه الشفاء والرحمة وزاد في درجة شدة القوة الإنجازية توظيف الفعل المضارع (ننزل) «المشتق من فعّلَ المضاعف للدلالة على التجديد والتكرير والتكثير»[3] والذي أكد على تجدد القرآن الكريم وبالتالي فهو حقيقة شفاء للمؤمنين، **أمّا الفعل التأثيري** المرجو حدوثه هنا هو اللجوء إلى القرآن الكريم والتداوي به؛ لأنّه شفاء ورحمة.

- **الأبعاد التربويّة لفعل التّأكيد على أنّ القرآن الكريم فيه الشفاء والرّحمة:**

القرآن الكريم شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة والطمع والدنس... ومن سائر الآفات الاجتماعية، القرآن يأخذ العقل في منهج سليم في اعتدال وبعد عن الزلل[4]، وعليه فإنّ في إخبار الله تعالى بمنافع القرآن ومن بينها أنّه شفاء ورحمة للمؤمنين يحقق عدة أبعاد منها:

1_ الأبعاد الفكريّة: تمثل في أنّ القرآن الكريم شفاء، شفاء للمؤمن الذي تدّبر معانيه، واتخذه أنيسا له، العامل به، فبقدر ارتباط الإنسان بالقرآن الكريم بقدر ما يكون له شفاء لجميع أمراضه النفسيّة والتي تكون سببا في شفائه من الأمراض البدنية، يقول ابن القيّم (751هـ) :

---

[1]_ السعدي، تفسير السعدي، ص484.

[2]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص157 ص وابن القيم ، الداء والدواء، ص 7_8.

[3]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص189.

[4]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 4، ج15، ص 2248.

«لم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن»[1]، ويكون رحمة وسعادة للمؤمنين إذا ما عملوا بالأسباب والوسائل التي يحث عليها[2].

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في الإخبار عن كون القرآن الكريم شفاء للمؤمنين ورحمة يزيد في النفس شعور الحب والأنس به، كيف لا وهو الشافي لأمراض القلوب من حسد وغيبة ونميمة، وهوى ودنس وفيه شفاء لأمراض الوسوسة والقلق والاضراب[3].

3_ الأبعاد السلوكيّة: اللجوء إلى القرآن الكريم فهو الشفاء والرحمة ويكون ذلك بتلاوته، وتدبر آياته، والاستشفاء به من الأمراض الحسية والمعنوية، وأخذ الحذر من أن يكون لنا ممن لا يزيدهم القرآن إلا خسارا، والتقيّن من أنّ القرآن الكريم هو الملاذ والملجأ إذ ما مرضت نفوسنا وأبداننا « فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ومن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله»[4] .

- **الفعل الكلامي(9) تحليل ونقاش:**

قال تعالى:﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾**﴾.

إنّ الخطاب القرآنيّ في هذا المقام موجه من الله(ﷻ) إلى الرسول (ﷺ)، والسائلون عن الروح في هذه الآية هم قريش، وقد وردت عدة روايات في أسباب نزول هذه الآية ولعل من أبرزها أنها نزلت عندما «قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل عنه، فقالوا: سلوه عن الروح»[5].

المرجع: قوم قريش، والضمير في قوله تعالى: عائد ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ**﴾ عليهم [6]؛ أي ويسألك قوم قريش يا محمد عن الروح، **والخبر هو** سؤال قوم قريش عن الروح وأنّهم لم يأتو من العلم إلا قليلًا؛ وقيل أنّ المقصود بالروح هو جبريل، وقيل هو عيسى، وقيل: القرآن، وقيل هو ملك من

---

[1]_ ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، ص 6.

[2]_السعدي، تفسير السعدي، ص 465.

[3]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15، ص 2248.

[4]_ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، عطاءات العالم، قثاء، المكتبة الشاملة، ص 520.

[5]_ ابن عاشور، تفسيرالتحرير والتنوير، ج15، ص 194.

[6]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسيرالتحرير والتنوير، ج15، ص194.

الملائكة له سبعون ألف وجه، وقيل الروح هي الروح الإنساني، والظاهر أن هذا هو المراد بالروح في هذه الآية[1]، وجاء في تفسير الآية «أن هؤلاء سألوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان وكيفية امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله ﷻ»[2].

وتأسيسًا على ما سبق، يمكن القول إنّ هذه الآية دلت عن أمر ثابت لا جدال فيه وهو أن الروح أمر من عند الله ولا علم للناس به، أمّا صيغة الطلب(قل الروح من أمر ربي) فلا يراد به الأمر الحقيقي، فالآية ليست جوابا لهم، وإنما هي للإعلام بأن الروح من علم الله الذي لم يؤتوه[3]؛ فالأمر هنا أمر تعليمي ورد للتأكيد على أنّ أمر الروح وما يتعلق بها خاص بعلم الله ولا يجب السؤال عنها.

وإتمامًا لتحيل الفعل الكلاميّ، نلاحظ أن الآية عبرت عن **معنى صريح مباشر** دلّ على **قوة إنجازيّة مباشرة** تمثلت في الإخبار بأنّ السؤال عن الروح متعلق بأمر الله تعالى، وأنّ علم النّاس علم قليل لا يضاهي علم الله(ﷻ)، «فجميع علوم الناس محصورة وعلمه تعالى لا يتناهى»[4]،**ومعنى ضمني** ينقسم إلى **معنى عرفي** يتمثل في اقتضاءوجود سائلين عن الروح (قوم قريش) **ومعنى تخاطبي أو مستلزم** يتمثل الحث والدعوة على عدم الخوض في السؤال عن الروح؛ لأنّ علمها عند الله، ولابدّ من السؤال عن الأشياء التي فيها فائدة فحسب.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الإخبار بأنّ السؤال عن الروح أمر متعلق بالله تعالى:**

1_الأبعاد الفكريّة: رغم تطوّر العلوم وما وصل إليه العلم من اكتشافات واختراعات لم يتمكنوا من الوصول إلى الأمور الغيبية، فالروح من الأمور المتعلقة بعلم الله وحده لا شريك له،

---

[1]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 167، السيد محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة في الحوزة العلمية في قم المقدسية،(د، ط)، (د، ت)، ج13، ص199.

[2]_ المرجع نفسه ، ص 167.

[3]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 198.

[4]_ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت_لبنان، (د، ط)، 2010،ج7. ص 107.

وعلم الإنسان يبقى محدودًا وقاصرًا، حتى ولو اتسعت دائرة العلم تبقى ضيقةً لا تتجاوز القطرة في علم الله.

2_الأبعاد النفسيّة: هذا ما يبث في النفس التربيّة على الاطمئنان لأمر الله تعالى وتدبيره وما سطره عنده.

3_الأبعاد السلوكيّة: قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[1]، لابدّ من التأدب في السؤال وعدم الاستفسار عن أشياء غيبية متعلقة بحكم الله، وإنّما السؤال يكون عن الأشياء التي تفيد التفقه في الدين، وغيرها أمّا السؤال عن الروح فمتعلق بعلم الله ولا فائدة مرجوة من السؤال عنها...

علم البشر محدود لا يمكنه أن يصل إلى علم الله، وعقل الإنسان لابدّ أن يعمل في حدوده؛ فإن البعد السلوكي ها هنا يدعو إلى توجيه العقل في أن يعمل في المجال الذي يدركه، فلا جدوى من إنفاق الطاقة فيما لا يمكن العقل إدراكه[2].

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(10):**

قال تعالى:﴿**وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ١٠١قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا ١٠٢فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤**﴾.

جاء الخطاب القرآني في هذه الآيات في سياق «إعراض المشركين عن ما جاء به النبي ﷺ من معجزة النبوة وهو القرآن، واقتراحهم آيات أخرى جزافية بما جاء به موسى عليه السلام»[3]، لكن

[1]_ سورة البقرة، الآية: 101.

[2]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15،ص 2249.

[3]_ حسن الطبطبائي، الميزان غي تفسير القرآن، ص217.

على الرغم بما جاء به موسى (عليه السلام) لقومه من معجزات كالعصا واليد البيضاء وغيرها كذبوه ووصفوه بأنّه ساحر[1].

وبناء على ما سبق نلاحظ بأنّ الآيات تشكل فعلا كلاميّا ينقسم إلى **الفعل النطقي** وقد تجسد عند النطق بالآيات، **والمحتوى القضوي** ينقسم إلى **المرجع**: موسى عليه السلام، وفرعون وبني إسرائيل، **الخبر:** تأييد موسى بالآيات، وتكذيب قومه له رغم ما جائهم من الآيات البينات، المعجزات والدلالات الواضحات الجلّيات[2]، وما لاقاه من ردّ من قبل الطغاة من قومه (بني إسرائيل) وعلى رأسهم فرعون.

واستنادًا إلى الفعل النطقي والمحتوى القضوي نلاحظ بأنّ الفعل الإنجازيّ ينقسم إلى **قوة إنجازية مباشرة** وهي الإخبار بما أُيّد به موسى (عليه السلام) من معجزات وآيات بيّنات وما قُوبل به من زجر وعدم قَبول ، **وقوّة إنجازية مستلزمة** تمثلت في تسلية* الرسول(ﷺ) وتقديم مثل للمعاندين من كفار قريش[3] ؛ فقد كان المقصود من سياق هذه الأخبار هو تسلية النبي(ﷺ) بأنّه ليس أوّل رسول كذّبه النّاس، كما أنّ في ذلك دفع لتكذيب كفار قريش ، فقد جاء الكلام « لتمثيل حال معاندي الرسالة المحمدية بحال من عاند رسالة موسى(عليه السلام)»[4]. كما ذكر الرازي أنّ من فوائد وأسرار ذكر قصص السابقين وبيان أحوالهم تسلية النبيّ عليه السّلام والتخفيف عن قلبه[5].

ونصل بذلك إلى أنّ ملفوظ هذه الآية أفاد خبر ما حدث لموسى(عليه السلام) مع قوم فرعون إلى المخاطب (الرسول وقريش) حيث لم يكن لديهم علم بهذا الخبر قبل نزول هذه الآية، **فالخبر** الذي تضمنته الآية **فعل مباشر** نقل الواقع نقلا **أمينا غرضه الإخبار** فهو من صنف

---

[1]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 487.

[2]_ القرطبي، تفسير القرطبي، ج13، ص 182.

* **التسلية:** وقد وظفها بعض المفسرون ومنهم الطاهر بن عاشور للتبيعر عن بعض الآيات التي جاءت تخفيفًا ومواساتًا أو المؤمنين (ﷺ)لحزن الرسول.

[3]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 225.

[4]_ المرجع نفسه، ص 287.

[5]_ يُنظر: الرازي ، تفسير الرازي، المجلد1، ص2005.

الإخباريّات التي يكون فيها اتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، وقد عُبر عن الخبر **بقوة إنجازية** تمثلت في توظيف مؤكدين (اللام) و(قد) وهذا ما يسمى عند العرب بالخبر الإنكاري، حيث قسموا الخبر إلى ثلاثة أضرب بناء على معيار قصد المتكلم إفادة المخاطب[1]، والخبر الإنكاريّ يختلف عن الخبر العادي في عدد المؤكّدات؛ فاستعمال التوكيد هنا زاد في درجة شدّة الخبر مما جعل الخطاب أكثر إقناعا ونجاحا؛ فتوظيف المؤكدات في الكلام يزيد من تأكيد الخبر وخاصة إذا كان الخبر موجه إلى مخاطب منكر ومعاند للقضية المساقة إليه.

وانطلاقا من الفعل المباشر والقوة الإنجازيّة نلاحظ أنّ الآية عبرت عن معنى **مباشر وصريح** تمثّل في الإخبار والتأكيد على المعجزات التي أيد الله بها موسى عليه السلام ، إلاّ أنّ السياق كشف لنا على أنّ الكلام فيه **معنى ضمنيّ** تمثل في تسلية الرسول (ﷺ) حتى لا يحزن ولا ييأس من إبلاغ رسالة الإسلام، **والفعل التأثيري** يظهر في صبر النبيّ على تكذيب وأدية الكفار، وكذلك صبر أي إنسان يعاني الظلم والاضطهاد.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الإخبار بماأُيّد به موسى (عليه السلام) من معجزات وآيات بيّنات وما قُوبل به من زجر وعدم قَبول:**

1_الأبعاد الفكريّة:

إنّ في الأخبار التي ساقها الخطاب القرآني عن موسى وبما أُيّد به من الآيات وما فعله فرعون به، تسلية للرسول (ﷺ)؛ أي لا تحزن يا رسول الله إن كذبك قومك فقد كُذّب موسى من قبل مع وجود الآيات والدلائل الواضحات، وهذا ما يفتح فكرة الصبر على تأدية الرسالة؛ فالدنيا محفوفة بالصعاب والمشتقات لكن مدام أنّ هناك رب عظيم كريم فهو من سيعينك، ويمدك بأسباب العون والنصر.

كما أنّ في التسلية عون على المكابدة والمجاهدة وعدم الاستسلام، فهي تسلية من الله، فهلاّ استجاب الإنسان لها؟ وفي كل ذلك دلالة على الصلة الوثيقة بين الخالق والمخلوق.

[1]_ يُنظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 288، والقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 28_29.

2_الأبعاد النفسيّة: التسلية وإن كانت لرسول الله إلاّ أنّها ليست خاصة به ولكنّها عامة لعموم المسلمين، تجعل المؤمن يشعر بالإيناس اللطيف الذي يحيط الله به عبده، وكأنما يمسح على آلامه ومتاعبه، وينسم عليه من نسائم الرعاية واللطف والمودة[1].

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ في تسلية الرسول (ﷺ) تلسية لأهل الإيمان، فعندما يقرأ المؤمن آيات التسلية الموجة للنبي (ﷺ) فإنّ في هذا تسلية ومواسات لقلبه يدفعه على الصبر والثبات، لذلك فالأبعاد السلوكية ها هنا تظهر في التربية على **الثبات وعدم الخوف، والصبر على الظلم والابتلاء**، فعلى المرء حينما ينظر للواقع ويتأمل في ابتلاءات الحياة أن يتيقن تيقنا تاما أن الله قادر على أن يحدث بعد العسر يسرا، وبعد الكرب فرجا.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(11):**

قال تعالى:﴿**وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦**﴾.

جاء الخطاب القرآنيّ ها هنا ليصف القرآن الكريم ويُبيّن مهمة الرسول الكريم(ﷺ)؛ فقد بيّن الله حال القرآن وذكر أوصافه فهو مصون من الباطل خالٍ من لغو القول، وليس فيه شيء يفسده، والنبي (ﷺ) ليس إلّا رسولا من الله تعالى يبشر به وينذّر به وليس له أن يتصرف فيه بزيادة أو نقيصة، ثمّ بيّن تعالى صفة أخرى للقرآن وهو نزوله مرّفقًا ليسهُل على النّاس فهمه[2].

الفعل القولي يظهر في **الفعل النطقي** المتمثل في النطق بالآيات السابقة وجملة ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ معطوفة على جملة ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾ أما جملة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ معترضة بين الجملتين[3]، **والمحتوى القضوي** ينقسم إلى **المرجع** : القرآن الكريم فضمير الغائب عائد إليه، أمّا **الخبر المتحدث عنه** وهو أنّ القرآن حق في محتواه وأُنزل بالحق والرسول محمد (ﷺ) مبشر ومنذر بهذا الحق ، والخبر الثاني هو قضية نزول القرآن الكريم مفرقًا، ومعنى ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾ «بالتّشديد، أي

[1]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص298.

[2]_يُنظر: الطبطبائي، الميزان، ج13، ص 220_221.

[3]_ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص230.

جعلنا نزوله مفرقا منجما، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأه مشددا وقال: لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنة»[1].

وبالنظر إلى ما سبق، يمكن القول إنّ **بنية الفعل الكلاميّ تضمنت قوّة إنجازيّة مباشرة** تمثلت في الوصف والإخبار، أي وصف القرآن الكريم والإخبار بمهمة الرسول (ﷺ) وقد تم «تقديم المجرور في الموضعين على عامله للقصر ردا على المنكرين الذين ادعوا أنه أساطير الأولين أو سحر مبين أو نحو ذلك»[2]، وهذا ما يمكن استثماره في بالبيان والتأكيد على أنّ القرآن الكريم حق في محتواه وحق في نزوله، **والفعل التأثيري** المرجو حدوثه هنا هو اتباع ما جاء به القرآن الكريم كيف لا وهو الحق في مادته والحق في منهجه، والحق في غايته...

- **الأبعاد التربويّة لفعلي وصف القرآن الكريم والإخبار بمهمة الرسول الكريم (ﷺ) :**

1_الأبعاد الفكريّة: القرآن الكريم متضمن لعلم الله الذي أراده أن يصل إلينا، يحمل الأوامر والنواهي والأحكام، وصل إلى محمد محفوظا مصونا لم يشبه التغيير أنزل بالحق وبالحق نزل؛ وعليه فالقرآن الكريم يريد منّا أن نحق الحق، في حياتنا الدنيا ولا نغض الطرف عن الباطل؛ فالقرآن الكريم يريد أن يؤسس فينا الحق، عن طريق تغيير واقع الفرد والأسرة والمجتمع فهذا هو المنهج الرباني الذي جاء ليحق الحق ويزهق الباطل.

فحق علينا أن نتخذ من القرآن منهجا لنا فبالقرآن نهتدي، وبالقرآن نرتقي، وبالقرآن نقوى على كل صعب، وبالقرآن نصبر، وبالقرآن ننتصر... فقد أُنزل بالحق وبالحق نزل.

2_الأبعاد النفسيّة: الحق الذي جاء به القرآن الكريم والحق الذي أُنزل به، يدفع النفس إلى احتواء القرآن الكريم، والانفعال مع قضاياه، فهذا القول يثير في النفس حب التبصر والتدبر في آي القرآن، وكلّ ذلك يحتاج إلى تصفية القلوب وما حوت لتواجه اتنتهاكات الحياة التي نراها ونسمعها ونبصرها كل يوم.

---

[1]_ الزمخشري، الكشاف، ص 610.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 230.

3ـالأبعاد السلوكيّة: القرآن الكريم يحمل الصدق والعدل، يفرق بين الحق والباطل، جاء ليقيم منهجا ربانيّا سليمًا لا اعواج فيه، جاء ليربي الأمّة على منهج مستقيم، يقول سيد قطب: جاء القرآن «ليُربي أمّة ويقيم لها نظاما، فتحمله هذه الأمّة إلى مشارق الأرض ومغاربها، وتعلم به البشريّة»[1]، كما أنّه نزل على فترات منجما مفرقا لحكمة تتمثل في تربية الأمة على كل فترة[2]، وكذلك التّربية تتم عبر مراحل وليس دفعة واحدة.

وعليه، لابدّ من أن نأخذ القرآن الكريم موجّهًا لنا في الحياة نتبع أموامره ونجتنب نواهيه، نأخذه بقوّة، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾[3].

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(12):**

قال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾**﴾.

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآي المباركة عن العلة الأصلية التي تبعث الناس على الجحود والكفر في جميع الأمم «وهي توهمهم استحالة أن يبعث الله للنّاس رسالة ببشر مثلهم»[4]، ويعلق على الآية أبو حيان الأندلسي(ت745هـ) بقوله: أن هذا «إخبار من الله تعالى عن السبب الضعيف الذي منعهم من الإيمان»[5] ؛ فقد كذبوا بالقرآن ولم يؤمنوا به **وأنكروا*** أن يكون قد أنزل الله تعالى بواسطة رسول على هيئة بشر، ولم يعلموا أنّ في ذلك حكمة من الله تعالى؛

---

[1]ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2253.

[2]ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص 2253.

[3]ـ سورة مريم، الآية: 12.

[4]ـ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 211.

[5]ـ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج7، ص 114.

* يمكن اعتبار الآية في قوله تعالى على ألسنة الكفار (**أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا**) فعلا كلاميًّا يتمثل ينتمي إلى قسم التعبيريات، حيث عبرت القوة الإنجازية (الاستفهام بالهمزة) عن فعل إنجازي يتمثل في الإنكار، وهو من الأفعال الكلاميّة التي تعبر عن نفسية والمخاطب وهذا من باب الأفعال التعبيرية أو التبينية بتعبير سيرل.

فقد جعله على هيئة بشر حتى يتمكن النّاس من رؤيته وليكون لهم معجزة ولو أنزله على هيئة ملك فإنّهم لن يقدروا على رؤيته[1].

وبناءً على ما سبق ذكره نستطيع القول أنّ الملفوظات السابقة كونت لنا **فعلا كلاميّا** يظهر أولا في **الفعل النطقي** والمتمثل في النطق بعبارة ﴿**وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ ...**﴾**والمحتوى القضوي** يتمثل في **المرجع:** النّاس والمراد بهم « أهل مكة على الخصوص»[2]، **والخبر:** عدم إيمان الكفار بأن يبعث الله بشرا رسولا وبيان العلة في سبب بعث الرسول على هيئة بشر.

ويتمثل **الفعل الإنجازيّ** في الجملة المنفيّة المتصدرة بما النافية مع الفعل الماضي (منع) والمفعول به (النّاس) والمصدر المؤول (أن يؤمنوا...) في محل نصب مفعول به ثانٍ، والمصدر المؤول (أن قالوا...) في محل رفع فاعل منع.

ويتكوّن الفعل الإنجازي من حمولة دلالية تتمثل في الإخبار عن حالة الإنكار والجحود التي طبعت الكفار وعن السبب في عدم إرسال الرسول على هيئة ملك، فاستغرابهم أن يبعث الله بشرا رسولا هو سبب منعهم من الايمان.

ونلاحظ من خلال ما تمّ ذكره أنّ الملفوظ السابق تضمن **الإخبار** الذي يعدُّ فعلا إنجازيّا يندرج ضمن فئة **الإخباريّات**، توصلنا إليه من خلال القوّة الإنجازية المباشرة المعبرة عن الإخبار والتي تمثلت في بعض العبارات منها: (وما منعهم أن يؤمنوا)، (قالوا أبعث الله بشرا)؛ فقد كانت هذه حكاية (إخبار) على ألسنتهم بما قالوه كما يمكن أن تكون كناية عن اعتقادهم[3]، فقد يكون الإنكار صادرًا منهم حقيقة وقالوه بألسنتهم أو يظهر ذلك في ما ظنوه بالبشر المرسل إليهم، أمّا في قوله تعالى:﴿**قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا**﴾ فهي

[1]_ يُنظر: القرطبي، تفسير القرطبيّ، ج13، ص 198.

[2]_ الشوكاني، الفتح القدير، ص843.

[3]_ يُنظر:ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج15، ص 212.

بمثابة «رد لمجموع مقترحاتهم المتقدمة على وجه الإجمال»[1] (اقتراحهم المعجزات)، فالله تعالى هو العالم بعباده وهو الأدرى بعدم إرساله الرسول على هيئة ملك.

والفعل التأثيريّ الإيمان اليقيني بالقرآن الكريم وبأنّه أرسل بواسطة برسول على هيئة بشر.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الإخبار عن عدم إرسال الرسول على هيئة ملك.**

1ـالأبعاد الفكريّة: ينبغي أن يكون الرسول من جنس البشر حتى يتمكنوا من مخاطبته ويتلقون منه الرسالة وهم يرونه كبشر أمام أعينهم، فذلك أقدر على المجادلة والتخاطب، والسؤال ولذلك لم يرسله تعالى ملكا لأنّ الملائكة لا يشبهون البشر، فهم مخلوقون من نور، ولو كان الرسول ملكًا لما تمكنوا من النظر إليه فيلتبس عليهم الأمر كما يلتبسون على أنفسهم في قَبول رسالة الرسول[2]، ومن هنا نستنتج حكمة الله البالغة سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

2ـالأبعاد النفسيّة: إنّ إرسال الرسول على هيئة بشرٍ يُشعر النّاس بالهدوء والاحتواء فيستطيعون تبادل الحديث معه والتساؤل عن أمور الدين بكل أريحيّة.

3ـالأبعاد السلوكيّة: الحمد والشكر، هو من أعظم السوكات التي لابدّ أن يقوم بها النّاس نتيجة حصولهم على بشر رسولا، الذي يمكن تتبع خطاه والاقتداء به والسير هدي من نوره فالرسول الكريم هو الذي علمنا أمور الدّين، من فقه العبادات والمعاملات، فماذا لو كان الرسول ملكًا فهل كانوا سيرون أعماله أمام مرآة أعينهم؟ ويتبعون سنته؟ وطريقة حديثه وحركاته..؟ فالحمد لله وكفى ، فهذه منة ونعمة عظيمة لا ينكرها إلّا جاحد لئيم.

المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للإخباريّات في سورة الأنفال

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(1):**

قال تعالى:﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ۝﴾.

[1]ـالمرجع نفسه، ص 214.

[2]ـ يُنظر: المرجع نفسه ، ص 213.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآي يعبر عن **فعل كلاميّ**، يظهر **فعله النطقي** في النطق بعبارة (إنّ شرّ الدواب...) وهي جملة منسوخة تكونت من الناسخ (إنّ) واسمها(شرَّ) وخبرها الاسم الموصول (الذي)أمّا عبارة ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾فهي بدل أو عطف بيان من عبارة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[1] ، أمّا **المحتوى القضوي، المرجع** وهم بنو قريظة **والخبر** يتمثل في الكفر والخيانة من قبل بنو قريظة الذين عاهدوا الرسول(ﷺ) أن لا يعينوا عليه عدوه، ثم نقضوا عهدهم وخانوه بأن أعانوا مشركي مكة بالسّلاح.

أمّا **الفعل الإنجازيّ** فقد ظهر على هيئة **قوّة إنجازية مباشرة تمثل في التأكيد والوصف**؛ فقد أكدّ الله تعالى على أنّ الذين **يتصفون** بالكفر، وعدم الإيمان، والخيانة، بأنّهم شرّ الدّواب، فقد وصفهم تعالى بأنّهم ليسوا مالدّواب فقط بل هم شر منها «فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها، لأن الخير معدوم منهم، والشر متوقع منهم»[2]، وقد ظهرت **شدّة القوّة الإنجازية** في توظيف الحرف المشبه بالفعل (إنّ) الذي يفيد التّوكيد، كما أنّ في تقديم المسند إليه على الخبر المنفي في قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ يفيد التأكيد على نفي الإيمان عنهم، وفي التعلق على هذا يقول ابن عاشور: «وأتي بصلة (فهم لا يؤمنون) جملة اسمية لإفادة ثبوت عدم إيمانهم وأنهم غير مرجو مهم الإيمان»[3]، كما أنّ استعمال الفعل المضارع (ينقضون) دلالة على تأكيد نقضهم للعهد وتكرار ذلك منهم في كل مرة[4]، **أمّا الفعل التأثيريّ** فيظهر في التخلي عن صفة الخيانة والكفر، حتى لا يكونوا من شرّ الدواب عند الله.

- **الأبعاد التربويّة لفعليّ وصف الكفّار والتّأكيد على أنّهم شرّ الدواب:**

1ـالأبعاد الفكريّة: الإسلام دين قائم على الوفاء والإخلاص، يرفض الخيانة والغدر ويرتفع بالبشرية إلى آفاق الاستقامة؛ فقد وصف الله الذين ينقضون العهد بأنّهم شرٌّ من الحيوانات التي

[1]ـ يُنظر: الشوكاني، الفتح القدير، ص546.

[2]ـ السعدي، تفسير السعدي، ص320.

[3]ـ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص47.

[4]ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10 ، ص48.

لا تعقل، فإذا اتصف الإنسان بنقض العهد إضافة إلى الكفر وعدم الإيمان كانت بهائم الأنعام خير منه، التي لا يكون همها إلاّ الأكل والشرب وقضاء الشهوة...

2_الأبعاد النفسيّة: تعاليم الدين الإسلاميّ التي ترفض نبذ العهد والخيانة تنظم المشاعر والعواطف على نحو يُشعر المرء بالأمان والاطمئنان.

3_ الأبعاد السلوكيّة: تظهر في الاتصاف بالوفاء بالعهد، فإذا عاهد الإنسان وجب عليه أن يفيَ بعهده، ولا يجب عليه أن يخلف أو تنقض العهد، ولو كان ذلك مع الكفار، فنقد العهد من مساوئ الأخلاق ولذلك جاء كان نقد العهد من صفات الكفار فكانت البهائم أفضل منهم، فكيف يهبط الإنسان بنفسه ويكون شرًّا من الدواب، وهو الذي شرفه الله وكرمه، وميزه عن بهيمة الأنعام وخلق في أحسن تقويم، وفي أبهى صورة؟

خاتمة الفصل الأوّل:

إنّ المتأمل في أفعال الكلام الإخباريّة(الإخباريّات) في سورة الإسراء يلاحظ أنّها تنوعت بين أفعال كلاميّة تدل على قوّة إنجازيّة مباشرة ومعظمها ظهر في الوصف والإخبار، وذلك في الإخبار عن الأمم السابقة، وفي وصف القرآن الكريم، والإخبار بشرفه وعظمته، كما ورد التأكيد بصفته فعلا كلاميّا في عدة مواضع، كما حققت بعض الأفعال الكلاميّة الإخباريّة قوتين إنجازيتين؛ فقد ورد الفعل الكلامي في بعض المواضع حاملًا لقوة إنجازيّة مباشرة تمثلت في الإخبار عن الأنبياء السابقين وأخرى مستلزنة تمثلت في تسلية الرسول (ﷺ)؛ فالتسلية من الأفعال التي تظهر بكثرة في السور المكيّة، وهذا يتناسب بشكل واضح مع ذلك الظرف الذي كان يعيشه النبي (ﷺ) في تلك الفترة من استضعاف، وظلم من الكفار.

وإذا تتبعنا المنحى التداوليّ للخطابات القرآنية السابقة، نجد أنّها قد حققت الفائدة والقصديّة التواصليّة، وقد تضافرت عناصر الفعل الكلاميّ من فعل نطقي ومحتوى قضوي وقوة إنجازيّة وفعل تأثيري في بناء الفعل الكلامي؛ إذ لا يمكن أن يبنى الفعل الكلامي إلا بهذه العناصر، وبناءً على ذلك لاحظنا أنّ لكل فعل كلاميّ أبعاد تربيويّة، فقد كان للإخبار بشأن

وعظمة القرآن الكريم، أبعاد فكريّة تدعو إلى معرفة شأن وعظمته وأبعاد نفسية تُشعر بالاطمئنان والاحتواء كون هذا القرآن فيه من الشفاء والنور، والهدى، ويدفعنا نحو تغيير السلوك وذلك يكون بتدبر القرآن الكريم والعمل به...

أمّا في سورة الأنفال فلم نلاحظ وقوعًا للإخباريّات بصورة معتبرة، وقد عثرنا على نموذج واحد تمثل في الفعل الكلاميّ الوصفيّ، وصف الذين كفروا والذين ينقضون العهود، والذي ترتب عليه كذلك أبعاد تربويّة استنبطناها من خلال كلام المفسرين، تدل على بناء الأفكار التربوية والسلوك السويّ قويم.

الفصل الثاني:
الأبعاد التّربويّة للطلبيّات في سورتيّ الإسراء والأنفال.

تمهيد:

المبحث الأول: الأبعاد التربويّة للطلبيات في سورة الإسراء

المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للطلبيات في سورة الأنفال

خاتمة الفصل الثاني:

تمهيد:

قبل الشروع في تحليل الأفعال الكلاميّة الطلبية نعرج أولا لفهوم الطلبيّات أو التوجيهيّات:(Excercitives) وهي الأفعال التي يتوجه بها المتكلّم إلى المتلقي كي يقوم بإجراء عمل من الأعمال، والمسئول عن إحداث المطابقة بين العالم والقول هو المتلقي، وشرط نجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب[1]، ويترجمها هشام طبطبائي بالأمريّات أو الطلبيّات [2] أمّا الغانمي فيترجمها بالتوجيهيّات[3]، وتتميز التوجيهيات بما يلي[4]:

1.أن يكون المخاطَب هو المسئول عن إحداث تلك المطابقة.

2.أن يكون الفعل المطلوب من المخاطَب في زمان المستقبل.

3.أن يكون المخاطب قادرًا على الامتثال.

ومن بين الأفعال التي تندرج ضمن التوجيهيات: الأمر، النهي، النداء، وكذلك النصح، والإرشاد والالتماس؛ فهذا الصنف يضم كلّ أفعال الكلام الدّالة على الطلب بصرف النظر عن صيغتها؛ فقد تنجز بواسطة المنطوقات الإنجازية المباشرة كالأمر الحقيقي أو بواسطة المنطوقات الإنجازية غير المباشرة كالأمر الذي يُقصد به النصح والالتماس[5]، وانطلاقًا من هذا التأسيس فإنّ ما يدخل تحت هذا الصنف من أقسام الكلام في البلاغة العربيّة نذكر: الأمر الحقيقي، والنهي الحقيقي، والاستفهام الحقيقي، والنداء والتمني، والخبر الذي جاء للطلب[6].

---

[1]_ يُنظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص: 214.

[2] _يُنظر: طالب هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د، ط)، 1994ص31.

[3]_ يُنظر:جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ص218.

[4]_مؤيد عبيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم اللغة العربية، 2009، ص 135.

[5]_ يُنظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 215.

[6]_ يُنظر: مجدي محمد محمد عمارة، آيات الجهاد في القرآن دراسة تداولية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في اللغة العربية، جامعة طنطا، كلية الآداب، 2019، ص86.

المبحث الأول: الأبعاد التربويّة للطلبيّات في سورة الإسراء

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (1):**

قال تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾.

ورد في سياق هذه الآية ما أشاره الله (ﷻ) على بني إسرائيل بفعل الخيرات، وإن هم فعلوا السيئات فجزاؤهم سيكون من جنس عملهم في الدنيا؛ فالله سبحانه وتعالى يرد لهم الكرة من أجل التوبة فقد أعطاهم فرصة لأجل ذلك ، وكأنّه يقول لهم: احذروا أن لا تتوبوا بعد هذه الفرصة[1].

يظهر **الفعل النطقي** في النطق بالعبارة المتضمنّة جملتين شرطيتين الجملة الأولى: ﴿**إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُم والثانية**﴾ ﴿**وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ**﴾ فقوله تعالى: (إن أحسنتم) جملة الشرط والجواب (أحسنتم لأنفسكم)؛ أي إنّ أحسنتم فإحسانكم سيكون لأنفسكم وفي الثانية قوله تعالى: (إن أسأتم) جملة الشرط والجواب قوله: (فلها) وإساءتكم أيضا لكم، **والمحتوى القضوي** يتمثل فيكون الإحسان والإساءة التي يقوم بها الإنسان مرتبطة به دون أن تلحق غيره، ولذلك فإنّ اللام في (لانفسكم) وفي (لها) للاختصاص أي كل عمل خيرا كان أو شرا فهو لأنفسكم[2].

ويلاحظ من خلال ما سبق أنّ ملفوظ جواب الشرط والمعول عليه في بيان الفعل الكلاميّ ورد على شكل جملة خبرية، إلاّ أننا نستنتج من خلال سياق الآية أنّ المقصود بالإخبار إنشاء قوّة إنجازيّة غير مباشرة تتمثل في التوجيه القائم على **التنبيه** ويظهر ذلك في قوله تعالى: **(إن أحسنتم فلأنفسكم)** والتحذير الذي يظهر في قوله تعالى: **(وإن أسأتم فلها)**، أي أحسنوا تحسنوا لأنفسكم ولا تسيئوا لأنّكم تسيئون لأنفسكم؛ فالله سبحانه وتعالى ينصح بني إسرائيل بالإحسان

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، ، تفسير التحرير والتنوير ، ص33، ويُنظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ص 25.

[2]_ الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص40.

ويحذرهم من القيام بالإساءة كي لا يصيروا إلى مصير من قبلهم[1]، وما يدعم القوة الإنجازيّة بالإيجاب الجملة الشرطية التي وردت على هيئة الإخبار .

وعليه نلاحظ تنوع الأفعال الكلاميّة الجزئية (التنبيه والتحذير) لغرض تداوليّ يكمن في بيان القصديّة الكلّية، **فالفعل المتضمن في القول** الذي يتطابق مع قصدية الذات المتكلمة هو خروج الإخبار عن صورته الحقيقية إلى معنى مستلزم وهو **التنبيه والتحذير** والذي يمكن تصنيفه ضمن قسم **التوجيهيّات** لكونها تصدر عن المتكلّم في صورة يُراد بها تحريك المخاطب لأداء الفعل، **والفعل التأثيري** يظهر في الحذر من فعل الإساءة والحرص على الحسنة؛ لأنّ الجزاء سيكون من جنس العمل.

- **الأبعاد التربيويّة لفعليّ التنبيه والتحذير من الإساءة (فعل السيئات):**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ المتأمل في أفعال الكلام السابقة (التنبيه والتحذير) يرى بأنّ هذه الأفعال تدعو إلى أخذ فكرة أنّه من عمل عملا حسنا يرضاه الله كسب لنفسه ثوابا حسنا ويكون بذلك قد أحسن لنفسه؛ ولذلك ينبه الله تعالى على على أنّ الإحسان سيكون للعبد نفسه، ويحذر من الفعل السيء؛ فمن عمل عملا سيئا عرض نفسه لعقاب يسؤوه[2]، فلا يلومنّ الإنسان إلا نفسه.

كما يمكن القول إنّ التنبيه وتحذير موجه لهذه الأمّة من عمل المعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل.

2_ الأبعاد النفسيّة:إنّ التنبيه على أنّ الإحسان بالإيمان والطاعة عائد بالنفع لذات الفاعل، والتحذير من الإساءة تُشعر النفس بالخوف من الوقوع في الكفر والمعاصي؛ لأنّ ضررها عائد على فاعلها كما تشعرها بالاطمئنان والسكينة بأنّها إن أحسنت وأطاعت الله فنفعها عائد لها ولن

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص33.

[2]_ يُنظر: عبد الرحمن حسن الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر،المجلد9، ص557.

يذهب هباء منثورا ومنه قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1].

3_ الأبعاد السلوكيّة: الجزاء من جنس العمل؛ ولذلك كان في فعليّ التنبيه والتحذير بعدٌ يدعو إلى تجنب كل الأعمال السيئة، والعمل على فعل الحسنات؛ فالإحسان يعود على صاحبه بأن يُرفع درجات في الدنيا والآخرة، أمّا عمل السيئات فلا تنفع فاعلها وإنّما تسوؤه.

- **التحليل التداوليّ للفعل الكلاميّ (2):**

قال تعالى: ﴿**وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾**﴾.

يمكننا القول إنّ الخطاب القرآني أعلاه يشكل لنا فعلا كلاميا يتشكل فعله النطقي عند النطق بعبارة ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ...﴾، **والمحتوى القضوي** يتمثل في أنّ كل إنسان يُحاسب بحسب أعماله التي يقوم بها في الدنيا، وعليه أن يُحاسب نفسه في الدنيا قبل قراءة ما عمله الإنسان في كتابه في الآخرة.

ونستنتج من خلال ما سبق أن ملفوظ الآي دلّ على أفعال كلاميّة **خبرية وإنشائية** تمثلت الخبرية في إخبار المخاطب أنّ «كل إنسان يعامل بعمله من خير أو شر لا ينقص له منه شيء [...] وتلك الأعمال تظهر يوم القيامة مفصلة لا تغادر منها صغيرة ولا كبيرة»[2]، فالجوارح (السمع، البصر، والفؤاد) ستشهد على عمل كل إنسان من خير أو شر والمقصود ب ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ «عمله وما قدِّر عليه من خير وشر، وهو ملازمه أينما كان»[3]، وإنشائية تمثلت في عبارة (اقرأ كتابك...) حيث يأمر تعالى الإنسان يوم القيامة بأن يقرأ كتابه والمقصود أعماله التي فعلها في الدنيا.

[1]_ سورة فصلت، الآية: 46.

[2]_ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص48.

[3]_القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13،ص 39.

وبناءً على ذلك نلاحظ أنّ الفعل الكلامي تكون من (جملة خبرية+ فعل أمر) وبتضافر هذه العناصر يمكننا القول إنّ القوّة الإنجازية ظهرت على هيئة غير مباشرة غرضها **التحذير** من عمل الشّر، ومنه يمكننا القول أن هذه الآيات يواكبها قوتين إنجازيّتين: فعل لغوي مباشر تطابق فيه قوة الإنجازية معناه الحرفي المتمثل في الإخبار غير أن الجملة في السياق المقامي الذي وردت فيه لا يقصد منها الإخبار وإنما التحذير فالألفاظ من قبيل: ألزمانه طائره في عنقه؛ توحي بأنّ المقصود أنّ كل إنسان عمله ملازم له وكأنّه متصل بعنقه كالقلادة[1]، وكذلك استعمال ألفاظ: نخرج، يلقاه، ... منشور توحي بأنّ المقصود هو فعل التحذير وقد تم التوصل لهذه **القوّة الإنجازية غير المستلزمة** من خلال معاني هذه الألفاظ وانطلاقا من البنية الشكلية لملفوظ الآية، وما يدل على أنّ المقصود بملفوظ الخطاب القرآني التحذير قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ؛أي أن كل نفس ستكون حاملة وزرها ولا تحمل وزر نفس أخرى[2]، «و (كفى) اسم فعل بمعنى (اِكْتَفِ) والفاعل مضمر يعود على المخاطب»[3]؛ أي فلتكتف أنت بنفسك رقيبا على تصرفاتك، وهذا من تمام عدل الله تعالى.

وعليه نلاحظ أنّ الخبر قد خرج عن معناه الحقيقي لتأدية غرض التحذير وهذا ما أكدّه (أوستين) بقوله: أنّ الكثير من الملفوظات تبدو خبرية في تركيبها إلا أنها لا تخبر عن شيء، بل تنجز فعلا بمجرد النطق بها لذلك فإنّ هذا الصنف من الأفعال يتم التوصل إليه بعد القيام بعملية استدلالية تصبح معها البنية اللغوية الظاهرة للملفوظ مجرد ممر أو معبر للوصول إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يقصده المتكلّم[4]، وإضافة الجملة الإنشائية (الأمر) إلا الجملة الخبرية

[1]_الزمخشري، الكشاف، ص591.

[2]_يُنظر: الزمخشري، الكشاف،ج15، ص 592.

[3]_ أبو حيان، البحر المحيط،ج4، ص22.

[4]_ يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي_ليبيا، ط1، 2004، ص 370.

دعم القوّة الإنجازية بالإيجاب حيث دلّ قوله تعالى: ﴿**ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ**﴾على زيادة التحذير والانتباه من الوقوع في المعاصي وعمل السيئات وهو داع إلى السعي لفعل الخير.

ومنه، فإننا وبتعبير التداوليين نكون بإيزاء فعل كلامي غير مباشر واردٌ على صيغة الخبر يُراد به التحذير، فالمقصود هو تحذير ذلك العبد المستعجل الذي لا يحترز الخير والشر في أفعاله، فكل عمل يقوم به سيجده مكتوبا محفوظا في كتاب يضم أعمالك فيقرأ الإنسان كل ما عمله حتى وإن كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، « قال قتادة: يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قارئا»[1]، وكأنّ الله سبحانه تعالى يقول احذروا فكل عمل تقومون به مسجلٌ في كتاب يوم القيامة تظهر فيه الأعمال مفصلة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة[2].

وعليه، يمكن تصنيف هذا الفعل ضمن فئة **التوجيهيّات**؛ حيث كان المقصود توجيه أفعال المخاطب لتغيير السلوك، **والفعل التأثيريّ** يظهر في التزام كل إنسان بفعل الخير والابتعاد عن فعل الشّر.

- **الأبعاد التربويّة لفعل التحذير من عمل الشّر:**

لكلّ إنسان يوم الحساب كتاب تسجل فيه أعمال الخير كما تسجل فيه أعمال الشر، وسيحاسب كل إنسان على حسب تلك الأعمال ولا دخل لأحد فيما كتب في ذلك الكتاب إن كان شرا أو خيرافيه كتبت الأقوال والأفعال جاء في التفسيرأن «هذا كتاب، لسانك قلمه، وريقك مداده وأعضاؤك قرطاسه...أنت كنت المملي على حفظتك، ما زيد فيه ولا نقص منه، ومتى أنكرت منه شيئا يكون الشاهد منك عليك»[3]، ولهذه الآية وأفعالها الإنجازية بعدا تربويا فهي تربينا فكريا كما تربينا نفسيتنا والأهم من ذلك سلوكيا، فما هي الأبعاد التربوية لهذه الأفعال الكلاميّة؟

[1]_ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج7،ص 22.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص48.

[3]_القرطبي: الجامع لأحكام القرآن،ج13، ص41.

1_الأبعاد الفكريّة:تقدّم لنا هذه الآية بعدا فكريا يجعلنا نكون فكرة على يوم الحساب يوم يكون لكل امرئ شأن يُغنيه، كما يُسهم ذلك في توضيح الأفكار حول الكتاب الذي ستوضع فيه الأعمال، فالتحيذير هنا فيه ترغيب بالعمل الصالح ووتنفير من العمل الطالح.

2_الأبعاد النفسيّة: من أهم الأبعاد النفسية التي يثيرها الفعل الكلامي في هذه الآية هو الخوف من يوم الحساب.

3_الأبعاد السلوكيّة: بعدما أعطتنا هذه الآية بعدا فكريّا ونفسيّا فمن المتوقع أن البعد السلوكي سيغيرك إلى الأحسن، وهو الحرص كل الحرص على تربية الفؤاد والسمع والبصر بالطاعات وانشغالها بالعبادات، والبعد عن المعاصي التي لا تورث فاعلها غير الندم والحسرة، ومن ترك معصية من أجل لله فلن يضيعه الله قال تعالى:﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[1].

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(3):**

قال تعالى: ﴿**ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١**﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآية جاء للأمر بالنظر القلبي المصحوب بالتدّبر والتفكر[2] بأنّ الله فضل الناس بعضهم عن بعض «في الدنيا بسعة الأرزاق وقلتها، واليسر والعسر، والعلم والجهل، والعقل والسفه...»[3]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾أنّ التفضيل والاختلاف حاصل حتى في الآخرة وسيكون اختلاف، وتفاوت في الإيمان والإخلاص والأعمال الصالحة[4].

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إنّ بنية الفعل الكلامي تظهر في الفعل النطقي المتمثل في العبارة المتصدرة بفعل الأمر (انظر)، والمحتوى القضوي ينقسم إلى المرجع النبيّ

[1]_ سورة الكهف، الآية: 30.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص63.

[3]_ السعدي، تفسير السعدي، ص474.

[4]_ يُنظر: الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ص70.

(ﷺ)؛ فالخطاب موجه إليه «ويحتمل أن يكون لكل من له أهلية النظر والاعتبار»[1]، والخبر المتحدث عنه هو أنّ الله فضل بعض النّاس على بعض، وإنجاز الفعل النطقي وبما يحمله من محتوى قضويّ هو إنجاز لفعل إنجازي أيضا والمتمثل في فعليين لغويين فعل لغوي مباشر تطابق فيه قوته الإنجازية معناه الحرفي المتمثل في الأمر والذي يستدل عليه بقرائن بنوية منها﴿ٱنظُرۡ﴾ غير أنّ في السياق المقامي الذي وردت فيه لا يقصد به إنجاز فعل الأمر الحقيقي على وجه اللزوم والتكليف إنّما المقصود هو التنبيه أنّ عطاء الدنيا غير منوط بصلاح الأعمال فقد يفضل الكافر على المؤمن ويفضل فيه بعض المسلمين على بعض[2]، وأنّ التفاضل الحقيقي يكون في الآخرة لا في الدنيا الفانية..

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ قوّة إنجازية غير مباشرة تدل على الحث على تحصيل المراتب العليا في الآخرة؛ فدرجاتها أكبر من درجات الدنيا وهناك يقع التفاضل بين النّاس، والحث من الأفعال التوجيهيّة؛ فالغرض هو حث المخاطب على فعل العمل الصالح فذلك هو أساس التفاضل الذي يكون في الآخر، أمّا تفاضل الدنيا فهو زائل لا محالة.

وقد ورد هنا على هيئة خبرية، وجدير بالذكر في هذا المساق أنّ البلاغيين القدامى قد تنبهوا إلى خروج الخبر إلى الطلب؛ أي استعمال الخبر للدلالة على الطلب أو العكس وهو ما يندرج ضمن دراسة الأفعال غير المباشرة؛ أي دلالة ظاهر الكلام على الخبر وباطنه عن الطلب وفي هذا يقول السكاكي(ت626هـ): «واعلم أنّ الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر فيذكر أحدهما في موضع الآخر ولا يصار إلى ذلك إلا توخي نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع إلى دربه في نوعه هذا ولا يَعض فيه بضرسٍ قاطع...» [3]، وهذا ما يذهب إليه

[1]_ الشوكاني، فتح القدير، محمد بن محمد: الفتح القدير- تحقيق: عبد الرحمن عميرة، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط1،ج15، ص816.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص63.

[3]_ السكاكي، مفتاح العلوم، ص323.

(أوستين) حديثا عندما وجد أن الكثير من الملفوظات تبدو خبرية في تركيبها إلا أنّها لا تخبر عن شيء، بل تنجز فعلاً بمجرد النطق بها لذلك فإنّ هذا الصنف من الأفعال يتم التوصل إليه بعد القيام بعملية استدلالية تصبح معها البنية اللغوية الظاهرة للملفوظ مجرد ممر أو معبر للوصول إلى الفعل الإنجازي غير المباشر الذي يقصده المتكلم[1].

ومن خلال ما سبق نستطيع القول إنّ هذه ملفوظ الآية الكريمة عبر عن قوتيتين إنجازيتين غير مباشرتيتن؛ حيث خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى التنبيه وخرج الخبر عن صورتية التقريرية إلى معنى مستلزم وهو الحث؛ فقد خرج الخبر عن صورته، ويمكن تصنيف (التنبيه والحث) ضمن الأفعال التوجيهيّة التي يُقصد من ورائها توجيه سلوك المخاطب، أمّا الفعل التأثيريّ فيظهر في إلتزام المخاطب بسعيه نحو تحصيل الأفعال التي تقوده للفوز بالدرجات العليا في الآخرة.

- **الأبعاد التربويّة الحث على تحصيل المراتب العليا في الآخرة :**

1_ الأبعاد الفكريّة: التفاضل الدنيوي القائم على الخصائص النفسيّة والجسدية وغيرها من متاع الدنيا وزينتها راجع إلى حكمة إلاهيّة، وجب التنبه إليها وإدراك أنّ التفاضل الحقيقي يكون في الآخرة، ويقول سيّد قطب موضحا ذلك : «فمن شاء التفاوت الحق، ومن شاء التفاضل الضخم، فهو هناك في الآخرة، هناك في الرقعة الفسيحة، والآماد المتطاولة التي لا يعلم حدودها إلا الله، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون لا في متاع الدنيا القليل الهزيل»[2].

2_ الأبعاد النفسيّة: مادامت التفاضل سيكون في الآخرة، فهذا يورث الشعور بالطمأنينة والهوء، ويخلق الثقة بأن الأمر راجع إلى الله، ويغمر المرء بالرضوان العظيم إلى الله.

[1]_ يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص370.

[2]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2219.

3_الأبعاد السلوكيّة: لايجب مقارنة نفسك بالآخرين ممن هم أفضل منك مالا وأولادًا وجمالا، وسعة في الرزق والمال، وعلى المرء أن يتحلى بالقناعة، وأن يحمد الله على ما أعطاه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[1].

- **التحليل التداوليّ للفعل الكلامي(4):**

قال تعالى:﴿**۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾**﴾.

نزلت هذه الآيات الكريمات عندما ابتدئ بتشريع الأحكام للمسلمين لإصلاح جامعتهم وبناء أركانها وليزدادوا يقينا بارتفاعهم على أهل الترف وانحطاط المشركين عنهم وتعد هذه الآيات أول تفصيل للشريعة للمسلمين وقع في مكة[2].

تعجُّ هذه الآيات بسلسلة من الأفعال الكلامية **التوجيهية** تظهر بنية الفعل الكلامي الأوّل في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ حيث يظهر **الفعل النطقي** في النطق بهذه العبارة التي وردت على هيئة جملة اسمية وقد ورد في البحر المحيط أن قضى في هذه الآية جاءت بمعنى أمر، يقول أبو حيان الأندلسي(ت745هـ): «وأقول أنّ المعنى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أمره ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾»[3]،**والمحتوى القضوي** يتمثل في عبادة الله والإحسان إلى الوالدين، والخطاب موجه إلى غير معيّن، فيعمُّ كل مخاطب وقد وُظف ضمير المفرد (ربك) (عندك) ...لأنّه خطاب يختص كل شخص له أبوين[4].

والظاهر مما سبق أنّ ملفوظ الآية يعبر عن فعل **كلامي توجيهيّ** تظهر **قوته الإنجازيّة المباشرة** في الإخبار **وقوةّ إنجازية مستلزمة** تمثلت في الأمر «فقد أمر تعالى بعبادته ، ثم أتبعه

---

[1]_ سورة طه، الآية: 131.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج15، ص 65.

[3]_ أبو حيان ، البحر المحيط ،ج7، ص 33_34.

[4]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص68.

بالأمر ببر الوالدين، ودلّ على الأمر الفعل قضى»[1]، الحامل لمعنى الأمر، كما أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾، أي أحسنوا إحسنا بالوالدين، والباء هنا وردت لمعنى التعدية، يقال: أحسن بفلان كما يقال أحسن إليه[2]، وما دعمّ القوة الإنجازية بالإيجاب استعمال الفعل (قضى) الذي يحمل معنى «توكيد الأمر وتشديده»[3]، إضافة إلى تقديم الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ فذلك أشدّ قوّة وأوكد وأقوى[4]، في التأكيد والحث على الإحسان بالوالدين فلم يكن ذلك ليحدث لو قيل (وإحسانا بالوالدين)، كما يمكن القول إنّ بنية الفعل الكلاميّ عبرت عن **قيمة تداوليّة** تمثلت في **النصح والإرشاد**، وهذا ما نوّه به العرب القدامى؛ حيث انتبهوا إلى خروج هذه الأساليب إلى أغراض أخرى، فالأمر يخرج للدعاء، أو الالتماس، أو التهديد، أو النصح، وهذا ينطبق على بقية الأساليب الطلبية[5]، وهنا عبر الأمر عن معنى النصح والإرشاد.

في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا**﴾فعل كلامي توجيهي آخر جاء على هيئة فعل إنجازي مباشر تمثلت قوته الإنجازية المباشرة في النهي ويظهر ذلك في الفعل الأول ﴿فَلَا تَقُل﴾ والأمر في الفعل الثاني ﴿وَقُل﴾ فقد نهى الله (ﷻ) عن نهر الوالدين وزجرهما ولو بكلمة أفٍّ، أي بأدنى شيء من الأذية وهو الأذية باللسان وكلمة أف هي «اسم فعل أمر بمعنى أتضجر»[6] ، والفعل (قل) في هذه الآية يعدُّ فعلا إنجازيًّا حقق قوّة إنجازية يُراد به إنجاز فعل مخصوص بالقول المسوق بعد (قل) وهو **الأمر** بمعاملة الوالدين بالكلمة الطيّبة والقول الكريم، أمّا **الفعل التوجيهيّ** الرابع فيظهر في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ حيث تضمن الملفوظ قوّة إنجازية مباشرة تمثل في الأمر الموجه من الله تعالى إلى

[1]_ أبو حيان ، البحر المحيط ،ج7، ص 33_34.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص67_68.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2221.

[4]_يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 68.

[5]_ يُنظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص117.

[6]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص70.

المسلمين عامة، وموجة إلى الأبناء خاصة يتمثل في التواضع لها تذللًا لهما ورحمة بهما لا خوفًا منها[1].

وبناءً على ما سبق، يمكننا تقسيم الآي السابقة إلى **معنى صريح** ينقسم إلى محتوى قضوي يظهر في البر بالوالدين، وقوة إنجازية مباشرة ظهرت في الأمر الحقيقي والنهي، **والمعنى الضمني** ينقسم إلى معنى عرفي يتمثل في اقتضاء وجود عقوق للوالدين، **معنى تخاطبي** مستلزم يتمثل في تمثلت في الحث والحض على طاعة الوالدين والإحسان لها والرحمة بها والتذلل بين أيديهما وقد عبر عن ذلك بالاستعارة المكنية (واخفض لهما جناح الذل) «فكأنما للذل جنان يخفضه الولد لوالديه إيذانا بالسلام والاستسلام لهما»[2] ، وهذا ما يدعو إلى والرحمة والشفقة بالوالدين، كما يتضح ذلك في قوله تعالى:﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ حيث أمر تعالى بالفعل بتوظيف الفعل الإنجازي (قل)* بالتوجه إليه ودعائه بالرحمة للوالدين، لأنّه قد يصل الوالدين في مرحلة من مراحل عمرهما إلى الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان، فلذلك وجب الدعاء لهما بالرحمة من الله، لأن رحمته واسعة وشاملة.

وبتضافر الأفعال الكلاميّة التي جاء على الترتيب (الخبر الذي أدى معنى الأمر+ النهي+ الأمر الحقيقي+الأمر الحقيقي) يمكن أن نجمل ذلك بفعل كلاميّ كليّ يتمثل في **الحث والحض،** وهذا من قبيل الأفعال الكلاميّة التوجيهيّة، وتشترك كل هذه الأفعال الكلامية في **فعل تأثيري** واحد الاستجابة لأوامر ونواهي الله والعمل على الإحسان للوالدين، حيث كان المقصود التأثير

---

[1]_ السعدي، تفسير السعدي، ص474.

[2]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2221.

* _ الفعل (قل) فهو من أفعال الأمر الأكثر توترا في القرآن الكريم حيث ورد (332) مرة وورد في سورة الإسراء (19) مرة، وتعود هذه الكثرة على حد ما ذكره مختار عطية إلى " ارتباط هذا الفعل بالتكليف في سائر مناصبه سواء في ذلك ما كان في العقيدة أو في العبادات أو في المعاملات أو في التواصل بين الأمة ورسولها فيما كان يتوجه إليه عليه الصلاة والسلام من التساؤلات والاستفسارات في أمور الدين فيلاحقه الوحي بالإجابة ،ُ ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،دار الكتب المصرية، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص 571. ومختار عطية، علم المعاني، دلالات الأمر في القرآن الكريم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د، ط)، 2004، ص 238

في المخاطب وتغيير سلوكه وتظهر قوّة التأثير في حجاجية الألفاظ المستعملة من (قبيل قضى، اخفض، لا تقل لها أفٍّ...) فهذه الألفاظ، والأقوال، والعبارات لها طابع حجاجي واضح، ولها قوة حجاجية بارزة يتم من خلالها التأثير في المتلقي، وعلى دفعه إلى تبني رأي ما، أو الاستجابة لطلب معين، أو اتخاذ موقف ما من القضايا، أو إلى تغيير آرائه ومواقفه بشكل عام[1] ، وهذا ما يتجلى هنا حيث ساهمت هذه الألفاظ في تقويّة الحجة القائلة بطاعة الوالدين والرحمة بهما.

- **الأبعاد التربويّة لفعلي الأمر بمعاملة الوالدين بالكلمة الطيّبة والقول الكريم والنهي عن زجرهما:**

1_الأبعاد الفكريّة: قدّم الإسلام للإنسان منهجا كاملا لحقوق الوالدين، بصورة لم تعهدها الإنسانية في حياتها من قبل، حيث ربط هذه الحقوق بوحدانيته تعالى وأمر الأبناء بالاتزام أقصى حدود الأدب في معاملتهم للآباء[2].

- أمر الله تعالى بطاعته أولًا ثم بالإحسان للوالدين، حيث أنّ في ذلك مناسبة بين الأمر بعبادة الله وبين الأمر ببر الوالدين، وقد يرجع ذلك إلى عدة وجوه منها: «أن السبب الحقيقي لوجود الإنسان هو الله والسبب الظاهري هو الأبوين فأمر بتعظيم السبب الحقيقي ثم أتبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري»[3] فقد أمر تعالى بإفراده بالعبادة وحده لا شريك له، ثم أعقب ذلك بالأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما، وذلك رفعا لقيمة الوالدين وإعلاءً لشأنهما[4].

[1]_ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة، الدار البيضاء، ط1 ، 2006، ص 133.

[2]_يُنظر: محمد علي النمر، سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، ص236.

[3]_ الرازي، فخر الدين ، تفسير االرازي ، ج20، ص 186.

[4]_ يُنظر: بدرية صالح البسام، الدلالات التربوية المستنبطة من وصايا سورة الإسراء وتطبيقاتها التربوية، دراسات تربوية في التربية وعلم النفس، المجلد الخامس، العدد1، ص221.

❖ من أعظم الواجبات التي يجب على الأسرة أن تولي جل اهتمامها بتربية أبنائها عليها واجباتهم اجتاه الآباء والبر بهما فهذه من أعظم التربية الأخلاق والآداب التي يجب أن يتحلو بها[1].

❖ نهى الله تعالى عن عقوق الوالدين لما يورثه ذلك من ذنب عظيم وعقوبة عليه، فعن الرسول (ﷺ) أنّه أنّه قال: «كل الذنوب يؤخر الله ما يشاء فيها إلا عقوق الوالدين، فإنّ الله يعجل لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات»[2].

2_الأبعاد النفسيّة:

❖ إنّ تحريم عقوق الوالدين والأمر بالبر لهما يبث الرحمة في قلوب الأبناء، يقول سيد قطب: «بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء»[3].

❖ دعا سبحانه وتعالى إلى البّر بالوالدين حين ضعفهما وذلك أحب البر، ولا يعود ذلك لعجزه تعالى على الرحمة والإحسان بهما وإنّما لبعد نفسي يتمثل في دعوته لتربية النفس البشرية على الضبط وملك زمامها[4]، فأحب ما يحتاج الوالدين وخاصة في مرحلة ضعفهما هي الرحمة والشفة عليهم.

3_ الأبعاد السلوكيّة:

❖ نحن محتاجون إلى وقفة في تعاملنا مع الوالدين، فلا نرفع أصواتنا في حضورهما، نرقف بهما ونعاملهما بلطف ولين، نتحمّل تصرفاتهما دون كلل أو ملل،

---

[1]_ يُنظر: بدرية صالح البسام، الدلالات التربوية المستنبطة من وصايا سورة الإسراء وتطبيقاتها التربوية، ص222.

[2] الإمام الحافظ زكي الدين المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، كتاب البر والصلة وغيرهما، رواه الحاكم والأصبهاني،دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان،ط3، 2003، المجلد3، ص 225.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2221.

[4]_ يُنظر: عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، ط2، 2006، ص24_25.

فالوالد مأمور بالصبر والتّحمل وكيف لا وهما اللذان تحمّلا الكثير من أجلنا، فاللهم ارحم والدينا وارزقنا برهم ومرافقتهم بإحسان.

❖ والقول الحسن من واجبات الأنباء نحو الآباء، فيجب على الولد أن يعامل والديه بالكلمة الطيّبة الحسنة تعظيما لفضلهما وما تحمّلاه من عناء في التربيّة[1].

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(5):**

قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾.

جاءت هذه الآي معطوفة على ما قبلها من الآيات التي تضمنت الحديث عن البرّ بالوالدين، والإحسان لهما فهم من ذي القربى؛ لذلك يظل الخطاب في نفس السياق حيث جاء بالأمر بالإنفاق على ذي القربى ويصل بهم المساكين وابن السبيل...

ويمكن عدّ الآي السابقة بمثابة **فعل كلاميّ** يظهر عنصره الأوّل عند النطق بالعبارات السابقة المفتتحة بفعل الأمر وهذا ما يشكل **الفعل النطقي**، والمتمثل في **المحتوى القضويّ** وهو إيتاء ذي القرى حقه والمسكين وابن السبيل ثمّ الحديث عن موضوع الإنفاق وعدم التبذير والتوسط بين ذلك، وقد جاء في البحر المحيط أن ذي القربى هم«قرابة الرسول عليه السلام أمر بإعطائهم حقهم من بيت المال... »[2]؛ والإحالة ظاهر أنّها إلى الرسول (ﷺ) ولكل مسلم مكلّف، وعليه فقد عبر ملفوظ الآيات عن سلسلة من **الأفعال الإنجازيّة** جاءت على الترتيب بالأمر بإيتاء ذي القربى، والمساكين، وابن السبيل، والأمر هنا من قبيل **القوة الإنجازيّة المباشرة.**

[1]_ يُنظر: حمبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدّبر، ص 598.

[2]_ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص40

أمّا الفعل الكلاميّ الثاني فيظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ حيث عبر عن قوّة إنجازية مباشرة تمثلت في النهي والذي يمكن الاستدلال عليه من خلال العلامة البنوية (لا) الناهية، والمقصود بالتبذير« إنفاق المال في غير حق»[1]، وقد ورد النهي عن التبذير بعدما « كانت الجاهلية تخر إبلها وتبذر وتتياسر عليها، وتبذر أموالها في الفخر والسمعة، وتذكر ذلك في أشعارها، فنهى الله تعالى عن النفقة في غير وجوه البر وما يقرب منه تعالى»[2]، وفي قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَانَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ ﴾ تعليل للنهي عن التبذير[3]، وفي هذا تدعيم للقوّة الإنجازية وزيادة في التأكيد على أنّ التبذير منهيٌّ عنه، أمّا **القوة الإنجازيّة** المستلزمة فقد جاءت **للتحذير،** ويعلّق على ذلك الطاهر بن عاشور بقوله: أنّ «هذا **تحذير** من التبذير، فإن التبذير إذا فعله المرء اعتاده فأدمن عليه فصار له خُلقا لا يفارقه شأن الأخلاق الذميمة»[4]، أمّا قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ﴾ فقيل أنّها نزلت «في قوم كانوا يسألون رسول الله (ﷺ) فيأبى أن يعطيهم لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد، فكان يعرض عنهم»[5].

ثمّ جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾، حيث ورد في هذا الخطاب القرآني فعل كلامي يظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾ وعند التلفظ به يتكون الفعل القوليّ، وقد دلّ عن **قوة إنجازيّة** مباشرة تمثل في النهي على أن يمسك الإنسان إمساكًا بحيث يضيق الرزق على نفسه وأهله وأن لا يكون مبسوط اليد فيوصله ذلك للاسراف والتبذير، ويوضح الزمخشري ذلك بقوله: وهذا «أمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير»[6] والخطاب هنا موجه إلى النبي (ﷺ) وإلى عامّة النّاس من المكلفين.

---

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 64.

[2]_ المرجع نفسه ، ص 40.

[3]_ الشوكاني، الفتح القدير، ص819.

[4]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 81.

[5]_ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ص 40.

[6]_ الزمخشري، الكشاف، ص596.

ومنه يمكننا القول إنّ في الخطاب القرآني تنوع لأفعال الكلام وذلك لبغرض تداولي يتمثل في بيان القصدية الكلية بتضافر تلك الأفعال أو ما يطلق عليها (فان دايك) بالتداولية الصغرى، حيث ورد الأمر الحقيقي +التأكيد(إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين...)+ النهي الذي خرج لغرض التحذير+ الأمر الحقيقي حيث شكلت فعلا كليّا أو إجماليّا بتعبير (فان دايك) عبر عن **التحذير والنصح**، والذي تم استنتاجه انطلاقا من القضية الجوهرية للخطاب القرآني موضوع الإنفاق وعدم التبذير ثم التوسط بين ذلك، وبناءً على كلّ ما سبق يظهر الفعل التأثيري في الاستجابة لأمر الله تعالى بإيتاء ذي القربى واليتامى والمسكين، وعدم التبذير.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الأمر بإيتاء ذي القربى واليتامى والمساكين:**

التكافل الاجتماعي هو منهج التشريع الإسلامي، ويبدأ من محيط الأسرة ثم يمتد إلى دائرة الأقربين، ثم إلى محيط الجماعة من الفقراء والمساكين وابن السبيل والأرامل والأيتام في تراحم وتعاطف ليخفف من معاناتهم ويجعل الحياة ميسورة، وقد وصى الله تعالى في هذه الآيات بذي القربى والمساكين وابن السبيل ...، وقد جاء ذلك بعد أمره بالبر بالوالدين وفي مضمون هذا يقول الشوكاني (ت1415هـ): «إنّ الله سبحانه بعد التوصية بالوالدين وصى بذي القربى، وحقهم صلة الرحم والصدقة، ثم المسكين الذي لا يجد ما يسد حاجته، وابن السبيل الذي انقطع زاده، فيتصدق عليهم من صدقة النفل، أو ما فرضه الله من صدقة الفرض»[1]، وهذه الأوامر والنواهي والوصايا المجودة في هذه الآيات تعطينا أبعادا تربوية يمكن تفصيلها في ما يلي:

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في أمره تعالى بإيتاء ذي القربى بعد فكريا يتمثل في تقوية أواصر العلاقات الأسرية، أما في أمره بإيتاء المساكين وابن السبيل فمقصده انتظام المجتمع بأن لا يكون من أفراده من هو في بؤس وشقاء[2].

[1]_ الشوكاني، الفتح القدير ، ص 226.

[2]_ يُنظر: عايد بن عبد الله الحربي، وصايا سورة الإسراء تفسيرها ودلالاتها، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد131، ص 168.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ وصية الله تعالى بذي القربى والمساكين وابن السبيل «تغرس في النفس البشرية حب الخير والتكافل والتعاون على البر والإنفاق على المحتاجين»[1]، كما أنّ في الإنفاق تطهير وتنظيف لمشاعر المنفق من البخل والشح[2].

3_الأبعاد السلوكيّة:ومن الأبعاد السلوكية لهذه الأوامر والنواهي هو اتباع ما أمر الله به من ايتاء ذي القربى والمسامين...،من واجتناب نواهيه من عدم التبذير وغيرها، فيكون الأفراد متعاونين على الخير دون إسراف ولا تبذير بل باعتدال وتوسط في النفقة، كما تجعل الإنسان السوي يحب الخير ويسارع إليه[3]، ولا يجب اعتبار هذه الحدود والنواهي قيود لحرية الإنسان بل يجب التيقن بأنّ لحرية الإنسان بل يجب التيقن بأنّها ضمان لماله، ولساعدته في الدنيا.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(6):**

قال تعالى : ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤**﴾.

روي في سبب نزول هذه الآية أنّها«نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلا من العرب شتمه، وسبه عمر وهمَّ بقتله، فكادت تثير فتنة فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾»[4].

تمثل لنا الآيات السابقة فعل تداوليّ يظهر أولا في النطق بالعبارة المبدوءة بالفعل (قل) أمّا **المحتوى القضوي** فهو الحديث عن المعاملة الطيّبة؛بالقول الحسن مع جميع النّاس؛ فمثل الكلمة الطيّبة كالشجرة الطيّبة؛ لذلكأمر الله تعالى «نبيه أن يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار واللطف بهم

---

[1]_ بدرية صالح البسام، الدلالات التربوية المستنبطة من سورة الإسراء، ص 6.

[2]_ موصد خديجة، خطاب النّفس في القرآن حقيقته، أساليبه، مقاصده، أطروحة مقدمة لنيل شهادة المجاستير، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامة،2007، ص220.

[3]_ يُنظر: بدرية صالح البسام، الدلالات التربوية المستنبطة من سورة الإسراء، ص 7.

[4]_ القرطبي، جامع أحكام القرآن، ص 103.

في القول، وأن لا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم»[1]؛ فالإسلام دين يسر يحث على معاملة جميع النّاس بالكلمة التي هي أحسن، كما يشمل قول الكلمة الحسنة في قضاء الله وقدره وعدم الاعتراض على حكم الله لذلك قال بعض المفسرين أنّ في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ... ﴾ تعليل للأمر السابق[2]، فكأنّه أمر بالقول الحسن عند الرضا ثم بيان سبب ذلك بأن المشيئة بيد الله تعالى وحده فجعل لكل إنسان قدر محتوم، فهناك السعيد والشقي، والمريضلاوالسقيم، والغني والفقير...

وعليه نستطيع القول إنّ ملفوظ هذه الآيات يعبر عن الأمر الحقيقي والذي يمثل **قوّة إنجازيّة مباشرة** ويظهر ذلك جليّا من خلال الفعل (قل) الذي يحمل دلالة تعليميّة من الله تعالى إلى الرسول (ﷺ) والأمر هنا بدوره موجه إلى كافة المسلمين قديمًا وحديثًا حتى يستعملوا الألفاظ الحسنة في تعاملهم مع بعضهم البعض وأن لا يتركوا فرصة للشيطان ليبث نار الفتنة وينزغ بينهم، **والفعل التأثيريّ** في التزام الكلمة الطيّبة في جميع الحالات ومعاملة النّاس بالتي هي أحسن.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الأمر باستعمال الألفاظ الحسنة في تعامل النّاس مع بعضهم البعض:**

1_الأبعاد الفكرية: تربي فينا هذه الآية وهذا الفعل الكلامي بالتحديد بعدا فكريًّا يظهر في فكرة التأدب في لغة الخطاب، وأنه إذا اشتد الحوار بينك وبين أحد المتحاورين عليك باستحضار هذه الآية.

2_الأبعاد النفسيّة: الصبرعلى الكلام الخبيث فإذا اختصمت في صدرك كلمتان حستنان...واختار لسانك بأيهما ينطق فانطق أحسنهما، سواء بحق الله تعالى وقضائه أو بحق من سبب لك الأدية من بني البشر.

[1]_ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير،ج7، ص 66.

[2]_ الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص 119.

3ـالأبعاد السلوكيّة: تعود اللسان على التزام الكلام الحسن والكلمة الطيبة؛ فالتزام الكلمة الحسنة وضبط الألسن في كل الأحوال يعد جزءا من بناء المجتمع الإسلامي الفاضل،[1] يرفع المسلم درجاتٍ في الدنيا والآخرة؛ فالكلمة الطيبة صدقة.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(7):**

قال تعالى: ﴿**قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦**﴾.

نقل القرطبي في سبب نزول هذه الآية أنّه« لما أُبتلت قريش بالقحط وشكوا إلى رسول الله ﷺ أنزل الله هذه الآية؛ أي: ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم أنهم آلهة»[2]؛ فلن ينقذوكم من هذا القحط الذي حلّ بكم، وورد في البحر المحيط أنّها نزلت في عبدة الشياطين حيث أسلمت الشياطين وبقوا يعبدونهم[3].

والمحتوى القضويّ يتمثل في الدعوة لتوحيد الله وحده لا شريك له والرد على المشركين الذين يعبدون آلهة من غير الله، فليس هناك أحد بقادر أن يكشف الضر أو يحوله إلّا الله وحده فهو المتصرف في أقدار عباده وأن الآلهة التي يعبدونها من الجن وغيرها ليست إلا خلق من خلق الله[4] ، «وقال ابن عباس: كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه لفظ زعم فهو كذب».[5]

وعليه، نستطيع القول إنّ ملفوظ هذه الآيات شكلّ فعلا إنجازيّا ظهر على هيئة قوّة إنجازيّة مباشرة تمثلت في الأمر، ويتضح ذلك من خلال الفعل (قل)؛ حيث أمر الله تعالى النبي (ﷺ) لدعوة المشركين لتوحيد الله، إلاّ أنّ السياق يكشف عن **قوّة إنجازيّة غير مباشرة** تتمثل في تعجيز الكفار على إيجاد إلاه يكشف عنهم الضر من دون الله (ﷻ)، والمقصود

---

[1]ـ يُنظر: حمبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ص 649.

[2]ـ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13ص 105.

[3]ـ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص 69.

[4]ـ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2235.

[5]ـ الرازي، تفسير الرازي، ج20، ص232.

بالتعجيز في البلاغة العربيّة «مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه، إظهارا لعجزه وضعفه وعدم قدرته»[1]، فالله سبحانه وتعالى يُظهر عجز الكفار في أن تكون آلهتهم كاشفة عنهم الضر وعونًا لهم وسندًا.

وعليه فإذا علمنا أنّ الفعل (قل) فعل أمر يحمل طابعا تعليميّا، كان تركيزنا على الفعل الثاني (ادعوا) فهو فعل أمر ثانٍ حامل لمعنى التعجيز؛ فالمتكلّم عالم بأنّ هذه الآلهة لن تستطيع أن تكشف الضر عن المشركين من دون الله ؛ فليس المقصود بالفعل (ادعوا) الأمر الحقيقي وإنّما التعجيز؛ أي مطابتهم بعمل لا يقدرون عليه وعموما يمكن تلخيص ذلك في الشكل الآتي:

(ادعوا) قوّة ← مباشرة (الأمر)

إنجازية ↙ قوّة إنجازية مستلزمة (التعجيز)

والفعل التأثيري يظهر في عجز المخاطب عن دعوة غير الله؛ فذلك لن ينفعه في شيء وهذه الآلهة التي يدعوها من غير الله لم ولن تستجيب له.

- **الأبعاد التربويّة لفعل تعجيز الكفار على أن يكون غير الله كاشف عنهم الضرَّ:**

1_الأبعاد الفكريّة: كل شيء في هذه الدنيا خاضع لإرادة الله، له ملكوت كل شيء، وكل شيء ما خلا الله باطل «ليس في الوجود كلّه إله ربٌّ يجيب دعاء المضطر إذا دعاه غ وهو الله الواحد الأحد، الذي لا ربّ غيره فلا إله بحق سواه» [2]، فلا يمكن لأي شيء في الوجود مهما عظمة قوّته أن يستجيب الدعاء إلّا الله.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ النفس لتشعر بالراحة والسكينة إذا علمت أنّ هناك رب واحد بإمكانه أن يكشف الضر عن النّاس ويغير أقدارهم، فما الحاجة إلى عبادة شيء آخر دون الله؟

[1]_ عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت_لبنان، ط1، 2009، ص80.

[2]_ حمبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، ص656.

3ـالأبعاد السلوكيّة: الله هو القادر على كشف الضر وتحويل أقدار النّاس من حال إلى حال، فإذا علم الإنسان هذا وأدرك أنّ كل شيء بيده تعالى ، فستكون عبادته خالصة لوجهه الكريم، فلا إله معبود سواه.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(8):**

قال تعالى:﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآيات الكريمة موجه إلى الرسول (ﷺ) خاصة وللأمة الإسلامية عامة فكل خطاب موجه إلى النبي (ﷺ) تدخل فيه أمته كذلك إلاّ إذا خصص الحكم له فحسب_وهذا ما تم بيانه سابقا_ويمكن اعتبار الآيات السابة **فعل كلاميّ** ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ في قوله أيضا:﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ حيث يتمثل **الفعل النطقي** في النطق بهذه العبارة في شكل دلالي ونحوي سليم، **والمحتوى القضوي** يتمثل في إقامة الصلاة المفروضة، والتهجد في الليل كنافلة؛ فالمقصود (بالدلوك) غروب الشمس وقيل زوالها عند نصف النهار لذلك فكلمة دلوك تشمل صلاة الظهر والعصر، أمّا (قرآن الفجر) فتشمل صلاة الصبر، (وغسق الليل)؛ أي ظلمته فيشمل صلاة المغرب والعشاء،[1] أمّا التهجد فهي الصلاة التي يتقرب بها العبد من ربه، وتكون «أثناء الليل»[2]، وعليه، نلاحظ أنّ ملفوظ هذه الآية الأولى قد عبر عن **فعل توجيهي** ظهرت **قوّته الإنجازيّة** على هيئة مباشرة تمثلت في الأمر بإقامة الصلاة المفروضة؛ حيث حمل الأمر هنا معنى الوجوب واللزوم، فقد جاء في تفسير القرطبي أنّ «قوله تعالى:(وأقيموا الصلاة) أمر معناه الوجوب ولا خلاف فيه»[3]، وقد شُرعت الصلوات الخمس في ليلة الإسراء[4].

---

[1]_ يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ص91_97.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص185.

[3]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآ، ج1، ص343.

[4]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص182.

أمّا **الفعل التوجيهيّ** الثاني فيظهر في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ**﴾ حيث **تظهر القوّة الإنجازية** على هيئة مباشرة تمثلت في **الأمر الحقيقي**، والأمر هنا موجه إلى النبي (ﷺ) ويظهر ذلك من خلال كاف الخطاب في (لك)؛ أي نافلة لأجلك أنتَ[1] أيّها النبي؛ فصلاة التهجد من النوافل؛ أي عبادة زائدة وليست مفروضة «والمعنى أن التهجد زيد على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك»[2]، وهي من السنن النبويّة المستحسن اتباعها حيث يثاب المرء على فعلها ولا يؤثم على تكرها، فمؤدي هذه الصلاة النافلة سيحصل على الثواب الجزيل الذي ينفعه في الآخرة، لذلك يمكننا القول أنّ ملفوظ الآية عبر عن أمر حقيقي للنبي(ﷺ) وحث ونصح لبقية المسلمين بإقامة صلاة التهجد أو صلاة قيام الليل، **والفعل التأثيريّ** يظهر في المحافظة على الصلاة المفروضة، والتقرب إلى الله بصلاة قيام الليل التي تعد خلوة بين العبد وربّه.

- **الأبعاد التربويّة لفعلي الأمر بإقامة الصلاة المفروضة والنصح بصلاة قيام الليل النافلة:**

1_ الأبعاد الفكريّة:الصلاة عبادة مفروضة على كل مسلم مكلّف، فهي عماد الدين لذلك أمر تعالى بإقامتها في وقتها والمحافظة عليها وتأديتها على أكمل وجه.

قيام الليل أو صلاة التهجد هي الطريق المؤدي إلى المقام المحمود الذي خص به الرسول (ﷺ) والذي ينال به المؤمن الدرجات العليا في الجنّة[3]، فما أحوج النّاس إلى هذه الصلاة التي ترفعهم درجات في الجنّة.

2_الأبعاد النفسيّة:

- **للأمر بإقامة الصلاة:**

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ص 185.

[2]_ الزمخشري، الكشاف، ص 606.

[3]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 15، ص 2247.

الصلاة هي الصلة بين العبد وربه، تمثل العبودية الحقّة بما تزود به النفس من الشعور بالخضوع لله، فهي لقاء بين العبد وربه، تجعل المؤمن يستشعر عناية الله في كل أمر، وعونه في كل سير ويجد المسلم في كنفه الراحة والطمأنينة[1].

❖ **للأمر بصلاة التهجد:**

أمر الله (ﷻ) نبيه (ﷺ) بصلاة التهجد لما لها من آثار فعالة في تربية النفس وتزكية القلب إنها الصلاة التي «تفيض على الروح إشراقا وتغمر القلب بمعاني الجلال ذلك أنها تمثل الإخلاص الكامل لله، حيث يسكن الليل وتنتهي الشواغل، ويأوي الناس بربه ساجدا وراكعا يناجيه مناجاة الحب والإخلاص ولاسيما إذا كان التهجد بالقرآن الذي له وقعه على النفس»[2].

3_الأبعاد السلوكيّة:

من بين أهم العبادات التي يتقرب بها المؤمن إلى ربه الصلاة، وخاصة صلاة قيام الليل فهي دأب الصالحين، فوجب المحافظة على هذه الصلاة وعدم تضييعها لما فيها من الثواب والأجر الجزيل وإجابة الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سُئل: أيُّ الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ فقال: أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل»[3]، ويقصد صلاة التهجد التي أمر بها تعالى في هذه الآيات.

▪ **التحليل التداولي للفعل الكلامي(9):**

قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾**﴾.

[1]_ يُنظر: سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، ص 198.

[2]_ المرجع نفسه، ص202.

[3]_ الإمام مسلم النيسبوري، صحيح مسلم، دار الحديث بيروت_لبنان، ط1، 1991، الجزء3، ص169.

هذه الآية معطوفة على الجملة السابقة في قولة تعالى:﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ ، «فلما أمره تعالى بالشكر الفعلي (إقامة الصلوات الخمس وصلاة التهجد) عطف عليه الأمر بالشكر اللساني بأن يبتهل إلى الله بسؤال التوفيق في الخروج من مكان والدخول إلى مكان»[1].

حيث يظهر **الفعل الكلامي** في هذه الآية على هيئة فعل كلاميّ **توجيهي** (قل ربي أدخلني... أخرجني) والنطق بهذه العبارات يكون لنا **فعلا نطقيًّا** بتعبير (سيرل) يتمثل في **محتوى قضوي** يعبر عن الدعاء بالدخول في مدخل صدق والخروج في مخرج صدق، وقد دلّ ذلك على مقصدية مباشرة تتمثل في **الأمر الحقيقي** الذي يفيد التعليم، والتوجيه، والتوصية، موجه إلى محمد (ﷺ) بأن يسأله الدخول مدخل صدق والخروج مخرج صدق، والمقصود هو أنه إذا دخل في أي مكان أن يدخله ويخرج منه يجعله خالصا لوجه الله، وبأن يجعل له سلطانا؛ أي تأييدا وحجة عليه وملكا عظيما[2]، فأينما دخل مدخلا وأينما خرج مخرجا دعا ربه التيسير في ذلك، وقد عبر **الفعل الكلامي التوجيهي** هنا عن **فعل تأثيري** يتمثل في الدعوة إلى شكر الله وطلب القرب منه والاتصال به واستمداد العون والسلطة منه؛ لأنّه الملجأ والملاذ ومنه نستمد القوة والسلطان.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الأمر بدعاء الله لتسهيل الأمور:**

1_الأبعاد الفكريّة:إنّ في أمره تعالى لنبيه أن يدعوه بهذا الدعاء لتيسير الأمور، يغرس فينا فكرة أنّ تعالى يدعو عباده إلى دعائه ومناجاته، بهذا الدعاء الرباني العظيم، الذي علّمه تعالى لنبييه، يعلّمنا أن نلزمه في جميع الأشياء التي نريد أن نخوضها في حياتنا كالعمل، والزواج، والصفقات التجاريّة...فيدخل الإنسان في كل هذا بصدق ويخرج أيضا بصدق.

2_الأبعاد النفسيّة: دخولك في مدخل صدق لا فيه ظلم ولا غش ولا غلّ وخروجك وأنتَ متحلٍ بكامل صفات الرفق، والأمانة، والأخلاق الطيّبة،...سيغرس في نفسك الطمأنينة والسكينة، فأنت تستشعر في كل أمورك معيّة الله وتتوكل عليه فهو راضٍ عنك وعن مُدخلك ومُخرجك.

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 186.

[2] يُنظر: المرجع نفسه ، ص187.

3_الأبعاد السلوكيّة: لابدّ أن يتفكر الإنسان في هذا الدعاء وهو داخل في أي خطوة جديدة في حياته، فيدعو ربه أن يدخله مدخل صدقا يرضاه ويحبه ومخرجا يرضاه، فيخرج بقلب سليم دون خلاف ولا منازعات ولا غيرها من المشاكل والهموم، وعلى الإنسان تعلّم هذا الدعاء وأن لا يفارقه في أي مدخل يريد دخوله والخروج منه. فالمؤمن الصالح يجعل خروجه ودخوله خالصا لوجه الله وبما يحبه ويرضاه، فلا يدخل بغش وسرقة ونهب، وغل ورشوة...وإنّما يدخل بقلب يرضاه الله لا يظلم النّاس ويتقي ربه في كل خطوة يتقدمها، فيخرج بهذا بقلب يرضاه الله وهنيئا له بالجنّة وبرضا الله عنه.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(10):**

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَاوَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾.

روي في حادثة نزول الآية الأولى أنّ الرسول (ﷺ) «تهجد ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: يا رحمان يا رحيم، فقال المشركين: كان محمد يدعوا إلها واحدا فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن [...] فأنزل الله تعالى هذه الآية»[1].

وانطلاقًا مما سبق يمكننا القول إنّ الخطاب القرآني في هذا المقام يتضمن **فعلا كلاميًّا** يظهر في اتساق واضح **للفعل اللفظي** بدءا من النطق بفعل الأمر وصولا إلى النهي وهو خطاب مرجعه الرسول(ﷺ) لمخاطبة المشركين الذي اتهموه أنّ له إلهين اثنين؛ فالخطاب له«والمعنى هو: ادعوا هذا الاسم أو هذا الاسم أي اذكروا في دعائكم هذا أو هذا، فالمسمى واحد»[2]، لذلك فإنّ القضية المأمور بها خطاب من الله تعالى إلى الرسول(ﷺ) بأن دعاء الله بالاسم(الله) أو المسمى (الرحمن) سواء.

[1]_ الواحدي، أسباب النزول، ص 294.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 237.

ويشكل الخطاب القرآني أعلاه **فعلا كلاميّاطلبيّا**؛ فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيه وكافة المسلمين بدعائه بأي اسم من أسمائه، ويظهر الفعل الطلبيّ بالأمر والنهي على التوالي من خلال كلمات مخصوصة في قوله تعالى:﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ﴾، ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ﴾ ،﴿لَا تُخَافِتۡ﴾.

وعليه نستنتج أنّ الفعل الكلامي قد عبر عن **قوّة إنجازيّة** ظهرت على شكل فعل إنجازيّ مباشر تمثل في الأمر؛ حيث يراد بالأمر إنجاز فعل مخصوص بالقول المسوق بعد (قل) وهو فعل مستقبلي من أفعال المستمع (شرط المحتوى القضوي) الذي يكون بدوره قادرًا على إنجازه، لكنّه لا ينجزه دون الأمر الإلهي (الشرط التمهيدي) فجاء الأمر هنا بمثابة توجيه المخاطب (النبي ﷺ) لإنجاز فعل القول (الشرط الأساسي) فهو من صنف الطلبيّات الموجه إلى الرسول(ﷺ) ليخاطب به المشركين؛ لأن الله لا يكلّم الكفار مباشرة لاحتقاره وأهانته لهم[1]، فكان الرسول (ﷺ)الوساطة التي أرسلها الله تعالى، ويمكننا استنتاج **فعل تأثيري** يتمثل في دعاء الله والتضرع له سواء باسمه أو بصفاته.

أمّا في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا**﴾ خطاب آخر موجه إلى الرسول (ﷺ) وقد رُوي في أسباب نزوله أنه «عندما كان الرسول (ﷺ) يرفع صوته بقراءته، فإذا سمعها المشركون لغوا وسبّوا، فأمر بأن يخفض من صوته»[2]، وذلك بأن تكون قراءته بطريقة وسطية بلا جهر ولا مخافتة، فعندما توهم المشركون أنّ الرسول (ﷺ) يدعو إلهين نهاه الله تعالى على أن يجهر بدعائه أو لا يجهر بقراءة صلاته في الصلاة الجهرية؛ فالمقصود بالصلاة قد يكون العبادة المعروفة أو الدعاء، وذلك حتى لا يتوهم منه الكفار أنه يتطاول على آلهتهم بعدم ذكرها في صلاته فيقومون بإيذائه[3]، فجاء النهي عن الجهر بالصلاة والخفت بها أي السر في القراءة حتى لا يكاد يسمعك من هو خلفك[4]، وكأنك تكلّم نفسك، والابتغاء بين السر

[1]_ يُنظر: الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ص: 32_324.

[2]_ الزمخشري، الكشاف، ص 611.

[3]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 238.

[4]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص238.

والجهر طريقا وسطا، وعليه فإنّ **القوّة الإنجازية** تظهر في النهي بما ذكرناه سابقا؛ لأنّه إن لم يفعل ذلك سيزيد في بقاء المشركين على كفرهم في حين أن المقصود تليين قلوبهم[1].

وعليه يمكننا القول إنّ **الفعل الكلامي** لهذه الآيات جاء عبارة عن فعل توجيهي سلبي (لا تجهر ، لا تخافت) وفعل توجيهي إيجابي (وابتغ)؛ **فالنهي والأمر** هنا فعلين كلاميين موجهين إلى الرسول(ﷺ) بأن يكف عن هذا الفعل وهما ما فعليين مستقبلين من تصرف المخاطب من صنف الطلبيات وواضح أن اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، فالمقصود هو أن يوافق الخارج (الواقع) الكلام المتلفظ به، ولذلك فإنّ **الفعل التأثيري** المتوقع حدوثه هنا يظهر في الامتثال لنهي الله تعالى وابتغاء خط الوسط بين الجهر والسّر أثناء الصلاة أو الدعاء، حفاظا لشخص الرسول (ﷺ) من أدية المشركين.

- **الأبعاد التربويّة لفعل توجيه المخاطب بدعاء الله بأي اسم من أسمائه:**

لا يجب الجهر في الصلاة ولا المخافتة فيها فعلى المصلي أن يبتغي في ذلك خط الوسط، وفي نهييه تعالى نبيّه عن الجهر بالصلاة والمخافتة فيها **أبعاد فكرية** حيث يتضح لنا من خلال ذلك أن المقصود بيان فكرة حفظ الله تعالى لهذا الدين الحنيف فحتى لا يَسُب الكفار القرآن الكريم نهى الله تعالى محمد عن الجهر بالصلاة، وخشية على الرسول الكريم من ترصد الأعداء به، كما راعى تعالى المصلين الموجودين خلفه فنهاه عن السر في القراءة، بحيث تكون قراءته مسموعة لديهم.

2_الأبعاد النفسيّة: هذا ما يُربي في نفسية الإنسان المسلم فخرا واعتزازا وثقة بكل ما جاء به القرآن الكريم.

3_الأبعاد السلوكيّة: إذا كان المقصود بالصلاة الدعاء فإنّ ذلك يدعو إلى أبعاد سلوكية تتمثل في تربية المسلم على التحلي بآداب الدعاء دون جهر ولا مخافتة، فلا يرفع صوته فيشوش

[1] يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ص 238.

على النّاس ويؤديهم، أو ربما يذكر عيوبه وذنوبه أثناء الدعاء يعيّر بها،[1] أمّا إذا كان المقصود بالصلاة الصلاة المعروفة فإنّ في ذلك تربية لتجنب الرياء فهو مدخل من مداخل الشيطان فلا لايجب الجهر بالصلاة من أجل أن يمدحك النّاس وإنما يجب أن يكون كل ذلك خالص لوجه الله تعالى، ولا أن يكون المخافتة في الصلاة خوفا من النّاس.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (11):**

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾.

جاء هذا الخطاب كأمر من الله تعالى إلى الرسول (ﷺ) بحمده والثناء عليه، فبعدما نهاه عن الجهر والمخافتة بالدعاء أعقب ذلك بأمره بإعلان التوحيد لقطع توهمهم أن الرحمان اسم لمسمى غير الله*، فأمر النبي (ﷺ) بأن يقول ما يقلعُ ذلك الشك كله في قلوبهم وأن يعظمه بأنواع التعظيم[2]، أي بشتّى أسماء الله الحسنى.

وعليه نلاحظ أنّ **الفعل النطقي** يتمثل في النطق بهذه العبارة، **والمحتوى القضوي** يظهر في حمد الله وتكبيره، **والقوّة الإنجازيّة** تتمثل في **الأمر** بحمد الله والثناء عليه لأنه لم يتخذ ولدا ولا شريك له في الملك فهو المعبود الذي لا شريك له ولا ولي، لا يماثله شيء في ذات ولا صفة فلا بدّ من حمده، ولا ولي له من الذل أي لا يحتاج ولا يفتقر إلى ناصر فهو في غنى عن ذلك[3].

وتأسيسًا على ما سبق، يمكننا القول إنّ الآية الكريمة يواكبها **فعل لغوي مباشر** يتمثل في الأمر حيث تطابق فيه قوته الإنجازية معناه الحرفي، وما دلّ على ذلك العلامات النحويّة الدالة على الأمر (قل، كبّره) وهو فعل إنجازي من صنف التوجيهيات مضمونه توجيه السلوك لحمد

---

[1]_ يُنظر: مقطع فيديو، رابط الفيديو: https://youtu.be/0mvD65AFSEs?si=cybfnayg2kg7qht9 شُوهد في 19 أكتوبر 2023.

* يُنظر: تحليل الفعل الكلامي (10) الفصل الثاني.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 239.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص239.

الله وثاءه وتعظيمه، فكيف لا يتم حمده والثناء عليه وهو الذي بيده ملكوت كل شيء يغدق علينا بنعهم التي لا تعد ولا تحصى وما دلّ على ذلك وأضاف لنا هذا المعنى هو الإتيان بالمفعول المطلق (تكبيرا) للفعل (كبره) وهذه من صفاته التي تعني قدرته على إعطاء النعم التي يعجز غيره عن إسدائها [1]،كما يمكن القول أنّ الآية عبرت عن **فعل لغوي آخر غير مباشر** يتمثل في إعلان وحدانية الله وبأنّه هو الغني ذو العزة والكبرياء كل شيء خاضع له وتحت قهره، فما على العبد إلا شكر الله تعالى على نعمه السابغات وهذا ما يمثل **الفعل التأثيريّ.**

- **الأبعاد التربويّة لفعل الأمر بحمد الله والثناء:**

1_ الأبعاد الفكريّة:تحدثت الآية السابقة عن فعل الأمر بحمد الله لثلاث نعم وهي عدم اتخاده ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليّ من الذل؛ فعدم اتخاذ الله ولدًا نعمة كبيرة لابدّ أن نحمد الله تعالى عليها؛ فهذا من كمال غنى الله وانفراده بالملك، وهذا ما قد يغيب على كثير من النّاس؛ فقد نحمده تعالى عن نعمة الصحة والعافية، وغيرها من النعم الدنيوية ويغيب علينا حمده عن تنزه تعالى من العيوب وكمال صفاته[2] فالله سبحانه وتعالى هو المستحق بالحمد لانتفاء صفات النقص عنه.

2_ الأبعاد النفسيّة:إنّ الأمر بحمد الله لأنه منزه عن الأولاد والشركاء، والعزة والأولياء، تبث في نفس المؤمن الاطمئنان بأنّ الله تعالى هو الخالق ولا مخلوق بعده ولا قبله، وهذا مايريح قلب المؤمن المسلم لهذا الدين الإسلاميّ الحنيف.

3_ الأبعاد السلوكيّة: من أعظم السلوكات التي لابدّ أن لا تفارق الإنسان المؤمن المسلم حمد الله، ومن أعظم الحمد أن تنزه الله عمّا لا يليق به.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(12):**

قال تعالى:﴿**لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا** ﴾.

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15 ، ص 240.

[2]_ يُنظر: ابن العثيمين، شرح العقيدة الواسطة، ج1، ص359، نقلا عن التفسير المحرر، ج14، ص502.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآية الكريمة موجه « للنبي ﷺ والمراد أمته وقيل الخطاب للإنسان»[1].

ويظهر **الفعل الكلامي** من خلال النهي الصريح في قوله تعالى:﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾ ، ويتبع ذلك نتيجة المخالفة ﴿فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾، ويتجلى الفعل **النطقي** عند نطق هذه العبارة بصغتها النهيّة، ومعنى ﴿**مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا**﴾، لا ناصر له ولا وليا[2]؛ أي تعبير عن الذل والعجز، أمّا **المحتوى القضوي** يتمثل في المرجع وهو خطاب لكافة المسلمين، والخبر يتعلق بخطورة الشرك وأهمية التوحيد؛ أي عبادة الله وحده لا شريك له، ومن أشرك بالله كان في مقام الذم والخذلان ، قاعدا في ذلك والقعود في الآية «كناية عن الذلة والعجز»[3]، وعليه، قد دلّ الفعل الكلامي هنا عن **قوة إنجازية** حرفية من نوع **النهي***، الذي يُستدل عليه من أداة (لا) الناهية، أمّا **الفعل التأثيري** فيتجلى في توحيد الله تجنبا للوقوع في مآل الذمّ والخذلان.

- **الأبعاد التربويّة لفعل النهي عن الشرك بالله:**

1_الأبعاد الفكريّة: تتحدث الآية أعلاه عن النهي عن الشرك بالله، وهو عظم الذنوب وأشدّ المحرمات والخطاب -كما رأينا-موجه إلى النبي (ﷺ) لكنه في معناه العام موجه لجميع المكلفين.

---

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج13، ص 50.

[2]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص50.

[3]_ السيد محمد حسين الطبطبائي، الميزان، ص 70.

* _**النهي في اللغة:** هو طلب الكف عن الفعل وهو خلاف الأمر، الذي يعني طلب القيام بالفعل وهو مأخوذ من الفعل «نهاه ينهاه نهيا، فانتهى وتناهى وكفّ»أمّا في الاصطلاح، فالنهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معان تستفاد من سياق الكلام منها: الدعاء، التوبيخ، التهديد، النصح والإرشاد...يُنظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ج15، ص343، عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 83.

وتثير الآية أبعادا فكرية عميقة على رأسها: إدراك خطورة الشرك بالله، وضرورة توحيد الله، «لأن عقيدة التوحيد هي رأس الأمر وملاكه وعليها مدار الأعمال قولا وردا»[1]، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا**﴾[2].

2_الأبعاد النفسيّة: نبيّنت الآية أن عاقبة الشرك بالله هي القعود بلا نصرة ولا قوّة، وهي الذل والخذلان، وهذا يحدد أثرًا نفسيًّا قويّا يتمثل في إثارة مشاعر الخوف والرهبة، مل يدفع النّاس على تقويم سلوكهم؛ فالترهيب والتخوي أسلوبان يساهمان في تعديل سلوك الإنسان وتوجيهه، خاصة وأن «الإخافة المعبر عنها في الأديان السماوية، ليست الإخافة الناجمة من القوى الطبيعية التي تأتي دون سابق إنذار، بل هي بمثابة تحذير وتنبيه من أجل المصلحة الغائبة للإنسان»[3]، فالخطاب القرآني لفعل النهي يخوفك من أجل اجتناب هذا النهي والحماية من الضرر البعيد.

3_الأبعاد السلوكيّة:جاء الكلام في هذه الآية موجها إلى المفرد :﴿**لَّا تَجۡعَلۡ**﴾ وذلك لاستشعار المسؤولية الفردية يقول سيد قطب: «ليحس كلّ أحد أنه أمر خاص به صادر عن شخصه»[4]، وحتى يغير الفرد من سلوكه، وخاصة بعدما بين تعالى عاقبة الشرك به والتي تنتظر كل فرد يحيد عن التوحيد وهي قعوده عاجزا مخذولا لا ناصر له[5].

والنّهي عن الشرك ليس مجرد تحذير توجيه عقدي، بل هو وسيلة تربويّة لبناء سلوك توحيدي سليم في ظل عبادة الله وحده لا شريك له.

---

[1]_ عايد بن عبد الله الحربي، وصايا سورة الإسراء(تفسيرها ودلالاتها)، ص 116.

[2]_ سورة النساء، الآية: 48 .

[3]_ موصدق خديجة، خطاب النفس في القرآن الكريم،، ص 105.

[4]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2220.

[5]_ يُنظر: المرجع نفسه ، ص 2220.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (13):**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذا المقام يعبر عن نهيه تعالى عن إتباع الأمور التي لا تعنينا والقذف في أعراض الناس، وقد نزلت هذه الآية في سياق ما كان سائدا في العصر الجاهلي حيث كانوا يطعنون في أنساب النّاس، فكانوا يرمون النساء بغير أزواجهنّ وينسبون بعض الأولاد لغير آبائهن ويقذفون المرأة المتزوجة إذا سافر زوجها بالزنا وغيرها...،وكل ذلك لجهل منهم وبهتان[1]، فنهى الله المسلمين عن فعل مثل هذه التصرفات.

ويظهر الفعل الكلامي في قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْفُمَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ ﴾ يتكوّن أولا من الفعل النطقي الذي يتشكل انطلاقا من النطق بالعبارة السابقة وهي جملة فعلية يُضاف إليها مركبات اسميّة، **والمحتوى القضوي** يظهر في الحديث عن الاقتفاء وهو قول شيء لا علم لك به، وجاء في الكشاف أن معنى لا تقف « لا تتبع: وقرئ: ولا تقْفُ يُقال: قفا أثره وقافه، ومنه الفاقة، يعني: ولا تكن في إتباعك ما لا علم لك به من قول، أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري أنّه يوصله إلى مقصده»[2]، أمّا القوّة الإنجازية فقدظهرت على هيئة فعل إنجازي مباشر تمثل في نهي الله تعالى الإنسان عن اقتفاء ما ليس له بعلم فيفتري بذلك الكذب والبهتان على النّاس، ويقول قال قتادة موضحا ذلك: «لا تقل رأيت، وأنت لم ترَ، وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت، وأنت لم تعلم»[3]، أمّا الإحالة في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة للسمع والبصر والفؤاد، فهؤلاء، فالسمع والبص سيكونون شهودا على الانسان الذي يقتفي ما ليس له بعلم.

---

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 100.

[2]_ الزمخشري، الكشاف، ص 597.

[3]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص77.

ويمكن القول إجمالا إنّ للفعل الكلامي السابق قوّة إنجازية مباشرة تتمثل في النهي، وقوة مستلزمة تدل على التحذير من افتراء الكذب وإتباع أعراض النّاس بالظلم والبهتان، وقد جاء في الحديث: «من قفى مؤمنا بما ليس فيه فحسبه الله في رذعه الخبال حتى يأتي بالمخرج»[1]، فالمراد بالنهي هو التحذير من قفو المسلم لأخيه، لأنّه سيكون مسئولا عن فعلته هاته يوم القيامة وما دلّ على التحذير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ فكأنّه يقول لك: احذر فإن جوارحك ستكون شاهدة على أقوالك وأفعالك يوم القيامة وقد جاء في نفس المعنى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [2]، كما أنّ في الآية السابقة تعليل للنهي«عن إتباع المساوي والظنون والقذف بالباطل وشاهدة الزور وكل ما ليس للإنسان به علم من قول أو فعل»[3]، والفعل التأثيريّ في اجتناب تتبع أعراض النّاس واتباع الأمور التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

- **الأبعاد التربويّة لفعل التحذير من افتراء الكذب وإتباع أعراض النّاس:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ نهي الإسلام عن اقتفاء ما ليس للإنسان به علم بعد فكري يربي فينا فكرة العقيدة السليمة السويّة التي بني عليها الإسلام، البعيدة عن الأهواء والضلالات والإنحرافات يقول سيد قطب: « العقيدة الإسلاميّة عقيدة الوضوح والاستقامة والنصاعة فلا يقوم شيء فيها على الظن والوهم أو الشبهة»[4].

[1]_ رواه الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد، ج2، ص 82.

[2]_ سورة النور، الآية: 24.

[3]_ عايد بن عبد الله الحربي، وصايا سورة الإسراء وتفسير دلالاتها، ص 213.

[4]_ سيد قطب، في ظلال القرآن،ج15، ص 2227.

فنهي القرآن الكريم عن صفة اقتفاء ما ليس للإنسان به علم «أدب خلقي عظيم وهو أيضا إصلاح عقلي [...]ثمّ هو أيضا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة»[1].

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في النهي عن اقتفاء أخبار النّاس وتتبع عيوبهم يزرع في نفسيّة المؤمن المسلم الخشية والخوف من اقتراف هذا العمل السيء الذي لا يعود على صاحبه إلا كره الناس له، إضافة إلى عقاب الله الآخروي.

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ من أعظم الصفات الحميدة والسلوكات الحسنة التي لابدّ أن يتحلى بها المؤمن المسلم تجنب اتباع الأمور التي لا يحقق من خلالها منفعة ولا يلقى من ورائها مضرة، فعن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ):«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2] فما وهبك الله من سمع تسمع به وبصر تبصر به وفؤادك تعقل وتفكر به عليك استغلاله فيما ينفعك فحسبُ، ولا تتخذه وسيلة لتتبع عيوب النّاس؛ فكل هؤلاء سيكونون شهودا عليك يوم القيامة. تقول الباحثة: «فلا تجعل قلبك وسمعك وبصرك ميدانا للشائعات والأخبار والقيل والقال، لا تكن نقلة فإن من نقل كلامًا لم يثبت منه فقد قفا ما ليس له به علم»[3]، قل لا أعلم، لا أدري، وعود لسانك هذه الكلمة فيما لا تعرف.

كما أنّ هذا الفعل الكلاميّ يربي المسلم على التثبت من كل خبر ومن كل حركة قبل الحكم عليها، فالمسلم الحقُ يربي جوارحه ويؤدبها ويجعل لنفسه رقيبا على أفعاله وأقواله، حتى يستقيم قلبه وعقله[4]. ولذلك فإنّ ترك اقتفاء أخبار النّاس من الأمور الواجب التمسك بها والحرص على اجتنابها.

---

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 102.

_حديث حسن، رواه الترمذيُّ وغيره.[2]

[3]_ نجلاء السبيل، وقفات تربوية في سورة الحجرات، دار التوحيد لتحفيظ القرآن بجدة، ص11.

[4]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد 4، ج15، ص 2227.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(14):**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨﴾.

إنّ هذه الآية عبارة عن خطاب للمسلمين بأن يرتفعوا بعقولهم، ويرتقوا بأخلاقهم، فنهاهم الله عن الكبرياء، يقول الرازي: «المراد بالآية النهي عن أن يمشي الإنسان مشيا يدُّل على الكبرياء والعظمة»[1].

وبالنظر إلى الآية نلاحظ أنّ النطق بها يكوّن لنا **الفعل النطقيوالمحتوى القضويّ** يظهر في المشي في الأرض مرحًا، أمّا الفعل الإنجازي فقد وقد على هيئة **قوّة إنجازية مباشرة** تمثلت في النهي في ويظهر ذلك في عبارة ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾، فالنهي هنا هو فعل إنجازيّ مباشر طلبي موجه إلى المسلمين بأن يكفّوا عن هذا الفعل وهو فعل مستقبلي من تصرف المخاطَب(المسلم المكلّف) القادر على إنجازه، وعليه فإنّ القوّة الإنجازيّة (النهي) تحقق نجاحه بمجرد التلفظ به، فالأفعال التوجيهية تؤثر في الواقع وتغييره وهذا منطق نظرية أفعال الكلام، يُضاف إلى ذلك أن تحقق الفعل راجع إلى عدة عوامل منها سلطة المرسل –وقد تحققت في هذا المقام– وقدرة المتكلّم على إنجاز الفعل، فلو كان طرفا الخطاب على درجة واحدة لاستعمل المرسل استراتيجية أخرى[2].

وحري بالبيان أنّه يمكن تقسيم الفعل الكلامي إلى **معنى ضمني** يمكن تقسيمه إلى معنيين جزئيين هما:

- **معنى مباشر:** أي اقتضاء حال المتكلم الرغبة في عدم مشي المخاطب مرحا في الأرض.

[1]– فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ص212.

[2]– يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص324–325.

- **معنى حواري استلزامي**، وهو نصح المتكلم للمخاطب بالتواضع وعدم المشي في الأرض مرحا.

- **الأبعاد التربويّة لفعل النهي عن صفة الخيلاء:**

إنّ التكبر من الصفات الرذيلة التي حرص الإسلام على اقتلاع جذورها ومحاربتها وفي نهيه تعالى عن هذه الصفة أبعاد تربوية نذكرها فيما يلي:

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في نهي الله تعالى عن الخيلاء ودعوته إلى التواضع «أدب مع الله وأدب مع الناس، أدب نفسي، وأدب اجتماعي»[1]، فالتخلي عن الخيلاء والتزام التواضع من بين أهم دعوات الإسلام؛ حيث يسعى الدين الإسلاميّ على تربيّة الفرد تربيّة سليمة ثابتة بعيدة عن كل صفات التكبر المؤدية إلى نزع العلاقات الاجتماعيّة الداعية إلى أخلاق التواضع؛ فقد جاء في الحديث: «ما نقصت صدقة من مالٍ، ومازاد الله عبدا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله »[2]؛ فالإسلام يشجع على صفة التواضع وينهى عن صفة الخيلاء أو التكبر وفي ذلك يقول الرسول (ﷺ): «من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته، لقي الله ﷻ وهو عليه غضبان»[3].

والمشي في الأرض مرحا دلالة على صفة التكبر لذلك نهى الله تعالى عنها؛ فالكبر طريق إلى الكفر، ولعلّ ذلك ما يتضح جليًّا في الحديث الشريف « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[4]، وهو معنى الآية ﴿**وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾[5].

---

[1]_ سيد قطب، في ظلال القرآن ،ص2228.

[2]_ أخرجه مسلم ، الراوي، أبو هريرة، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة، رقم الحديث(2588).

[3] رواه عبد الله بن عمر البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1998، ج7، ص 373 .

[4]_ محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الشروق، (د، ط)، (د، ت)، ص178.

[5]_ سورة الزمر، الآية: 60.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ نهي القرآن الكريم عن صفة الكبر وأمره ضمنيّا بصفة التواضع يثير في نفسيّة الإنسان المسلم مشاعرٍ وانفعالاتٍ إيجابيها ألفيناها تظهر في السكينة، والطمأنينة، والرضا من التعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف الذي يذم صفة الخيلاء ويدعو إلى التواضع الذي يُسهم نف في نشر المودة فيما بين أفاد المجتمع، ويقوي علاقات التآزر والتآلف والتعاطف والإخلاص والوفاء[1]، حيث يخلق جوّ المساواة بين الناس؛ فالدين الإسلاميّ دين حق وعدل وتواضع، والرسول (ﷺ) أحسن مثال في هذا، فقد كان أكثر النّاسي تواضعا ومنه تعلّم الصحابة رضي الله عنهم خلق التواضع.

3_الأبعاد السلوكيّة:

❖ إن البعد السلوكي لفعل الكلاميّ النهي، يظهر في الكف عن صفة الخيلاء؛ فالإنسان مهما تكبر فلن يخرق الأرض بقدمه، ولن يطاول الجبال وإنَّ من الجمادات ما هو أقوى منه، فعلى الإنسان التأمل في منشئ خلقه، كيف كان ترابا ثم تكون نطفة، ثم يمضي في هذه الدنيا، ثم يموت ليصبح بعدها جيفة قذرة[2]، فمن كان هذا شأنه، فكيف له أن يتكبر؟ والذي ظنّ أنه ساد وقاد وزاد ألا يعلم أنه خُلق من نطفة من ماء مهين!

❖ إنّ المقياس الحقيقي للإنسان هو الدين والخلق، لذا وجب التحلي بصفة التواضع، فمن تواضع امتثالا لأمر الله زاده الله رفعة وعلوًّا[3]، فما سبب تكبر الإنسان «وهو لولا إعزاز الله ذليل ولولا ستره مفضوح، وإن كان لدى البعض فضل ذكاء أو ثراء فمن أين جاءه؟»[4]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [5].

---

[1]_ يُنظر: بدرية صالح البسام، الدلالات التربوية المستنبطة من سورة الإسراء، ص17.

[2]_ يُنظر: عفيف عبد الفتاح طبارة، الخطاب في نظر الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، (د، ت)، ص166.

[3]_ يُنظر: بدرية صالح البسام،الدلالات التربوية المستنبطة من سورة الإسراء، ص18.

[4]_ محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص179.

[5]_ سورة آل عمران، الآية: 73.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (15):**

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾.

في افتتاحية هذه الآية تنبيه بأنّ كل تلك القصص والأحكام والأوامر والنواهي هي من الحكمة التي وجب إتباع ما جاء فيها لإنه خير كثير[1]، ثم أتبع الله الكلام بالنهي عن الشرك به، ويرى الطاهر بن عاشور أن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ «تأكيد لمضمون جملة ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أعيد لقصد الاهتمام بأمر التوحيد»[2]، والنطق بهذه الجملة يحقق لنا **فعلا قوليا** والجملة المنهية ب (لا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ عبارة عن جواب لهذا النهي، والفاء هنا سببية، **والمحتوى القضوي** يتمثل في توحيد الله، **والإحالة** الموجودة في بداية الآية (ذلك)، التي تشير إلى جملة الآداب و القصص والأحكام التي تضمنت الآيات المتقدمة[3]، وهي إحالة خارج الآية.

ويعدُّ النهي في الآية فعلا كلاميّا توجيهيّا إلى كلّ من جعل مع الله إله آخر في الحاضر أو في المستقبل، «فالخطاب للنبي ﷺ والمراد كل من سمع الآية من البشر»[4]،وهو فعل من صنف التوجيهيّات، أمّا **الفعل التأثيريّ** لفعل (النهي) فيظهر في تجنب المخاطب الشرك بالله فيجعل مع الله إله آخر، فهذا منهي عنه وجزاء فاعله جهنمّ مُلقًا فيها مذمومًا ملعونًا.

ويمكننا القول إجمالا أنّ الآية عبرت عن معنى ضمني غير مباشر يتألف من معنيين هما:

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 106.

[2]_ المرجع نفسه، ص 106.

[3]_ يُنظر: القرطبي، جامع أحكام القرآن، ص 86.

[4]_ المرجع نفسه، ص86.

- **معنى اقتضاء؛** أي اقتضاء حال المتكلم التنبيه عن الشرك بالله ورغته في عدم اتخاذ المخاطب إله آخر مع الله ولذلك تم تكرار النهي يقول الشوكاني (ت 1250 هـ): «كرر سبحانه النهي عن الشرك تأكيدا وتقريرا وتنبيها»[1].
- **معنى حواري استلزامي:** وهو نصح المتكلم للمخاطب باجتناب الشرك بالله.

- **الأبعاد التربويّة لفعل النهي عن الشرك بالله:**

بدأت جملة توصيات هذا المبحث بالنهي عن الشرك بالله، ثم أتبعت بالنهي عن قتل النّفس والنهي عن اقتفاء ما ليس للإنسان به علم، والنهي عن التّكبر والخيلاء، وفي ختامها نهي آخر عن الشرك بالله ، وهذا ما يؤكد على أنّ الشرك بالله قضية أساسية لابد أن يحذر المسلم المؤمن من الخوض في غمارها ونستنتج من ذلك أولا:

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في تكرار النهي من أوّل هذه الوصايا ثم الختام بالنهي عن الشرك بالله بعدا فكريّا يتمثل في أنّ مجموع تلك الوصايا أساسه الإيمان بالله وحده لا شريك له، فمن لم يؤمن بالله، وجعل معه إلاه آخر فلا يمكنه الوقوف عند حدود الله من أوامر ونواهي، فأساس الإسلام وأهم قاعدة «يقيم عليها الإسلام بناء الحياة، قاعدة توحيد الله وعبادته دون سواه»[2]، فهذا هو أصل تحقيق ما أمر الله به من بر بالوالدين، والمحافظة على مال اليتم...، وما نهى عنه من قذف في أعراض النّاس وخيلاء وغيرها.

2_الأبعاد النفسيّة: مادامت قاعدة النهي عن الشرك بالله هي أساس قيام جميع حدود الله؛ فمن لا يوكل أمره لله ولا يرضى بقضاء الله وقدره، فكيف سيقوم حدود الله؟ وهذا ما فإنّ ذلك سيزرع في نفس المؤمن خوفا وخشية من اتخاذ غير الله سبيلا في تحقيق الأماني والمطالب فيكون مصيره جهنّم وما حوت.

---

[1]_ الشوكاني، الفتح القدير، ص824.

[2]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2228.

3_الأبعاد السلوكيّة: كل ما خلا الله باطل، ومن أعظم حدود الله التي تورث فاعلها الخلد في نار جهنّم الشرك بالله، لذلك فالمرجو هنا أن تكون أفعال الإنسان المؤمن المسلم مبتعدة كل البعد عن كل ما قد يوقعه في الشرك بالله سواء كان ذلك بالقول أو الفعل، كما لابدّ على المسلم أن يقويّ إيمانه بالتقرب من الله تعالى بشتى أنواع العبادات وخاصة الدعاء بالثبات على الدّين والإكثار من ذلك.

المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للطلبيّات في سورة الأنفال:

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(1):**

قال تعالى:﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾.

تتضمن الجملة ثلاثة أفعال توجيهية ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ ﴿وَأَصۡلِحُواْ﴾ ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ وبمنظور تداولي علينا أن نحدد منزلة كل من المتكلّم والمخاطَب لمعرفة غرض الفعل التوجيهي، إن كان أمرا أو إلتماسا أو دُعاءً، فالأمر هنا صادر من الله ربّ العالمين إلى المؤمنين في غزوة بدر، وجاء في تفسير الآية أنّ الله سبحانه وتعالى أراد تعليمهم أنّه ليست الغنائم والأموال هي المهمة بل المهم أن تحافظوا على الأخوة الإيمانية بينكم، وأن لا يحصل بينكم خلاف ولا نزاع ولا فرقة ولا خصام فهذا أكبر وأهمّ من أي غنيمة.

وعلى ضوء ما سبق، نستطيع القول أنّ الآية عبرت عن **قوّة إنجازيّة مباشرة** ظهرت على هيئة مباشرة تمثلت في الأمر الموجه من الله تعالى إلى المؤمنين، والغرض منه حثهم على طاعة الله ورسوله وإصلاح ذات بينهم «وتحريضهم على أن يكون إيمانهم في أحسن صوره وظاهره»[1]، وفي قوله تعالى:﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فيه تأكيد على أن الأمر موجه للمؤمنين لا إلى غيرهم وهذا أظهر على الامتثال لأمره تعالى، قال ابن عاشور(ت 1393هـ): «فمعنى الشرط بعد تلك الجمل الإنشائية: إنا أمرناكم بما ذكر إن كنتم مؤمنين لأنّا لا نأمر بذلك غير المؤمنين وهذا إلهاب

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص254.

لنفوسهم على الامتثال»[1]، فلمّا ذكر الله سبحانه تعالى كلمة المؤمنين وخصهم بهذه الصفة الحميدة فهذا حتما سيؤدي لامتثال أمره تعالى، وهذا ما يزيد في درجة وشدة الفعل الإنجازي وجعله أكثر تأثيرا في ردة فعل المخاطب ومنه أكثر نجاحا.

ويمكن هندسة الفعل الكلامي في هذه الآية حسب تقسيم سيرل بالشكل الآتي:

الشكل (1)

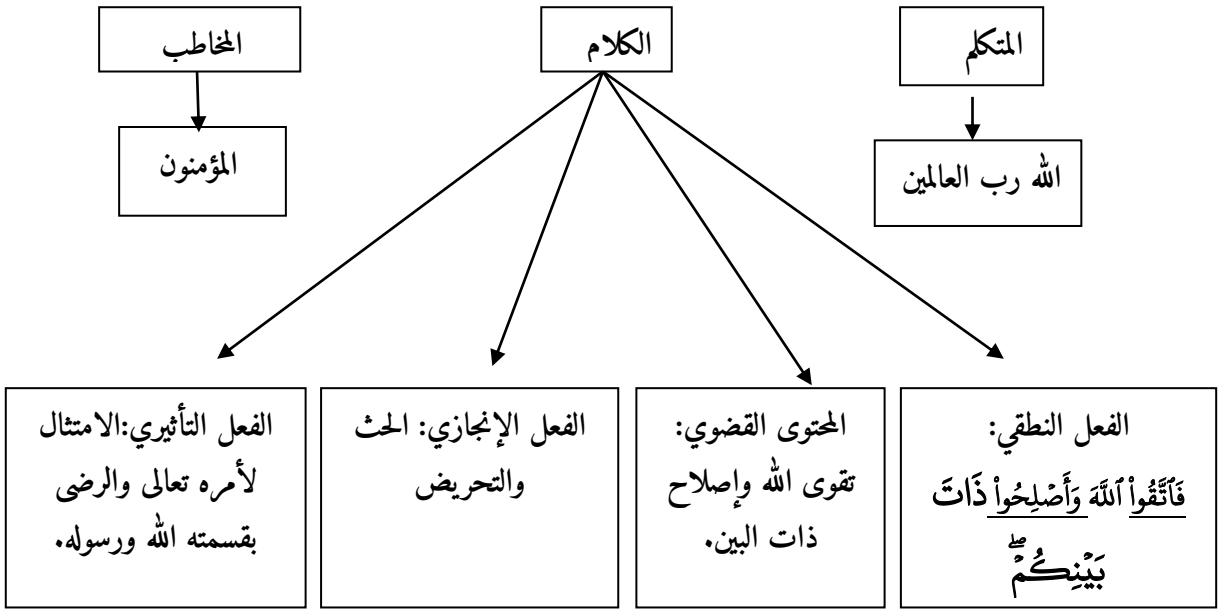

- **الأبعاد التربويّة لفعل الأمر بطاعة الله وتقواه:**

وإذا كانت هذه الأفعال الكلامية قوة كان تأثيرها إيجابيا، فما الأبعاد التربويّة التي يمكن استنتاجها انطلاقًا من هذا الفعل الكلامي؟

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ قضية تقوى الله وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، أهم بكثير من الأنفال ومن متاع الدنيا الزائل، فهذا هو الأساس الذي يتوقف عليه صلاح الجماعة الإسلاميّة.

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص254.

التقوى هي أساس زمام القلوب وهي التي تقودها إلى إصلاح ذات البين وطاعة الله رسوله، فإذا وُجدت تقوى الله وقع صلاح ذات البين بالتعاون والمواساة والإيثار ومنه يتحقق طاعة الله ورسوله.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في الأمر بتقوى الله وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله بعدما ساءت أخلاق أهل بدر في قسمة الغنائم، ترزع في النفوس الرضا بقسمة الله، وأنّ كل شيء قائم على تقوى الله فهذا هو السبيل إلى نزع الغل وفض النزاع أمّا الغنائم فهي متاع زائل قال تعالى: ﴿**وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ**﴾[1].

3_الأبعاد السلوكيّة: الامتثال لأمر الله بتقواه في السر والعلن، والعمل على إصلاح ذات البين من أهم الأبعاد السلوكية التي يمكن أن تتوفر في سلوك سامع هذا الفعل التوجيهي؛ فقد أمر تعالى بالتقوى التي من شأنها لن تبعد النّاس عن حب المال ومتاع الدنيا، وامر بإصلاح ذات البين إذا توصل النّاس إلى الخصومة، وهذا ما يؤدي إلى تقوية أواصل العلاقة الاجتماعيّة.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(2):**

قال تعالى:﴿**إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾**﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذا المقام يعبر عن فعل كلامي توجيهي، حيث يتمثل **الفعل النطقي**، في النطق بالعبارة السابقة والتي تتكون من **محتوى قضوي** يتمثل في تثبيت الذينآمنوا،وإلقاء الرعب في قلوب الكفار فهذا هو الخبر، والمرجع هم الملائكة وقيل المؤمنين[2]؛ فالأمر هنا موجه إمّا للملائكة الذين أوحى إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا أو للمؤمنين يشجعهم الله

[1]_ سورة الحديد، الآية: 20.

[2]_ يُنظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص 468.

ويعلمهم كيف يقتلون المشركين[1]، وكاف الخطاب في﴿رَبُّكَ﴾ تحيل إلى النبي (ﷺ) ، فالخطاب موجه إليه لأنه أولى وأحق بتعليم هذا العلم وتحصيله للمسلمين[2]، وذكر الطاهر بن عاشور بأنّ الله أوحى للملائكة بتثبيت المؤمنين بأن يجعلوا جُبنَهم شجاعة، وخوفهم إقدامًا وهلعهم ثباتا ويجعلوا العزة رعبا في قلوب المشركين وقد عبر بالصلة﴿ءَامَنُواْ﴾ ،للدلالة على أن إيمانهم هو الباعث عن هذه العناية التي كلف بها الله الملائكة[3]، ثمّ أمرهم تعالى بأن يضربوا المشركين فوق الأعناق ويضربوا كل ﴿بَنَانٍ﴾ والبنانُ هي الأصابع ويقال الأطراف[4]؛ لأنه بواسطتها يتم حمل السّلاح.

وبالنظر إلى ما سبق، يمكننا القول إنّ السياق الكلامي لهذه الآية يحتوي على أفعال كلامية توجيهية مباشرة ظهرت في قوله تعالى: ﴿**فَثَبِّتُواْ**﴾ ﴿**فَٱضۡرِبُواْ**﴾ ﴿**وَٱضۡرِبُواْ**﴾ولقد تصدرت هذه الأفعال بالنّداء* الذي يُعدُّ وسيلة لتبليغ التوجيهيّات كما أنه يشد انتباه المتلقي ويجعله مقبلا على المخاطب متهيئا لما سيلقى عليه[5]، **والفعل التأثيري** يظهر في امتثال المخاطب لأمر الله، وفيما يلي رسم تخطيطي يوضح الأفعال الكلامية وغرضها الإنجازيّ.

---

[1]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 312.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص 280.

[3] _يُنظر: المرجع نفسه ، ص 281_282.

[4] _أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، مجمل اللغة، مؤسسة الرسالة، ط2، 1986، ج1، ص 114.

* هناك من الباحثين من لم يعد النداء من الأفعال التوجيهيّة، ومن بينهم أحمد محمود نحلة وشكري المبخوت بحجة أنه ليس مقصود لذاته ولا يطلب لذاته وإنما يأتي لتحقيق أغراض أخرى، بينما عده الباحث عبد الهادي بن ظافر الشهري فعلا توجيهيا لأنه يحفز المرسل إليه لردة فعل اتجاه المرسل ، وقد تبنينا في هذا البحث الاتجاه الأول؛ لأنّ جل النداء الوارد في سورة الأنفال لم يكن مقصودا لذاته. =يُنظر: السور المكية في القرآن، كاظم فاضل هادي، ص 114.

[5] _يُنظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 360.

الشكل (1)

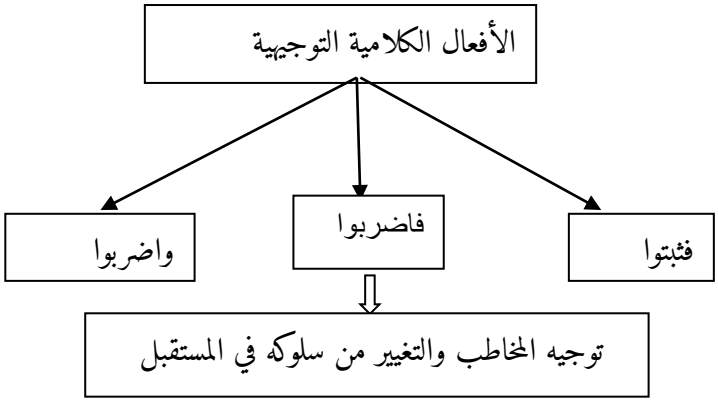

كما يمكننا القول أنّ الكلام السابق قد عبر معنيين **معنى صريح** ورد على شكل **محتوى قضوي** ذكرناه سابقا **وقوّة إنجازيّة مباشرة** تمثلت في الأمر الحقيقي الموجه إلى الملائكة، **أمّا المعنى التخاطبي** فقد عبر عن معنى مستلزميقتضي وجود حرب بين المؤمنين والكفار، وأنّ للملائكة دور في انتصار المسلمين في هذه المعركة، **ومعنى ضمني يتمثل** في أنّ للملائكة قدرة على هذا التكليف، ولذلك خصهم الله بهذا العمل العظيم؛ فهم قادرون بمعية الله على إبدال خوف المؤمنين شجاعة وهلعهم ثباتا، فيقدرون على محاربة الكافرين الذين شاقوا الله ورسوله.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الأمر الموجه للملائكة لمساندة المؤمنين وتثبيتهم على تحقيق النصر والغلبة:**

1_الأبعاد الفكريّة: في هذه الآية يأمر الله تعالى الملائكة ويكلفهم بإعانه المسلمين في غزوة أحد وتثبيت الذين آمنوا وضرب الأعناق وبنان الكفار فهو عالم بقدرتهم على ذلك؛ لذلك فالله سبحانة وتعالى إذا كلّف أحدنا بعمل ما فهو حتما قادر على القيام به لأنّ كل ذلك سيكون بمعية الله، فلا داعي لليأس والقنوط من رحمة الله؛ فالله تعالى إذا كلف نفسا بعمل ما، أو ابتلى مؤمنا بمصيبة فذلك بحكمة منه تعالى.

2ـالأبعاد النفسيّة: إنّ الفعل الكلامي السابق يمكّن المؤمن من استشعار معية الله تعالى وأنّه ما خاب قلب فوض نفسه لله وسار على خطى ثابتة موافقه لأمواره تعالى ونواهيه، فالبقاء في رحاب الله دائما بقاء، حتى وأن كان ذلك بعسر وابتلاء فسيأتي معه اليسر لا محال، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [1].

3ـالأبعاد السلوكيّة: لعلّ تسليم الأمور إلى الله، والتوّكل عليه في كل صغيرة وكبيرة، من أهم الأبعاد السلوكية لهذا الفعل الكلاميّ فكل ذلك داعٍ إلى استمطار الرحمات الربانيّة.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(3):**

قال تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١**﴾.

بعدما تبين أنّ الله سبحانه وتعالى مؤيد للمؤمنين وظهرت عنايته ولطفه بهم بنصرهم على أعدائهم، أمرهم في هذه الآيات بطاعة الله ورسوله بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما شُكرًا على نعمة النصر[2]، كما نهاهم سبحانه وتعالى على «أن يكونوا كالذين ادعوا السماع والمشبه بهم اليهود أو المنافقون أو المشركون»[3]، فهؤلاء دعواهم خالية من الإيمان وليست خالصة لوجه الله غير مقترنة بصلاح القلوب وصدق الأعمال وقال الزمخشري: الضمير في (عنه) لرسول الله (ﷺ) لأنّ المعنى وأطيعوا الله، ولأنّ طاعة الله كطاعة الرسول شيء واحد فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما[4]، وبالتالي فإنّ الفعل النطقي يتمثل في التلفظ بالعبارة السابقة، **والمحتوى القضوي أو الفعل القضوي** يظهر في **الخبر** وهو طاعة الله ورسوله وعدم التولي عن الرسول (ﷺ)، **والمرجع** الذين آمنوا.

---

[1]ـ سورة البقرة، الأية: 214.

[2]ـ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص313، ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 302.

[3]ـ أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص 474.

[4]ـ الزمخشري، الكشاف، ص408.

وبناءً على ما سبق، نلحظ أنّه اجتمع في الآية فغليين كلاميّين توجيهيّين، ظهر الفعل التوجيهي الأوّل بصيغة الأمر ﴿أَطِيعُواْ﴾ والأفعال التالية بصيغة النهي:﴿ لَا تَوَلَّوْاْ﴾ ﴿لَا تَكُونُواْ﴾ وهذه الأفعال بمثابة أفعال إنجازيّة **غرضها الإنجازيّ** يتمثل في محاولة دفع المخاطب للقيام بطاعة الله ورسوله، وقد تصدرت هذه التوجيهات بفعل النداء « للاهتمام بما سيلقى إلى المخاطب قصدا لإحضار الذهن لوعي ما سيقال لهم، فنزل الحاضر منزلة البعيد فطلب حضوره بحرف النداء الموضوع لطلب الإقبال»[1]، كما أنّ النداء بالاسم الموصول في قول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ للتنبيه على أنّ هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفة (الإيمان) سيتقبلون ما يؤمرون به[2]، ولذلك كان النداء مختص للذين آمنوا، وجملة هذه الأوامر والنواهي موجة إلى مخاطب قادر على تأديتها_فالمؤمنون فقط هم من يطيعون الله ورسوله_ وهذا هو شرط نجاح الفعل الكلاميّ الطلبيّ.

وقد دلّت جملة الأفعال الإنجازيّة في هذه الآية الكريمة عن **قوّة إنجازيّة غير مباشرة (القيمة التداولية)** تمثلت في تنبيه المؤمنين على عدم التقاعس عن الدفاع عن الدّين وإجابة دعوة الرسول (ﷺ) والتحذير «من التشبه بفئة ذميمة يقولون للرسول (ﷺ) سمعنا، وهو لا يصدقونه ولا يعلمون بما يأمرهم وينهاهم»[3]، وكأنّ المقصود إياكم والتشبه باليهود الذين يقولون سمعنا وهم لا يسمعون، أي لا يتدبرون كلام الله (القرآن الكريم) ولا يمتثلون لأوامره ونواهيه.

وعليه، يمكننا القول إنّ **الفعل التأثيري** جاء في إطار التحذير من أولائك الذين يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، كما أنّ في ذلك طمأنينة وسكينة لقلوب المؤمنين الذين يتبعون أوامر الله

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص303.

[2]_ يُنظر: المرجع نفسه ، ص303.

[3]_ المرجع نفسه ، ص304.

ورسوله ويجتنبون نواهيه فأولئك هم المؤمنون المصدقين وهم أرشد النّاس وأهداهم[1]؛ فالمؤمنين الذي ساروا على خطى رسول الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

- **الأبعاد التربويّة لفعل تنبيه المؤمنين على عدم التقاعس في الدفاع عن هذا الدّين وإجابة دعوة الرسول(ﷺ)**

1_الأبعاد الفكريّة: يتبيّن لنا من خلال ما سبق أنّ طاعة الله ورسوله لازمة على المسلمين، وعليهم توريض أنفسهم على ذلك، وهذا ما يجعلهم مختلفين عن الكفّار الذين يسمعون أمر الله تعالى فيتغاضون عنه كأنّهم لم يسمعوه.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في نداء المؤمنين بأن يطيعوا الله ورسوله ولا يعرضوا عن الرسول يُشعر المؤمن بهدوء تام، وسكينة لا توصف، فالنداء خصص له تحديدا دون غيره، فهذا يوحي بعناية الله به، وبأنّ الله تعالى يريد أن يأخذ بيده نحو بر الأمان فلا يتشبه بالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون يسير على ما أراده تعالى ورسوله.

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ الله سبحانه وتعالى هو الناصر، المؤيد يعِدُ المؤمنين في كل موضع أنه سينصرهم وأنه معهم ما ودعهم، فكيف يُنكر المؤمن هذا ولا يطيع الله ورسوله؟ فإنّه لا يفعل ذلك إلا ناكر جاحد ناقم لنعم الله، فما على المؤمنين في هذا إلا طاعة الله، واتباع هدي محمدٍ رسول الله.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(4):**

قال تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤**﴾.

يدعو الله سبحانه وتعالى في هذه الآية إلى الاستجابة لله ورسوله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والنداء خاص بالمؤمنين؛ فهو نداء اختصاص لهذه الفئة، التي ستستجيب لا محالة لطاعة

[1]_ يُنظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،دار الفكر،دمشق، ط10، 2009، المجلد5، ج9، ص302.

الله ورسوله، ونستطيع القول من خلال هذا أنّ **الفعل النطقي** يظهر في النطق بالجملة السابقة المستفتحة بنداء (الذين آمنوا)، **والمحتوى القضويّ** يظهر في دعوة الذين آمنوا إلى طاعة الله ورسوله؛ إذا دعاهم لما ينفعهم في حياتهم وأرواحهم وأبدانهم مع العلم أن دعاء « الرسول إيّاهم لا يكون إلاّ لما فيه خير لهم وإحياء لنفوسهم»[1]، وإذا نظرنا إلى ما سبق نرى أنّ **القوّة الإنجازيّة** ظهرت في شكل مباشر ويتضح ذلك من خلال أفعال الأمر المخططة في الآية (استجيبوا، اعلموا).

وبالتالي فإنّ القوّة الإنجازية قد ظهرت على هيئة فعل أمر مباشر بالاستجابة لأمر الله ورسوله، أمّا فعل الأمر الثاني (اعلموا) فلم يكن يُراد به الامتثال للأمر على وجه التكليف، وإنّما يدلُّ عن قوّة إنجازيّة غير مباشرة تتمثل في التحذير؛ فقد حذرهم الله من التخلّف والتأخر عن الاستجابة التي تكون سببا لأن يحول الله بينهم وبين قلوبهم[2]، والمقصود بأن الله يحول بين المرء وقلبه؛ أي عالم بعزم المرء ونيته إن كانت قاصدة غير طاعة الله، فالله يعلم كل ما يجول في خاطر الإنسان، وقد ورد الفعل (يحول) في المضارع للدلالة على تجدد الفعل[3]، فكل ما يجور في خاطر المرء وما يتغير في ذلك بين الفينة والأخرى الله سيكون عالم به، وبناءً على ما سبق ذكره يمكننا القول إنّ **الفعل التأثيري** لفعل الأمر والتحذير يظهر في استجابة المؤمنين لطاعة الله ورسوله.

- **الأبعاد التربويّة لفعل التحذير من التخلف والتأخر عن الاستجابة لأمر الله ورسوله:**

1_الأبعاد الفكريّة:طاعة الله واجبة على كل مسلم ومسلة وطاعة الله توجب طاعة رسوله الكريم صلاة الله عليه، فكيف لا يُطاع الله ورسوله وفي طاعته سبيل إلى منهج حياة مستقيم لا إعوجاج فيه ولا إنكسار.

---

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص 312.

[2]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 318.

[3]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص 315.

إنّ في طاعة الله ورسوله عقيدة تحيي القلوب والعقول، وتكرم الإنسان وتحفظه من الخضوع المذل إلى الشهوات والعبودية لغير الله[1]، لذلك فكل طاعة لله ورسوله فيه نفع للنّاس، فيها حياة وسبيل نجاة، فكيف لا يستجيب العبد لدعوة الله ورسوله؟

2_الأبعاد النفسيّة: هذا ما يخلق في نفس المؤمن شعور المسؤوليّة الملقاة على عاتقه، فكل مؤمن مسلم حمّال لمسؤولية، فهو مطالب بالاستجابة لأمر الله ورسوله؛ لذلك لابدّ من تكرار سؤال النّفس في كل مرّة ما هو دورنا؟ ما هو ثغرنا؟ ما المطلوب منّا؟

3_الأبعاد السلوكيّة: إذا دعانا الله ورسوله فالمنتظر هو الاستجابة الفورية؛ فلابدّ من الطاعة قبل فوات الأوان، وقبل وجود الموانع من مرض وموت مثلا[2]؛ فالآية فيها أمر بالاستجابة لأمر الجهاد في سبيل الله؛ فإذا انتهك دين الله وعمّ الفساد في بلاد المسلمين، وظهرت عبودية من غير الله؛ فالمطلوب من المؤمنين الجهاد في سبيل الله، حتى يكون الدين كله لله، فإذا يقول سيد قطب: فإذا «أصابهم الموت في هذا الجهاد كان لهم في الشهادة حياة»[3]، كما أنّ الأمر يتعلق بالاستجابة إلى كل ما يدعو إليه الله ورسوله، والمؤمن الحق هو من جعل همه الاستجابة لطاعة الله وعدم التخلف عن ذلك، فما عليك هو الزرع(الطاعة) والثمار على الله.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(5):**

قال تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥**﴾.

إنّ المتمعن تداوليّا في هذه الآية يلاحظ أنّ **الفعل اللفظي** يتمثل في النطق الصوتي بالعبارة المفتتحة بفعل الأمر (واتقوا) أمّا **المحتوى القضوي** فيتمثل في الحديث عن الفتنة وما ينتج عليها من أضرار تصل إلى قوم فاعلها فلا تقتصر عليه فحسب، حيث جاء في تفسير الآية أنّ معناها

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1494.

[2]_ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ص307.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 1494.

احذروا الوقوع في الفتنة التي إن حلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتصل إلى الصالح والطالح[1]، وقيل أن هذا الخطاب موجه «للصحابة، وقيل لأهل بدر ...» [2]، لذلك فالخطاب بضمير الجمع إحالة إليهم.

وتتوالى في ملفوظ هذه الآية **أفعال كلامية** وردت بصيغة الأمر، ويظهر ذلك في أفعال الأمر على التوالي: (واتقوا) و(اعلموا) وهي أفعال تدلّ على التحذير من الوقوع في الفتنة، لذلك يمكننا القول إنّ الأمر في هذه الأفعال يعبر عن قوّة إنجازيّة مباشرة، أمّا التحذير فهو قوّة إنجازيّة غير مباشرة.

ويمكن القول إجمالا إنّ **الفعل الكلامي الكلي** هو الأمر باتقاء الفتنة، وقد أكد «الأمر باتقائها بنهيها هي عن إصابتها إياهم لأنّ هذا النهي من أبلغ صيغ النهي بأن يوجه النهي إلى غير المراد نهيه تنبيها له على تحذيره من الأمر المنهي عنه في اللفظ»[3]، فهذا ما مكننا من عدّ التحذير قوّة إنجازيّة غير مباشرة توصلنا إليها من خلال نهي الفتنة على أن تصيبهم (لا تصبنّ) وهذا ما ساهم بدوره في تدعيم القوّة الإنجازية بالإيجاب.

وبناءً على ما ذكرناه سابقا، نلاحظ أن الفعل الكلامي الكلي لهذه الآية قد دلت عن إنجازية مباشرة تتمثل في الأمر وأخرى غير مباشرة تتمثل في التحذير من الوقوع في الفتنة؛ لأنها مؤدية إلى عقاب الله. أمّا **الفعل التأثيري** الذي يمكن أن نستشفه هنا يظهر في استثارة مشاعر الخوف من ارتكاب الفتنة.

---

[1]_ يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، ص 308.

[2]_ أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص477.

[3]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 318.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الأمر باتقاء الفتنة:**

1_الأبعاد الفكريّة: الفتنة تحل بالظالم وغيره، فقد ورد في الحديث «أنّ أمّة سلمة زوج النبيﷺ قالت: يا رسول الله أنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث» [1]، لذلك وجب على كلّ مسلم مؤمن تغيير المنكر قدر استطاعته وعدم السكوت على الباطل، فالفعل الكلامي المباشر (الأمر) وغير المباشر (التحذير) يدعو بطريقة أو بأخرى إلى «تجنب أسباب الفتنة والبلاء والعذاب، بالأمر بالمعروف والنهي عن المكنر، وتوحيد الكلمة، ومحاربة البدع... »[2]، فمتى تحقق هذا فللمسلم أن ينعم برضا الله وأن ينجوَ من عذابه.

2_الأبعاد النفسيّة: الفتنة سبب يورث عذاب الله، ومتى تجنبها المسلم كان ذلك له ذخرا في الآخرة، وسببا لفلاحه، ولذلك على المسلم أن يطمأن أن في تجنبه للفتنة وابتعاده عنها ثواب جزيل ونجاة من عذاب الله تعالى، فمتة تلا المسلم هذه الآية وتدبر في معانيها اطمئنت روحه وسكنت، فهي نهي عن شيء يسبب عذاب الله، والمسلم المؤمن التقي النقي يخشى عذاب الله ولن يقع في الفتنة.

3_الأبعاد السلوكيّة: وجوب تجنب أسباب الفتنة والبلاء والعذاب، لأنّ « الفتنة إذا حلت بقوم لا تصيب الظالم خاصة بل تعمه والصالح، فمن أجل ذلك وجب اتقاؤها على الكل لأنّ أضرار حلولها تصيب جميعهم»[3].

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(6):**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾.

[1]_ الراوي: أم سلمة أم المؤمنين، ابن عبد البر النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المجلد 9، ص304

[2]_ وهبة زحيلي، التفسير المنير، ص 311.

[3]_ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص317.

ورد في حادثة نزول هذه الآية ما ذكره الواحدي أنّها نزلت في أبي لُبابة عبد المنذر الأنصاري، وكان ذلك عندما حاصر النبي (ﷺ) بنو قريظة، فسألوه الصلح فأبى أن يعطيهم حتى ينزلوا على حكم سعيد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل لنا أبا لبابة لأنّه كان مناصحا لهم وعياله وماله كانت عندهم، فقالوا له ما ترى أننزل على حكم سعيد؟ فأشار إلى حلقه وقال أنه: الذبح، أي ما عند رسول الله (ﷺ) إلا الذبح، ففطن أنه خان الله ورسوله، فنزلت فيه هذه الآية[1]، وقيل أنها نزلت في قوم كانوا يسمعون الشيء من الرسول (ﷺ) فيلقونه إلى المشركين ويفشونه[2]، فالحاصل أنها نزلت في الخيانة.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآيات يشكل لنا **فعلا نطقيًّا** يتجلى في الجملة الفعلية الإنشائية﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ... وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ وملفوظ هذا الفعل النطقي يشكل لنا **المرجع** المتمثل في كافة المسلمين فواو الجماعة إحالة إليهم، على الرغم من أنّه ورد في سبب النزول أنّها نزلت في شخص واحد، لكن الخطاب ورد بصيغة الجماعة، وذلك ليستشعر كل المسلمين المكلّفين أنّ الخطاب موجه إليه.

ويعبر ملفوظ هذه الآية عن قوّة إنجازيّة مباشرة يظهر في أمره تعالى المؤمنين بأن يصونوا الأمانة بما أمرهم به ونهاهم عنه ومن لم يؤدي الأمانة فهو خائن لله ولرسوله[3]، والأمانات هي كل ما ائتمن الله عليه عباده من فرائض وحدود [4]، لذلك فخيانتها تعدٍ لحدود الله ورسوله، ذكر صاحب التحرير والتنوير في سياق الآية أنّها خطاب الله للمؤمنين ينهاهم عن خيانة الأمانة ويحذرهم من هذه المعصية الخفية حتى وإن لم يصدر فعل الخيانة منهم فهذا تحذير[5]، وعليه نستطيع القول إنّ **القوة الإنجازيّة المباشرة** تظهر في النهي إلاّ أنّ ملفوظ الآية يحمل في طياته **قوّة**

[1]_ يُنظر: الواحدي، أسباب النزول، 1996، ص 235.

[2]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص 491.

[3]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 315.

[4]_ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ص 410.

[5]_ يُنظر:ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص 321.

إنجازيّة غير مباشرة تمثلت في التحذير، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ «تشديد النهي» [1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ تنبيه على الحذر من الخيانة بسبب فتنة المال والولد كما فعل أبو لبابة لكون ماله وولده عند بني قريظة[2]، وفي ذلك يقول سيد قطب: «فالفتنة لا تكون بالشدّة والحرمان وحدها...إنها تكون كذلك بالرخاء والعطاء أيضا ومن الرخاء والعطاء هذه الأموال والأولاد»[3]، فقد يقدم الإنسان حبه لأمواله وأولاده عن أداء أمانة الله فتفتنه عنها، وعليه نقول إنّ في التشديد بالنهي عن الخيانة في قوله تعالى:﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ وأيضا في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾تدعيم للقوّة الإنجازيّة بالإيجاب؛ فلابدّ من الحذر من فتنة الأموال والأولاد لئلا تكون سببا في تلهية العبد فتؤدي به إلى خيانة أمانات الله.

وبالنظر إلى ما سبق، يمكن القول إنّ الآية يواكبها فعلٌ مباشر يتمثل في **النهي** والذي نستدل عليه بقرائن بنوية وهي (لا الناهية)، وفعلٌ غير مباشر يتمثل في **التحذير** من خيانة الأمانة التي ائتمن الله عليها عباده، أمّا **الفعل التأثيري** فيمكننا القول أنّه يظهر في التزام الأمانة التي وصى بها الله تعالى ونهى عن خيانتها.

- **الأبعاد التربوية لفعل التحذير من الوقوع في فتنة المال والولد:**

1_الأبعاد الفكريّة: تحتل الأمانة مكانة عظيمة في بناء أحوال المسلمين، إذا ما هم ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها وفهي «دليل نزاهة النفس واعتدال أعمالها، وقد حذر النبي ﷺ من إضاعتها والتهاون بها»[4].

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ نهي القرآن الكريم عن خيانة أمانات الله، حتما يورث في نفسيّة المسلم مشاعر إيجابية تجاه الدين الإسلاميّ، تشعره بالطمأنينة من أنّ حفظ أمانات الله سيؤدي به إلى حفظه؛ فالأجر العظيم بيد الله فاحفظوا الله يحفظكم.

---

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص 324.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ص324، وأبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص 480.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج9، ص1498.

[4]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 223.

3ـالأبعاد السلوكيّة: من الواجب على العبد المؤمن المسلم صيانة أمانات الله ووالوقوف عند حدوده وعدم تجاوزها، فقد بيّن لنا الدين الإسلاميّ حدودا لا ينبغي تجاوزها، قال تعالى: «فتلك حدود الله فلا تعتدوها» وإنّ الوصول إلى هذا يكون يكون بالتضحية، والصبر، والاحتمال، والاستعلاء على فتنة الأموال والأولاد[1]، فقد يصل حب العبد للأموال والأولاد به إلى الوقوع في الفتنة التي قد تسبب له خيانة أمانات الله، فعلى المسلم أن يكون صبورا مضحيا مستعليّا عن شهوات الدنيا الزائلة، فالدّار الدنيا إلا دار فناء وزوال وليست بدار قرار ودوام.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (7):**

قال تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨**﴾.

إنّ الخطاب القرآنيّ في هذه الآية يشتمل على أمر من الله (ﷻ) إلى الرسول (ﷺ) يأمره فيه بإخبار الكافرين أنّ الله سيغفر ذنوبهم إذ انتهوا عن الكفر وأسلموا حتى يريهم أنّ باب التوبة مفتوح لهم، يقول الزمخشري (ت538هـ): «إن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر الله لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تسل الشعرة من العجين»[2]، والواضح من خلال ملفوظ هذه الآية أنّ **الفعل اللفظيّ** يشمل النطق بالعبارة المدوءة بفعل الأمر (قل) **والمحتوى القضوي** يتضمن الحديث عن إمكانية غفران الذنوب لولائك الكافرين الذين تمادوا في الكفر والعصيان شريطة أن يتبوا وينتهوا عن كفرهم، والظاهر من خلال ما سبق أنّ الفعل الإنجازي يتمثل في **قوّة إنجازيّة مباشرة** وهي الأمر الحقيقي الموجه إلى النبيّ (ﷺ) إلى الكافرين، فقد أحال ضمير (واو الجماعة) في (ينتهوا) و(يعودوا) والضمير في (لهم) عائد على المشركين فمضمون الخطاب موجه إليهم –وليس كل الخطاب– يقول ابن عاشور: «وقد خوطبوا بضمير الغائبة لأنّ الكلام حكاية بالمعنى روعي فيه جانب المخاطب بالأمر الرسول (ﷺ) تنبيها

[1]ـ يُنظر:سيد قطب، في ظلال القرآن،ج9، ص1498.

[2]ـ الزمخشري، الكشاف، ج10، ص 413.

على أن ليس حظه مجرد تبليغ مقاله»[1]، فليس الغرض هنا الأمر بالقول والتبليغ الفوري من المتكلّم (الله) إلى المقصود بالقول (الكفار)، وإنّما الخطاب جاء أمرًا للرسول(ﷺ) لمكانته المتمثلة في تبليغ رسالة الله، فالفعل (قل)ـ كما تحدثنا فيما سبقـ فعل تعليميّ وليس مقصودا لذاته كفعل أمر حقيقي بالقول، وهنا الدعوة إلى الانتهاء عن الكفر والتوبة إلى الله لأّ ذلك سيكون سببا لغفران ذنوبهم التي ارتكبوها سابقا، والتحذير من الرجوع إلى الكفر والعصيان مجددا.

وبناءً على ما سبق ذكره نستنتج أنّ **القوّة الإنجازيّة المباشرة** تتمثل في الأمر الحقيقي الموجه من الله تعالى إلى الرسول الكريم، ونستدل عليها انطلاقا من فعل الأمر (قل)، غيرَ أنّ المقصود (**القوّة الإنجازية غير المباشرة**) فتتمثل في الحث على التوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله، والتحذير من الارتداد في ذلك، حيث يشتمل قوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ الوعيد والتهديد بالتمثيل بمن هلك من الأمم في سالف الدهر بعذاب الله[2]، وكأنّه يقول لهم: إن عدتم إلى كفركم فسيكون مصيركم كمصير الأمم التي هلكت بعذاب الله، أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في اللحوق بركب التائبين خاصة إذا علم المذنب أن بتوبته سيغفر له الله كل ما قد سلف، وكأنه لم يرتكب ذنبًا من قبل.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الحث على التوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله، والتحذير من الارتداد عن ذلك:**

إنّ في أمره تعالى الرسول (ﷺ) بحث الكفّار على التوبة أبعاد تربوية تتمثل في رحمة الله بعباده الكفار بأن جعل الله لهم باب التوبة والإنابة مفتوحا ويسر لهم طرق المغفرة، قال ابن عربي: «هذه لطيفة من الله سبحانه من بها على الخلق، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي والمآثم، ولو كان ذلك يوجب مؤاخذة لهم لما استدركوا أبدا توبة ولا نالتهم مغفرة ، فيسر الله لهم باب التوبة عند الإنابة»[3].

---

[1]ـ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 344.

[2]ـ الشوكاني، فتح القدير، ص 539.

[3]ـ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص501.

1_الأبعاد الفكريّة:إنّ الفعل الكلاميّ في ملفوظ هذه الآية والذي توصلنا إليه من خلال بيان القوّة الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، يكوّن لنا بعدا فكريّا يتمثل في معرفة أنّ الله تعالى يغفر الذنوب جميعا، والأمر متوقف على توبة الإنسان، فمتى تاب وأناب، وأعاد تدارك أخطائه غفر الله ذنوبه، فالله سبحانه وتعالى رحيم بعباده، رؤوف بهم، قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ**﴾[1].

2_الأبعاد النفسيّة: الشعور بالرضا، والأنس، والإطمان لهي مشاعر يثيرها الحث على التوبة والإنابة، فبالرغم من وقوع المرئ في الذنب، فباب التوبة لايزال مفتوحا أمامه، أفلا يمكن أن يصنع هذا مشاعر رضا وأنس وإطمنان كيف لا وهو وعد من الله الذي لايخلف وعده.

3_الأبعاد السلوكيّة: لعلّ الإسراع في التوبة، وعدم الرجوع والارتداد فيها لهو من أبرز السلوكات التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها، فليس العيب أن يخطئ الإنسان فكل بني آم خطاء غير أنّ خير الخطائين هم التوّابون.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(8):**

قال تعالى: ﴿**وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾**﴾.

تعبر هذه الآية عن **فعل كلامي توجيهيّ** يظهر في قوله تعالى:﴿وَقَٰتِلُوهُم﴾ ؛أي الأمر بمحاربة وقتال المشركين الذين كانوا يضيّقون على المسلمين حتى لا ينشروا دينهم؛ فليس المعنى مقاتلة النّاس حتى يدخلوا في الدين ولكن المقصود هو« إفساح المجال للعقيدة الجديدة الوليدة لأن تمارس دور الدعوة لنفسها في حرية واطمئنان بعيدا عن كل ضغط أو تأثير خارجي»[2].

وعليه يمكننا القول إنّ **الفعل النطقي** يتمثل في النطق بالعبارة التي كانت بدايها جملةً فعليّةً ﴿وَقَٰتِلُوهُم...﴾ فقوله تعالى: قاتلوهم فعل لفظي وليس لفظ فحسب، لذلك فهو يضمّ **محتوى**

[1]_ سورة طه، الآية: 82.

[2]_ السيد فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن، دار الملاك، بيروت_لبنان، ط6، 1418، ص 96.

قضويّ يظهر في مقاتلة المشركين حتى لا يضيّقوا على المسلمين في نشر دينهم، وهنا يظهر لنا فعل لفظي يحتوى على حدث، وإذا نظرنا إلى البنية النحويّة للفعل اللفظي نجدها أمرًا لذلك نلاحظ بأنّ **القوّة الإنجازيّة** ظهرت على هيئة مباشرة تتمثل في الأمر الحقيقي بمقاتلة المشركين، فالله سبحانه وتعالى يدعوا المسلمين لمقاتلة المشركين ويحثهم على ذلك، يقول ابن عاشور: «قتال المشركين واجب حتى يسلموا»[1]، **والفعل التأثيري** يظهر في الامتثال لأمره تعالى بمقاتلة المشركين الذين يضيقون على المسلمين في نشر دينهم.

- **الأبعاد التربوية لفعل الأمر بمقتالة المشركين:**

بعدما ابتدأ المشركون في فتنة المسلمين عن دينهم بالأساليب التي تتصف بالقسوة، والعنف، والخديعة والإغراء كان قتلهم ومحاربتهم قضية حتمية لابد منها من أجل سلامة العقيدة وحماية الدين الإسلامي، فهذه الحرب مشروعة مدام الأمر جاء من عند الله.[2]، وعليه نستنتج أنّ الأبعاد الفكريّة تظهر في:

1_الأبعاد الفكريّة: تشريع الحرب التي تهدف لنشر الدين الإسلامي، فقد شرّع الديني الإسلامي مقاتلة الكفار ومحاربتهم، حتى يتنسنى للمسلمين نشر الدين، ومنهنا كان الجهاد واجبا على كافة المسلمين.

2_الأبعاد النفسيّة: وهنا يشعر المؤمن بأريحيّة ورضا وأنس، بأنّ الدين الإسلاميّ هو الغالب لا محالة، فمادام شرّع تعالى وأباح مقاتلة الكفار، فهذا مبشر بانتصار الإسلام، وأنّ الكفار على ضلالة، ولا تفلح الضلالة.

3_الأبعاد السلوكيّة: ويتمثل الهدف السلوكي في تحمّل مسؤولية الدين الإسلاميّ ومحاولة نشره حتى ولو كان ذلك بكلمة، أو موقف، ويبقى الجهاد في سبيل الله أعظم سلوك، لكن كل ذلك لا يأتي بالعجز والكسل، والتخلف، والضعف وإنّما بالمقاتلة قال تعالى: ﴿وَقَتِلُوهُم﴾وبكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني الجهاد المر والتضحية والعمل الجاهد، والبذل الدائم، والروح

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص347.

[2]_ يُنظر:السيد فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن، ص 95_96.

القوّية، وهذه المهمة تقع أكثر ما تقع على عاتق القوى المسؤولية في كل أمّة مسلمة ، لأنّ السلطة بأيديهم، فلابدّ أن يظهر دورهم في «عدم فسح المجال للفتنة في الدين أن تمتد، وإعطاء الحرية للدين بأن ينتشر ويتسع، بإزاحة العقبات عن طريقه»[1]، وذلك بسد الفجوة بين الامّة الإسلامية والعالم الغربيّ وكل ما يدعو إليه من فساد للأخلاق، وانتشارٍ للرذيلة، وثانيّا تقع المهمة على كل نفس كل عبد مؤمن؛ فالتيقن التام بمقاتلة المشركين والتصدي لدين الكفر تبدأ بتغيير حالنا من الداخل والبدئ بها أولا، بالتخلص من الزيف والتردد، والعزم على الثبات وتحقيق اليقين، والتحلي بالأمل، وحب الجهاد بنوعيه الماديّ والروحيّ، وبهذه الطريقة يمكن التبشير باتنصار الإسلام الذي حتما سيخرج النّاس من الظلمات إلى النور، كيف لا وهو دين العدل والقسط.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(9):**

قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦**﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآيات «هو النداء الإلهي السادس للمؤمنين في هذه السورة وهو إرشادهم إلى القوة المعنوية للمقاتلين التي هي السبب الغالب للنصر والظفر»[2]، وجاء في تفسيرها أن المعنى هو أمر تعالى المؤمنين بالثبات والصبر عند قتال الكفار وبالاستعانة في ذلك بالإكثار من ذكر الله فهذا من أكبر أسباب النصر، وبطاعة الله ورسوله فيما يأمر به وينهى عنه[3].

وبناءً على ما سبق، يمكننا القول إنّ الآيات تمثل فعلًا كلاميًّا تكوّن أوّلا من خلال النطق بعبارات مخصوصة، أو ما يُسمى **بالفعل اللفظي**، الذي لا ينفك أن يكون حاملا **لمحتوى**

[1]_السيد فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن، ص96.

[2]_ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت_لبنان، 1993، ج 10، ص 24.

[3] _يُنظر:السعدي، تفسير السعدي، ص 318_ 319.

قضوي هو الحديث عن الاعتصام بيد الله، والنطق بالفعل اللفظي داعٍ إلى تشكيل فعل إنجازيّ بالضرورة، وفي الآيات الكريمة سلسلة من **الأفعال الإنجازيّة** تمثلت في **الأمر والنهي** المتصدرين بفعل النداء، حيث تعدّ هذه الأفعال بمثابة أفعال قوليّة تهدف إلى إنشاء فعل إنجازي ويظهر غرضها الإنجازيّ في دفع المخاطب للقيام بالثبات عند ملاقاة العدو والإكثار من ذكر الله، ثمّ الأمر بطاعة الله ورسوله، والنهي عن التنازع والتفرق وكل هذه الأفعال الإنجازية وردت على هيئتها المباشرة وبمقصديتها ودلالتها المباشرة يمكن أن نجملها تحت فعل كلاميّ جامع تمثل في الأمر بالاعتصام بيد الله تعالى ونلخص ذلك في الشكل الآتي:

الشكل (1)

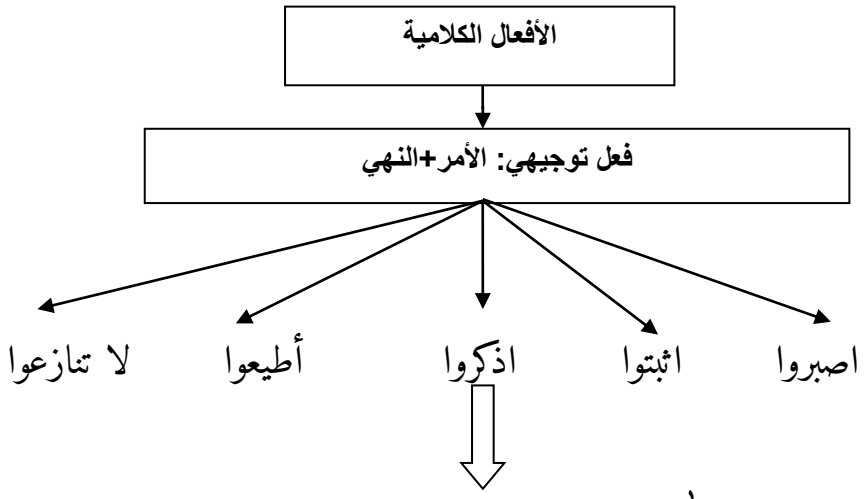

- **الأبعاد التّربويّة لفعل توجيه المخاطب بالثبات عند ملاقاة العدوّ والإكثار من ذكر الله، وفعلي الأمر بطاعة الله ورسوله، والنهي عن التنازع والتفرق:**

1_الأبعاد الفكريّة: لعلّ من أبرز الأبعاد الفكريّة التي يمكن الحديث عنها انطلاقًا من الفعل الكلاميّ الجامع وهو الأمر بالثبات عند مقاتلة العدو بالحرص على الإكثار من ذكر الله أنّ من أبرز أسباب الثبات في الدنيا هو الحرص على طاعة الله بالإكثار من ذكره؛ فهو المُعين

على الثبات، يقول محمد رشيد رضا هو: «غذاء الإيمان فلا يكمل إلا بكثرته، فمن غفل عن ذكره تعالى استحوذ الشيطان على قلبه وزين له الشرور والمعاصي»[1].

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في هذا استشعار بأهميّة ذكر الله لما فيه من استشعار بمعيّه على الثبات ، فكلّما ذكر المسلم ربّه كان ذلك معينا له على الصبر والثبات والمواصلة، كما أنّ في ذكر الله اطمئنان للقلوب وبث للسكينة قال تعالى : ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [2].

3_الأبعاد السلوكيّة: على المسلم أن يكون دائم الانشغل بذكر الله فلا يفارق التسبيح والتحميد لسانه، وألا يفترة عن ذلكوللزمخشري كلمة في توضيح ذلك يقول : «وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا، وأكثر ما يكون هما، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره»[3]، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أهمية ذكر الله في الشدّة والرخاء وفي الصحة وفي المرض... كما أنّ في ذكر الله إعانة للإنسان على الصبر والمرابطة، يقول القرضاوي: «مما يعين المبتلي على الصبر أن يستعين بالله تعالى ويلجأ إلى حماه فيشعر بمعيته سبحانه، وأنّه في حمايته ورعايته، ومن كان في حمى ربه فلن يُضام»[4]. فما خاب قلب تصبّر وصبر بذكر الله في انتظار الفرج.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(10):**

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧**﴾.

نزلت الآية في أبي جهل وأصحابه الذين كانوا يخرجون يوم بدر للتفاخر بين النّاس، فيقيمون المعازف ويُشربون النّاس الخمر حتى تسمع بهم العرب ويثنون عليهم [5]، فلم يكن هدفهم هو

---

[1]_ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج10، ص 27.

[2]_ سورة الرعد، الآية: 28.

[3]_ الزمخشري، الكشاف، ج10، ص416.

[4]_ يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، مكتبة وهبة، ط3، 1989، ص 92.

[5]_ يُنظر: الطبري، تفسير الطبري، ج11، ص 216_ 217.

القتال في سبيل الله وإعلاء دين الإسلام، وإنّما كان قصدهم صدّ النّاس عن دين الحق، فنزلت الآية للنهي عن هذا الفعل؛ فلابدّ أن يكون خروج المؤمنين للجهاد خالصا لوجه الله وإعلاء الدين الإسلامي[1] بعيدًا عن البطر والرياء.

انطلاقًا من سياق نزول الآية الكريمة يمكننا القول إنّها تشكل فعلا كلاميّا يظهر في القولة المخططة ، بحيث يظهر **الفعل اللفظيّ** في النطق بالقولة المنهية، **والمحتوى القضوي** يتمثل في في الحديث عن بعض صفات المشركين التي لابدّ للمسلمين من تجنبها، وبناء على هذا نلاحظ بأنّ الفعل الإنجازيّ يظهر في النهيّ عن التشبه بصفات المشركين؛ وقد ورد الفعل المنهي عنه بطريقة غير مباشرة؛ أي بذكر صفة مهية عنها لا بدّ أن ينتهوا عنها وهذا أبلغ في تحقيق النهي؛ لأنّ النهي عن التشبه بأحوال قوم مذمومين يؤكد النهي ويكشف قبح المنهي عنه[2] والاسم الموصول (الذين) إحالة شخصية لأبي جهل وأصحابه[3]؛ أي هؤلاء الذي وجب التنبه من الاتصاف بأفعالهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ «وعيد وتهديد لمن بقي من الكفار»[4]؛ فقد كان الله تعالى عليما محيطا بقوّته وقدرته بما يفعلونهم من بطرٍ ورياءٍ.

والنطق بالفعل القولي وما دلّ عليه من محتوى قضوي لملفوظ الآية، هو تحقيق لفعل إنجازيّ، والذي يمكن تقسيمه إلى فعل مباشر وهو النهي المدلول عليه بالحرف (لا) الذي يفيد النهي، ومعنى غير مباشر (غير صريح) يتكون من معنيين جزئيين:

- **معنى عرفي هو الاقتضاء**، أي اقتضاء حال المتكلم (الله) الرغبة في عدم خروج المخاطَب للقتال من أجل التفاخر والبطر في الأرض.
- **معنى حواري استلزامي:** وهو نصح المتكلم (الله) للمخاطب من أجل الجهاد لوجه الله وإخلاص العمل لله.

---

[1]_ يُنظر:أبو حيان، البحر المحيط، ص 500.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 32_33.

[3]_ يُنظر:المرجع نفسه ، ص 33.

[4]_ أبو حيان، البحر المحيط، ص500.

- **الأبعاد التربويّة لفعل النهي عن الاتصاف بصفات المشركين:**

1ـالأبعاد الفكريّة: لعلّ أهمّ ما بيّناه من خلال تحلينا للفعل الكلاميّ السابق هو قضية النهي عن الرياء، باعتباره فعلا منافيا لأخلاق المسلمين ناتج عن وسوسة الشيطان، وهذا ما يبّن لنا قبح فعل الرياء وخاصة لمّا كان من كفار قريش.

2ـالأبعاد النفسيّة:في نهيه تعالى عن الرياء الذي يعدّ من صفات الكفار ارتفاع وارتقاء بالمسلمين من التشبه بمثل أفعال هؤلاء الكفّار المذمومين، وهنا يستشعر المسلم قيمته التي تختلف عن قيمة الكفّار؛ فقد نهى الله المسلمين عن التشبه بالكفّار وليس العكس.

3ـالأبعاد السلوكيّة: لمّا نهى الله سبحانه وتعالى عن الرياء وبيّن أنّه من أحوال الكفّار المذمومين، وجب على المسلمين تجنب هذا الفعل المذموم خاصة لمّا كان من صفات الكفّار، وإقامة كل أعماله بعيدا عن الرياء خالصة لوجه الله تعالى فعلى هذا مدار الفلاح.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(11):**

قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾**﴾.

جاء في تفسير الآية ما أروده النّحاس أنّه إذا خفت من قتال قوم كان وبينك وبينهم عهد خيانة منهم فأخبرهم أنّك قد نبذت إليهم عهدهم وأنت مقاتلهم؛ ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك فيكون ذلك خيانة وغدرا؛ فالله لا يحب الخائنين[1]، **والفعل اللفظي** يتمثل في النطق بالعبارة السابقة، أمّا **المحتوى القضوي** ـالذي يتضح لنا من خلال كلام المفسرينـ هو الحديث عن خيانة العدو، ويعبر ملفوظ الآية على فعل الأمر بقوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ﴾ ، فصيغته النحوية توحي بأنّه فعل أمر حقيقي

[1]ـ يُنظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص51.

بنبذ العهد على السواء، إلّا أنّه يحمل في طياته فعل إنجازي غير مباشر يتمثل في **النهي عن الخيانة** والغدر التي كانت من أخلاق الكافرين، وكأنّ المراد قوله: إن كانوا هم يخونون العهد فعليكم أنتم أيّها المؤمنين بأن تكون على عكسهم وبأخلاق النبي (ﷺ).

فعبر عن ذلك تعالى بفعل (النبذ)، والنبذ معناه رمي الشيء التافه الذي لا يُبالى به[1] ومنه قوله تعالى: ﴿**فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ**﴾[2]، ولأنّ الله سبحانه وتعالى لا يُحب هذا الخلق الذميم جاء قوله:﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ**﴾، فجاء تأكيد الجملة بمؤكدين (إنّ) إضافة إلى (اسميّة الجملة) وهذا ما يعزز قوّة الفعل الإنجازي (النصح والإرشاد) فتنيجة لكره تعالى خُلق الغدر والخيانة سواء من الكافرين أو المؤمنين وعدم حبه من ليس عنده وفاء ولاعهد، ورد التأكيد على ذلك، وعليه يتضح لنا أنّ الفعل الإنجازي قد ورد على هيئة قوّة إنجازيّة غير مباشرة يمكن إدراجها ضمن صنف **التوجيهيّات**، أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في تجنب خلق الخيانة حتى وإن كان الخصم خائن خسيس، ومهما حسب الخائن أنّه سبق فلا يمكنه أن يعجز الله تعالى.

- **الأبعاد التربويّة لفعل النهي عن الخيانة والغدر:**

1_الأبعاد الفكريّة:من خلال نهيه سبحانه وتعالى عن الخيانة التي تؤدي إلى الغدر يمكننا تبني فكرة أنّ الإسلام لا يغش ولا يخدع ولا يغدر يريد أن يرتفع بالبشرية إلى آفاق الشرف والاستقامة وإلى آفاق من الأمن والطمأنينة[3] فهو دين الاعتدال والسلامة القلبيّة «يكره الخيانة، ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود ومن ثم لا يحب المسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة»[4].

---

[1]_ سورة آل عمران، الآية: 187.

[2]_ سورة القصص، الآية: 40.

[3]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1542.

[4]_ سيد قطب، في ظلال القرآن ، ص1542.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ الاتصاف بخلق الخيانة لهو من الأفعال التي تورث صاحبها الاحتقار والنبذ من النّاس، فيكرهونه ولا يعيرنه سمعهم ولا انتباهم، إمّا المؤمن الوفيّ الصادق سيجعل النّاس كلهم يشعرون معهم بالاطمئنان والأمن والأمان.

3_الأبعاد السلوكيّة: الالتزام بالوفاء، وتجنب الخيانة مع العدوّ والصديق من أبرز السلوكات الواجب التحليّ بها « فالوفاء فرض مع الكافر والمؤمن على حد السواء»[1]، فالمؤمن إنسان لايغدر ولا يخون، يقف عند مراد الله سبحانه وتعالى الداعي إلى كره الخائنين.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(12):**

قال تعالى:﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾**﴾.

إنّ الخطاب في هذه الآية موجه للمسلمين وولاة الأمر منهم[2]، بأن يعدوا القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة لمواجهة أعدائهم الذين يريدون إبطال دينهم، وقد أمرهم تعالى بإعداد قوّة رباط الخيل «لأنّها الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة»[3]، وتشكل الآي السابقة فعلا كلاميّا يظهر أولا في الفعل اللفظي الذي يكمن في النطق بألفاظ الفعل الكلامي المخطط، والضمير (واو) الجماعة للمسلمين ، والضمير في (لهم) عائد على الكفار[4]، وعليه فإنّ **المحتوى القضوي** يتمثل في إعداد القوّة النفسية والبدينة (الأسلحة) لقتال الكفار وهذا ما يسمى بالانفاق في سبيل الله، وقد ذكر تعالى أنّ القتال لإرهاب عدوّ الله أولا « تعظيما لما

[1]_ محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص186.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص55.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج10، ص1543.

[4]_ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ص507.

هم عليه من الكفر، وتقوية لذمهم، وأنه يجب لأجل عداوتهم لله أن يُقاتلوا، ويُبغضوا، ثم قال (عدوكم) على سبيل التحريض على قتالهم»[1].

وعليه، نستنج أنّ ملفوظ هذه الآي يعبر عن فعل كلامي توجيهي يحمل **قوّة إنجازية حرفية** وهي الأمر بإعداد القوّة ومنها رباط الخير لقتال الكافرين وإرهابهم، **والفعل التأثيريّ** يظهر في الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى لذلك فإنّ نجاح فعل الأمر يتحقق بمجرد التلفظ به؛ فالأفعال التوجيهية تمثل بالمتلقي؛ أي هدفها جعل العالم مطابق للكلمات، وهذا منطق نظرية أفعال الكلام الداعي إلى التأثير في العالم وتغييره. وفعل الأمر هنا من الأفعال الكلاميّة المباشرة التي تطابق القوّة الإنجازية للجملة فيها مراد المتكلم فيكون ما يقوله المتكلّم مطابق لما يعنيه.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الأمر بإعداد القوّة الجسدية والمعنوية والإنفاق لقتال الكفار ورفع راية الإسلام:**

1_الأبعاد الفكريّة: جعل الله سبحانه وتعالى مقاتلة الكفار أمرًا واجبًا، فهذا هو منهج الإسلام يسعى لتحطيم القوى المادّية وكلّ القوى التي لا تعترف بأنّ الألوهية لله وحده[2]، فعلى المسلمين بذل الإنفاق المادي والمعنويّ وأنواع وأصناف القوّة في سبيل محاربة هؤلاء؛ والإنفاق بالمال والجهد لرفع راية الدّين الإسلاميّ وقد جعل تعالى ذلك إنفاقًا في سبيله وهو من أعظم لأعمال التي يُجازى فاعلها.

2_الأبعاد النفسيّة: وعليه فإنّ على المسلم أن يستشعر عظمة هذا المنهج الربانيّ ويشعر بالفخر تجاهه، فهو المنهج الداعي لتحطيم كلّ أصناف وأنواع المناهج التي لا تدعو لتوحيد الله، كلّ المناهج الداعية لاسترقاق الإنسان وأسره وعبادة الأوثان[3] التي لا تسمن ولا تغني من جوع فكيف تكون هذه المناهج صالحة للحكم وهي من صنع بشر ضعيف قاصر؟

---

[1]_ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ص508.

[2]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج10، 1544.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه ، ص1544.

3_الأبعاد السلوكيّة: على المسلم أن يقف انطلاقًا من هذا موقف المدافع على دين الله سبحانه وتعالى، فيعيش لله ويموت لله ويعيش كلّ تفاصيله لله فيتعلّم الجهاد والتضحية والبذل في سبيل نصرة الإسلام والإعداد ما استطاع لمحاربة ومواجهة العدّو الغاشم وأن يصبر ويثبت والبقية لله، وأن ينفق في سبيل الله ومتى أتته فرصة لذلك.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(13):**

قال تعالى: ﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَاوَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾.

تتحدث الآيات عن بيان حكم السَّلْمَ مع الطرف الآخر إن طلب السَّلْمَ والمهادنة، فأمر الله الرسول (ﷺ) والمسلمين بأن يوافقوا على السلم إذا سألوه منهم، ثمّ أمر تعالى الرسول الكريم(ﷺ) بالتوّكل عليه بعد الأمر بالجنوح إلى السلم ليكون النبي(ﷺ) معتمدا في جميع شأنه على الله تعالى[1].

ويظهر **الفعل القولي** لملفوظ الآية في النطق بالقولة ﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّل﴾**والمحتوى القضوي** يتمثل في الموافقة على السَّلم بشرط جنوح الطرف الآخر له، والتوّكل على الله في ذلك. والمقصود بالسِّلم بفتح السين وكسرها الصُلح بين الطرفين وهو ضد الحرب[2]، والمرجع هو الرسول (ﷺ) فهو المقصود بالخطاب، أمّا ضمير الغائبين في ﴿جَنَحُواْ﴾ عائد على مشركيّ قريش والعرب* وهاء التأنيث في ﴿لَهَا﴾ إحالة إلى السَّلم التي «تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب»[3].

ويظهر **الفعل الإنجازيّ** على هيئة الأمر بمقصديته ودلالته المباشرة، بالجنوح إلى السَّلم المقترن بالتوّكل على الله وكأنّ المقصود إن كان جنوحهم للسّلم مشبب بالمكر والخداع فإنّ الله عاصمك-يا محمد- وكافيك مكرهم وخديعتهم[4]؛ فالمطلوب منك هو التوّكل على الله، أمّا **الفعل**

---

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص59.

[2]_ يُنظر: المرجع نفسه ، ص59.

*_ ويحتمل ضمير الغائبين أن يكون عادا إلى المشركين أو عائدا إلى أهل الكتاب، أو عائدا إلى الفريقين كليهما وذلك لما أشارت إليه الآيات السابقة لهذه الآية والتي ذكرت عدة طوائف= ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص60.

[3] الزمخشري، الكشاف، ص418.

[4]_ المرجع نفسه، ص418.

التأثيري فيظهر في الاستجابة لأمر الله تعالى بالتوّكل على الله والجنوح للسّلم إن جنح الطرف الآخر له.

- **الأبعاد التربويّة لفعل توجيه المسلمين للجنوح إلى السَّلم ثمّ التوّكل على الله:**

1ـالأبعاد الفكريّة: يمكننا القوّل أنّ أمر الله تعالى بالجنوح إلى السَّلم مع العدوّ المريد تصوير حسن لأخلاق الدّين الإسلاميّ الحنيف وهذا ما يساعد على تكثير الرغبين فيه والمتبعون له[1]؛ فلا يردّ طالب السّلم في الإسلام فالأولى الاستجابة لطلبه كما نستنتج فكرة التوّكل على الله وحسن الظن به؛ التي تعلّمنا أنّ الله يدبر كل الأمور بحكمته.

2ـالأبعاد النفسيّة: اطمئنان المؤمن من أنّ توكله على الله وثقته به سيوصله إلى برّ الأمان؛ فالتوّكل على الله فرح و سلام.

3ـالأبعاد السلوكية: الصلح خير، فلا تكن من رافضي السّلم، وإن كان عدّو يضمر لك العداوة والبغضاء فحسبك أنّ جنحت لما أُمرت به، ويكفيك التوّكل على الله؛ فهو الطريق الموصل إلى الفوز والنجاح.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (14):**

إنّ الخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ**﴾ موجه من الله (ﷻ) إلى الرسول (ﷺ) لتحريض المؤمنين على القتال ومعنى التحريض الحث على القتال والإحماء عليه[2]، ويُعدُّ نداء الرسول (ﷺ) في هذه الآية النداء الثاني المتكرر، وقد ورد النداء من أجل توجيه المخاطب بالفعل المقصود بعده وهو الأمر بتحريض المؤمنين على القتال، وعليه فقد دلّ كل ذلك على أنّ **القوّة الإنجازيّةالمباشرة** تتمثل في الأمر الوارد بعد النداء؛ إذ لم يكن المقصود بالنداء طلب إقبال المخاطب، وإنّما المقصود هو الأمر وكأنّ النداء كان ممهدا للفت الانتباه والفعل المقصود جاء بعده وهو الأمر الحقيقي، أمّا **القوّة الإنجازيةغير المباشرة** يتمثل في

[1]ـ السعدي، تفسير السعدي، ص 321.

[2]ـمحمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ح ،ر، ص) ،ج1، ص 411.

الحث والإرشاد، أمّا في قوله تعالى: ﴿**وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوَاْ أَلْفًا ...**﴾ فهذا خبر وهو بمعنى الأمر كقوله تعالى:﴿**وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ**﴾[1]، فالمقصود أمرهم بإرضاع أولادهم، وكذلك بالنسبة لآية سورة الأنفال فالظاهر خبر لكن المقصود هو الحث على الثبات، ومواصلة القتال.

ومنه يمكن القول أن ملفوظ هذه الآية يعبر عن الإخبار أما المقصود هو إنشاء فعل إنجازي غير مباشر يتمثل في **الأمر**، يقول الشوكاني موضحا ذلك: «فالمؤمنون كانوا مأمورين من جهة الله سبحانه بأن تثبت الجماعة منهم لعشرة أمثالهم، ثم لما شق عليهم واستعضموه خفف عنهم ورخص لهم لما علمه سبحانه من وجود الضعف فيهم»[2]، فإذا كان المسلمين مئة فقط سيغلبون ألفا كاملين من الذين كفروا وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلُّ على تحريض المؤمنين وتشجيعهم على قتال الكفّار.

وبناءً على ما سبق، يمكننا القول إنّ الأمر في ملفوظ الآية السابقة فعل كلامي كلي تندرج ضمنه أفعال مؤسسة أو تداوليّة صغرى بتعبير (فان دايك)[3]، وهي **الحث على قتال الكفار والترغيب على الصبر في مواجهة العدو** وفي بيان هذا يقول أبو حيان (ت745هـ) هذا « ترغيب في الثبات للقاء العدو وتبشير بالنصر والغلبة»[4] ؛ فقد دلت هذه الأفعال عن معنى ضمني يتمثل في تقوية قلوب المؤمنين وتثبيتهم وقد ظهر هذا بالإتيان بالأمر؛ حيث أنّ في الاتيان بالخبر على وجه الأمر بشارة للمؤمين بأنهم سيغلبون الكافرين، ولم يكن ذلك ليظهر جليّا لو جاء اللفظ على هئة الخبر مباشرةً[5]؛ فكل لفظ في القرآن الكريم وُجد في محلّه دون زيادة ولا نقصان، وكل خبر، أو أمر، أو غيرها جاء بلفظه أو غير لفظه دلالته التي لا يُمكن أن تفهم إلا بالهيأة التي جاءت بها، وهذا من روائع النظم القرآني.

---

[1]_ يُظر: الشوكاني، فتح القدير، ص549.

[2]_ المرجع نفسه، ص 549.

[3]_ فان دايك، النص والسياق، ص 316.

[4]_ أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص 512.

[5]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 322.

ويمكن تمثيل أفعال الكلام المذكورة سابقا في الشكل الآتي:

الشكل (1)

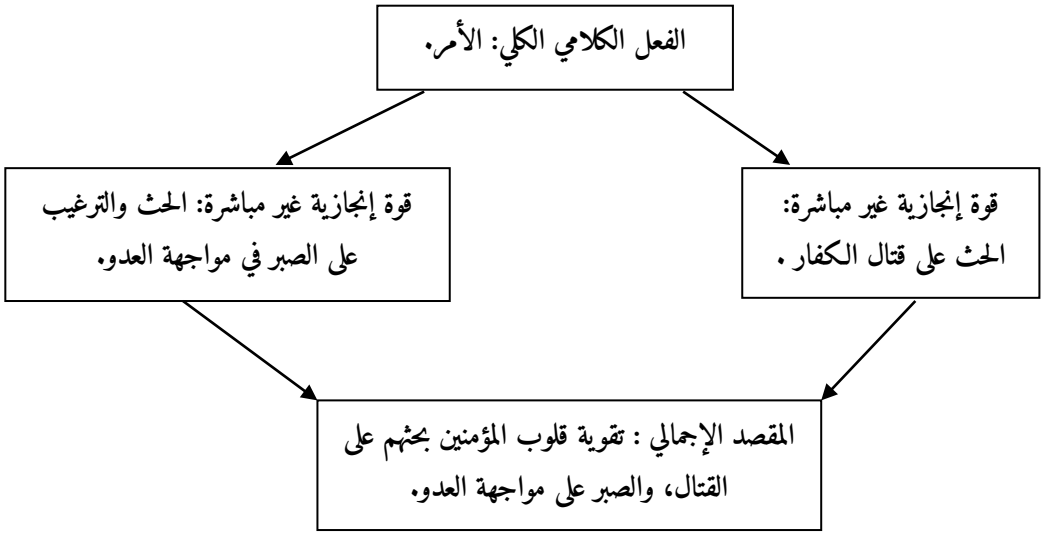

فالهدف التداولي من الأفعال التوجيهية السابقة هو حث المؤمنين وتقويتهم بالدافع المعنوي وهو الصبر على مواجهة العدو، وبأنه حتى وإن كان عددهم قليل سيغلبونهم بإذن الله، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، أي أنّ نجاح هذه الأفعال يكون بتغيير العالم فمتى طابق الواقع الكلمات دلّ ذلك على نجاح هذه الأفعال، لذلك يمكننا القول إنّ **الفعل التأثيري** يظهر فالتحلي بالصبر، والثبات من أجل تحقيق النصر والوقوف على ثغر ناجح.

- **الأبعاد التربوية لفعليّ الحث على قتال الكفار والترغيب على الصبر في مواجهة العدو:**

1ـالأبعاد الفكريّة: يدعو الفعل الكلامي في هذه الآية إلى الصبر فهو أعظم ما تشتد إليه الحاجة في الحرب وعندما ينفرط العقد[1]، وللذك فالصبر في القتال عامل مهم فهو من أهم أساب النصر وكذلك الصبر في كافة مناحي الحياة فمتى صبر العبد على أدية النّاس أيضا فاز في الدنيا

[1]ـ يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1989، ص 46.

والآخرة وهناك العديد من الآية الداعية إلى الصبر في القرآن الكريم؛ فالصبر مفتاحٌ للفرج... ومنها قوله تعالى: ﴿**فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ**﴾[1].

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في في الخبر المتضمن معنى الأمر تطمين لقلوب المؤمنين، فهذا الفعل الكلاميّ يُشعر المؤمنين بالراحة ويشجعهم على الصبر أكثر، فمتى علم المؤمنين أهم سيغلبون الكفّار حتى ولو مانوا مئة وجنود العدوّ ألف، فإنّ نصر الله قريب...

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ من أعظم الأبعاد السلوكيّة التي تمثلت في الفعل الكلاميّ للآية السابقة هي الصبر، فالصبر عنوان الغلبة والانتصال لذلك قال تعالى:﴿**فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ**﴾ فالصبر شرط للغلبة، ويؤكد تعالى ذلك بقوله: ﴿**والله مه الصابرين**﴾ وهذا ما يجعل المؤمنين أكثر صبرا واحتسابا، بأنّ النصر سيكون حيفهم طالما تحلو بالصبر وتيقنوا تمام اليقين أن الله سينصرهم حتى وإن قلّ عددهم، فكل ذلك يزرع في قلوبهم الشجاعة ويثبت أقدامهم على مواجهة الكافرين، والخوض في غمار الحرب دون خوف ولا تراجع...

[1]_ سورة القلم، الآية: 48.

خاتمة الفصل الثاني:

بعد جولتنا في رحاب تحليل الأفعال الكلام التوجيهيّة في سورتي الإسراء والأنفال وما حققته من أبعاد تربويّة متنوعة، لاحظنا أوّلا تنوعا رهيبا في أفعال الكلام التوجيهيّة؛ فقد وردت على هئية الأمر الحقيقي، والنهي الحقيقي، كما جاءت بعض أفعال الكلام التوجيهيّة محملة بمقصديّة غير مباشرة، حيث خرجت عن أغراضها الظاهرة إلى أغراض كشف عنها السيّاق العام للآية؛ فعلى سبيل المثال، عبّرت بعض الأفعال الكلامية في سورة الإسراء عن قوّة إنجازيّة مباشرة تمثلت في الأمر الحقيقي، وذلك عند الحديث عن التشريع الاجتماعيّ، كالأمر ببرّ الوالدين، وإيفاء الكيل، والنهي قتل النفس، في المقابل، عبرت أفعال أخرى عن قوّة إنجازية غير مباشرة ظهرت في سياقات التحذير والتنبيه، كالنهي عن أكل مال اليتيم مثلا...

والأمر نفسه وجدناه في سورة الأنفال؛ حيث تنوعت الأفعال التوجيهيّة بين:

أفعال عبرت عن مقصديّة مباشرة يُستدل عليها من العلامات البنوية الصريحة، تدعو إلى الصبر في الجهاد وتمكين دين الله تعالى وإعلاء كلمة الحق...، وأفعال ذات مقصديّة غير مباشرة، يمكن التوصل إليها من خلال السياق العام للآية وتمثلت في الحث على قتال الكفار والتنكيل في تقتيلهم...

كما لاحظنا أنّ الآية الواحدة قد تحمل فعلا كلاميّا إجماليا تندرج تحته أفعال تداوليّة صغرى، وقد تستقل الآية الواحدة أن تستقل بفعل كلامي منفرد لا يُربط بما قبله أو بعده، وذلك بحسب ما تقتضيه دلالة السياق أو ما يفيده الانقطاع المعنوي للآيات.

ومن أبرز ما وقفنا عليه أنّ كل قوّة إنجازيّة، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، تنتج أفعالا تأثيريّةً واضحةً يُمكن توقعها بناءً على قوّة الفعل الكلامي وسلطة المتكلّم؛ ولأنّ أفعال القرآن الكريم جميعها أفعال ناجحة بامتياز؛ فقد ارتبط كل فعل بفعل تأثيري يحدث أثرًا حقيقيًّا في المتلقي، وذلك نابع من القوّة التأثيريّة للقرآن العظيم.

أمّا من جهة الأبعاد التربويّة، فقد وجدناها توجيهًا للفكر والنفس والسلوك؛ ففي سورة الإسراء توجهت الأفعال التوجيهيّة إلى ترسيخ الأخلاق الفردية، كالنهي عن الزنا، وتطفيف المكيال، والدعوة إلى البر بالوالدين والإحسان إليهما...، أمّا في سورة الأنفال فقد عبرت الأفعال التوجيهيّة عن أبعاد تربويّة جماعية، ترتكز على ترويض النفس على الاستجابة لله ورسوله، والالتزام بالصبر في مواجهة الأعداء واليقين التام بوعد الله، والتوّكل عليه والثقة بتدبيره؛ فقد تكفّل الله تعالى بعباده الصابرين المرابطين وبث السكينة والسّلام في قلوبهم، بأن النصر بيده وحده، وبشرهم بنصرهم وفوزهم، وعلى الرغم من قلة عددهم أمددهم بالملائكة عوانًا لهم وألقى الرعب في قلوب أعدائهم.

وكل ذلك جاء في سياق تنشئة المؤمن الصالح، الذي يستشعر منة الله عليه، فيظل حامدًا لربه شاكرًا لأنُعمه.

الفصل الثالث:
الأبعاد التّربويّة للاتزاميّات في سورتيّ الإسراء والأنفال

تمهيد:

المبحث الأول: الأبعاد التربوية للالتزاميات في سورة الإسراء

المبحث الثاني: الأبعاد التربوية للاتزاميّات في سورة الأنفال

خلاصة الفصل الثالث:

تمهيد:

الالتزاميّات (commissive) أو الوعديّات أفعال كلاميّة يقصد بها المتكلّم الالتزام طوعًا بفعل شيء للمخاطب في المستقبل، بحيث يكون المتكلّم مخلصا في كلامه، عازمًا على الوفاء بما التزم به، كأفعال الوعد والوعيد والمعاهدة والضمان والإنذار وغيرها واتجاه المطابقة في هذا النوع من الأفعال العالم إلى الكلمات[1].

فهدف المتكلّم فيها هو أن يجعل كلامه(الوعد الذي يتلفظ به) يوافق الواقع، و بعبارة أخرى يمكن تعرف الاتزاميّات بأنّها الأفعال التي يصبح المتكلّم فيها ملتزمًا بالتصرف وفق ما مثله المحتوى القضوي، مثل الوعد: (سأحضر لك هديةً عذا) كما يدخل في باب الالتزاميات الوعد الذي يعقد المتكلّم بينه وبين نفسه مثال قولك: (سأنهي كتابة المقال خلال شهر جوان)[2]، ونستنتج من هذا أنّ الالتزاميات قد تكونا التزامًا من المتكلّم بفعل شيء لنفسه أو لغيره.

وعليه، فإنّ الغرض الإنجازي للالتزاميات هو التزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلّم شيئا في المستقبل، ومنه تشترك الالتزاميات والطلبيات في اتجاه المطابقة، لكن المرجع فيهما مختلف، فهو في الالتزاميّات المتكلّم وفي الطلبيات المخاطَب[3]؛ لأنّ نجاح الفعل الإنجازي_في باب الطلبيات_متوقف على ما يقوم به المخاطَب.

المبحث الأوّل: الأبعاد التربويّة للالتزاميّات في سورة الإسراء

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(1):**

قال تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾.

[1]_ يُنظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص107.

[2]_ ثروت مرسي، في نظرية الأفعال التداوليّة مداخل تأسيسية، ص 50.

[3]_ يُنظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص78_104.

جاء الخطاب القرآني في هاتين الآيتين عبارة عن صورتين لفريقين، الصورة الأولى للفريق الذي يعمل الصالحات، والصورة الثانية للفريق الذي لا يؤمن بالآخرة.

ونلاحظ أنّ **الفعل القولي** ينقسم إلى فعل نطقي (يبشر) (أعتدنا) **ومحتوى قضوي** بشقيه، **المرجع** حالة المؤمنين وحالة الذين لا يؤمنون بالآخرة، الصورة الأولى حققت فعل **إنجازي** التزامي وهو **الوعد**، وهو من الأفعال الكلامية الالتزامية ويكون للخير، مثال ذلك قوله : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[1]، ويعرف بأنّه « كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل»[2]، حيث يتجسد فعل الوعد في هذه الآية وبصورة جلية في ملفوظ ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ حيث يعد الله سبحان وتعالى المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنّ في القرآن الكريم بشارة لهم بالأجر الكبير، فالذين يهتدون بهدي القرآن هم الذين يستحقون الأجر الكبير.

وفعل الوعد هنا وهو ليس فعل قول فحسب، لأن مجرد تفوه المتكلم (الله) بملفوظ الوعد هو إنجاز لفعل الوعد في حد ذاته خاصة إذا كان هذا الوعد صادر من الذي لا يخلف وعده بتاتا، ويعد فعل الوعد هنا فعل إلزامي، وهي الأفعال التي تعبر عن التزام المتكلّم بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل، ويندرج تحت هذا الصنف أفعال الوعد والوعيد والإنذار ...[3]

ويتضمن **الفعل الإنجازي الوعد أفعالا إنجازية** صغيرة تتمثل في التشويق والتسلية، أي تشويق المؤمنين بما ينتظرهم من أجل كبير، وقد جاء ذلك بعدما ذكر القرآن الكريم القصص

---

[1]_ سورة النور، الآية: 53.

[2]_ القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة، القاهرة، (د، ط)، 1988، ص 134_135.

[3]_يُنظر: أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 107.

المهولة لبني إسرائيل وما حل بهم من البلاء وهذا يثير في نفوس المؤمنين الخشية من أن يصيبهم مثل ما أصابهم[1]، فعقب ذلك بفعل التشويق والتسلية بالأجر العظيم.

أمّا الآية التالية فيمكن اعتبارها **فعلا إنجازيًّا** يتمثل في الوعيد الشديد للذين لا يؤمنون بالآخرة ويظهر ذلك من خلال توظيف ملفوظ ﴿**أَعْتَدْنَا**﴾ الذي لم يرد في القرآن الكريم إلّا لتقديم وعيد للكفار* ومنه قوله تعالى في سورة النّساء: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ويرى أبو حيان أن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ جملة معطوفة على ما سبقتها وهي بشارة للمؤمنين ، ووعيد للكافرين[2]، وقال الزمخشري: أن هذه الآية عطف على الآية السابقة وهي عبارة عن «بشارتين اثنين للمؤمنين بثوابهم، وبعقاب أعدائهم»[3]، فقد حملت الآية الواحدة بشارة للمؤمنين بما سيحل بالكفار ونذارة ووعيد للذين لا يؤمنون بالآخرة.

ونستطيع القول إنّ **الفعل التأثيري** لفعل الوعد يتجلى في فرح وسعاد المؤمنين الذين يعملون الصالحات وتعاسة وثبور الذين لا يؤمنون بالآخرة.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الوعيد الشديد للذين لا يؤمنون بالآخرة:**

1_الأبعاد الفكريّة: الذين يعملون الصالحات والذين لا يؤمنون فريقين كالأعمى والبصير لا يستويان أبدًا، وشتّان بين الأجر الكبير والعذاب الأليم، وهذا ما يبث فينا فكرة أنّه لمّا اختلف العمل اختلف الأجور، فالمؤمن العامل للخير السائر على هدي القرآن الكريم يستحق الأجر الكبير أمّا الكافر الناقم فمصيره العذاب الأليم.

---

[1]_يُنظر :ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 40 .

*_ ورد الفعل (أعتدنا) في القرآن الكريم نذارة للكافرين والظالمين حيث ورد حوالي اثنتي عشرة مرة وورد مرةً واحدةً في سورة الأحزاب في وضع الوعد والبشارة للصاليحن.

[2]_ يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص 18.

[3]_ الزمخشري، الكشاف، ج15، ص591.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ بشارة الله للمؤمنين تجعلهم يعيشون في راحة نفسية؛ فالمؤمن المبتعد عن مواطن غضب الله تعالى الساعي لتحقيق رضوانه الصابرالمكابد الصادق المخلص يعيش في سعادة غامرة وهو ينتظر جنّة النّعيم، وعلى العكس من ذلك يعيش الكافر في نصب وحياة مكدة لا يعقبها جزاء حسن وجنّة.

3_الأبعاد السلوكيّة: الابتعاد على الأمور التي تعثر خُطى، والتي تسبب العذاب الأليم، من أهم الخطوات التي تجعل المؤمن يستمتع بوعد الله ؛ ولذلك فمن كان يريد الأجر الكبير وجنات النّعيم فليعمل صالحا، والأجر من جنس العمل، ويختلف الحساب؛ لأنّ الأعمال كانت مختلفة، فمن تحلى بالفضائل واجتنب الرذائل وابتعد عن مواطن الشبهات والشهوات غمره رضوان الله وفضله الكبير.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (2):**

قال تعالى: ﴿**وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾**﴾.

يعبر ملفوظ الآية عن **محتوى قضوي** يتمثل في أنّ كل عمل يقوم به الإنسان سيظهر له يوم القيامة مفصلًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة[1]، فهذا هو الخبر المتحدث عنه، أمّا المرجع فهو خطاب للإنسان والدليل على ذلك الإحالة النصية بالضمير المتصل في (يلقاه) والمتكلّم هو الله والضمير المستتر في﴿وَنُخْرِجُ﴾ إحالة إلى الله (ﷻ) المعلوم من المقام[2] (إحالة مقامية)، ويمكننا القول إنّ **الفعل اللفظي** يكمن في النطق بالجملة الاسمية الأولى والفعلية الثانية، **والفعل الإنجازي** يواكبه قوتين إنجازيتين، **قوة إنجازية مباشرة** يتوصل إليها من خلال البناء الشكلي للآية وهي الإخبار بأنّ كلّ إنسان لديه أعمال يُحاسب عليها يوم القيامة، وأخرى مستزمة وهي المتوخاة من معنى ملفوظ الآية تعبر عن التهديد والتخويف من الكفر وفعل السيئات[3]، أمّا **الفعل التأثيري**

[1]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص472.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص48.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص46.

فيمكن استنتاجه من خلال استثمار الدنيا في فعل الخيرات وحسن الإعداد قبل أن يجيئ يوم القيامة والبعث والحساب فيلاقي العبد ربه بكتاب ملؤه الخطايا والذنوب.

- **الأبعاد التربويّة لفعل التهديد من ملاقاة اللهّ بكتاب يحمل الذنوب والسيّئات:**

1_الأبعاد الفكريّة: كلُّ إنسان يأتي يوم القيامة حاملًا لحسناته وسيئاته في كتاب يلقاه منشورًا أمام أعينه، لذلك فإنّ في قوله تعالى : ﴿**وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا**﴾ فعل كلاميّ يتمثل في التهديد والتحذير من أن يكون الكتاب الذي يلقاه الإنسان يوم القيامة مملوءًا بالذنوب والمعاصي والسيّات، وهذا ما يبيّن لنا بعدًا فكريّا في حكمة الله تعالى وتمام عظمته فهو لا ينسى الذنوب والمعاصي التي يفعلها الإنسان حتى وإذا تناساها هو، فهي مسجلة في سجله يوم الحساب مكشوفةً لا تغادر صغيرةً ولا كبيرةً.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا ما يوقظ مشاعر الخوف والرهبة من ملاقات الله (ﷻ) بكتاب مثقل بأفعال الشرّ والظلم وبالذنوب والمعاصي، فكل هذه الأعمال تأتي يوم القيامة مكشوفةً لا يمكن إخفاؤها، فذلك يوم عصيب تنكشف فيه الخبايا والأسرار[1]، أليس هذا داعٍ للخوف مؤثر في النّفس؟

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ فعل التهديد والتخويف يجعل الإنسان يُحسن ملئ سجله يوم القيامة بالحسنات وفعل الخيرات تاركًا كل الذنوب والمعاصي التي تكون سببًا في جعل سجله مثقل محمل غالبًا كفّة حسناته، فالمحسن من أحسن الإعداد للقاء ربّه، فالأمر يحتاج إلى مكابدة وجاهدة، والله يعطينا المسحات التي يجب علينا استغلالها بما يجعل سجل أعمالنا حافلًا بالخير والعبادة، والإيمان، والبرّ، والعمل الحسن....

[1]_ يُنظر: سيد قطب في ظلال القرآن، ج15، ص2217.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (3):**

قال تعالى:﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾.

ورد في حادثة نزول هذه الآية أنّها «نزلت في الوليد ابن المغيرة، قال لأهل مكة اتبعون واكفروا بمحمد وعليَّ أوزاركم، فنزلت هذه الآية أي: إن الوليد لا يحمل آثامكم وإنما إثم كل واحد عليه»[1]، ويقول القرطبي في معنى الآية : أنّ كل إنسان يحاسب عن نفسه بما فعله من حسنات وسيئات لا عن غيره وثوابه وعقابه من جنس عمله[2] ؛ فالله يحاسب العبد على ما بدر منه هو سواء كان خيرًا أو شرًّا على لا من بدر من غيره، ويستثنى من هذا الأطفال؛ لأنّ إثمهم متعلق بوالديهم[3]، كما أنّ الله تعالى لا يعذب النّاس هكذا دون إنذار «إنما يرسل إليهم الرسل منذرين ومذكرين وهي رحمة من الله أن يعذر إلى العباد قبل أن يأخذهم بالعذاب» [4]؛ فالعالم بالذنب الفاعل له بعدما أُنذر وحُذّر من فعله حتما سيحاسب.

ونلاحظ مما سبق ذكره أنّ هذه الآيات تعبر عن **فعلٍ قولي** ينقسم إلى فعل نطقي يتمثل في النطق بالجملة الشرطية ﴿**مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ...**﴾ **والمحتوى القضوي** (المرجع المتحدث عنه) يتمثل في محاسبة الله للإنسان وأنّها تكون بحسب العمل الذي يقوم به؛ فيحاسب كل إنسان على عمله الذي يقوم به ويحمل وزر ذلك عمّا بدر منه هو، والمقصود بالوزر«الثِّقْلُ المثْقِل والجمع أوزار ومنه: ﴿يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ [5]؛أي أثقال ذنوبهم»[6]؛ فالذنوب

---

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 42.

[2]_المرجع نفسه ، ص42.

[3]_ يُنظر: الرازي، تفسير الرازي، ص 173.

[4]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 15، ص2217.

[5]_سورة الأنعام، الآية: 31.

[6]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص42

كالأثقال تُحمل صاحبها تعبًا ينهك جسمه، لذلك فمن كان عمله خير فهو له لوحده ولا دخل لأحد فيه وإن كان عمله شر فهو له وعلى هذا العمل يثاب أو يؤثم.

أمّا الفعل الإنجازي فيتكون من **قوة إنجازية مباشرة** تمثلت في الإخبار وقوة إنجازية غير مباشرة تتمثل في الوعد، فالله سبحانه وتعالى وعد في هذه الآية أنّ جزاء كل عبد سيكون من جنس عمله وهذا يماثل ما جاء في سورة في فصلت في قوله (ﷻ) :﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

وتأسيسًا على ما سبق، يمكن تصنيف هذه الآية ضمن قسم الالتزاميات أو الوعديات، لأنها تحمل فعل كلامي إنجازي وهو الوعد بالعدل في تقسيم الجزاء والعقاب، «فهداية كل أحد وضلاله لنفسه، لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يدفع عنه مثال ذرة من الشر، والله تعالى، أعدل العادلين، لا يعذب أحدا، حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة »[2]، فهذا ما يمكن أن نسميه وعدًا صادقًا من الله تعالى، فهو يلزم نفسه بالعدل بين عباده وبأن يكون جزاؤهم من جنس عملهم.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الوعد بالعدل في تقسيم الجزاء والعقاب:**

إنّ في بيانه تعالى أنّ كل عبد يحاسب بأعماله التي قدمها في الدنيا ولا يحمل أحد ذنب أحد وأنّه لايعذب الأقوام حتى يبعث فيها رسولا هاديًّا ومصلحًا، وعد صريح منه تعالى بأنّه سيكون أعدل العادلين بين عباده يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿**و ٱنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا**﴾[3]، فما الأبعاد التربيويّة التي يمكن الوقوف عليها انطلاقًا من فعل الوعد؟

1ـالأبعاد الفكريّة:انطلاقًا من فعل الوعد بالعدل في تقسيم الجزاء والعقاب على كلّ إنسان يتضح لنا بعد فكريّ يظهر في رحمة الله تعالى الواسعة بعباده، فهو لا يعذب النّاس إلا بما قدمته أيديهم من شرّ.

---

[1] ـ سورة فصلت، الآية: 46.

[2] ـ السعدي، تفسير السعدي، ص472.

[3] سورة الأنبياء، 47: الآية.

2_ الأبعاد النفسيّة: وهذا ما يجعل العبد المسلم يشعر الطمأنينة والأمان، لأنّ كل أعماله ستكون بين يدي العادل الذي لا يظلم ولا يجور.

3_الأبعاد السلوكيّة: وإذا علم كل شخص أنّ هو الوحيد المسؤول عن أعماله وأقواله يوم القيامة وأنّ الجزاء والعقاب من جنس عمله وأنّ الله أعدل العادليل فإنّ سلوكه سيتسم بالرضا والتسليم لجزاء وعقاب الله، فإن عمل خيرًا سيجده خيرًا وإن عمل شرًّا سيجده شرًّا؛ فأمر المؤمن كلّه بيد الذي لا يجور ولا يظلم فلاأحد يحمل وزر أحد وكلٌّ منا سيُلاقَى بأعماله خيرًا كانت أو شرًّا.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(4):**

قال تعالى: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴿٢٠﴾**﴾.

ورد الخطاب القرآني في هاتين الآيتين عبارة عن صورتين لفريقين الفريق الأوّل هو الذي يريد العاجلة «وهي الدنيا»[1]، وسميّت لسرعة انقضائها فمهما عاشها الإنسان يظن أنه لبث فيها عشيةً أو ضحاها والصورة الثانية هي صورة الإنسان الذي يريد الآخرة، فالفريق الأول جزاؤه جهنم يصلاها مذموما مدحورا؛ وقيل أن هذه الآية «نزلت في المنافقين وكانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة لا للثواب»[2]، **والفعل القولي** للآية الأولى يكمن في النطق بهذه الجملة الشرطية وما تضمته من الرصيد المعجمي وألفاظ وأصوات، أما **المحتوى القضوي** فيتمثل في الحديث عن عقوبة الإنسان العجول الذي يريد الحياة الدنيا؛ فيطلب متاعها وما فيها من لذات[3]، أمّا العطاء الرباني يكون بحس ما يريده الله ولأسباب مختلفة لا بحسب ما يريده الفريق الذي يريد الحياة

[1]_ أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص 28.

[2]_ المرجع نفسه، ص 28.

[3]_ الطبطبائي، تفسير الميزان، ج13، ص 62.

الدنيا [1]، **والفعل الإنجازي** هنا يتمثل في فعل مباشر وهو الإخبار الذي دل عليه ملفوظ الآية البنيوي وفعل **غير مباشر** يتمثل في الوعيدبنار جهنم للإنسان الذي يريد العاجلة، وقد ظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ ومعنى (مذموما مدحورا)؛ أي «مطرودا من رحمة الله مُبعدا عنها»[2]ولما صدر الوعيد من الله (ﷻ) فهو صادق حتما لأن وعد الشرائع ووعديها مختلف عن ووعد ووعيد البشر والفرق أن الله يخبر عن معلوم فيكون الخبر به أمرا صادقا أما وعود البشر فأمرها يختلف[3]، وصِدق الوعيد من أهم أساب نجاح الفعل الكلامي، ونجاح الفعل الكلامي يؤدي إلى حدوث فعل إيجابي التأثير وتمثل هنا في البعد عن ملهيات الدنيا الفانية.

أمّا الآية الثانية -كما رأينا سابقا- تمثل صورة الفريق الذي يريد الآخرة ويسعى لها، قال تعالى:﴿**وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾ بحيث يظهر **الفعل القولي** لها في النطق بالجملة الشرطية **(ومن أراد...فأولئك)** فقد كان وعد الله لهم بالسعي المشكور مشروط «بالإتيان بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى سبحانه عنه»[4]، وفي قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾إحالة شخصية إلى «المريدين الآخرة الساعين لها سعيها»[5]، والمقصود بالسعي المشي السريع، ويُقصد به هنا السعي لتحقيق الأمر بالجدّ والمثابرة[6]، والمعنى سعيهم الجاد في سبيل الفوز بالآخرة.

---

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 59.

[2]_ الشوكاني، الفتح القدير، ص 816.

[3]_ يُنظر: القرافي شهاب الدين أبي العباس، كتاب الفروق، أنوار البروق في أنوار الفروق، ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة،ط1، 2001، ج4 ، ص22.

[4]_ الألوسي، روح المعاني، ج 15، ص 47.

[5]_ الشوكاني، الفتح القدير، ص 816.

[6]_ يُنظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص233.

فهذا الفريق يعده الله بأنه سيكون سعيه مشكورا؛ أي « مقبولا غير مردود، وقيل مضاعفا أي تضاعف لهم الحسنات إلى عشر، وإلى سبعين ...»[1].

وينقسم **الفعل الإنجازي** في هذه الآية إلى **قوة إنجازية مباشرة** والتي ظهرت على هيئة الإخبار المستدل عليه بالجملة الخربية، وقوة إنجازية مستلزمة (غير مباشرة) تتمثل في **الوعد** بالسعي المشكور ، وقد ساهم نظم منطوق الآية في شكل جملة شرطية في بيان وتوح القوّة الإنجازية غير المباشرة (الوعد) وهذا ما يسمى بالوسائل التركيبة المعدّلة للقوّة الإنجازية[2]؛ إي إضافة قوّة تركيبة (نحوية) إلى قوّة منطوق القوّة الإنجازية، **والفعل التأثيري** لفعل الوعد يمكن أن يتمثل في ترك حب العاجلة والسعي بالخير والعمل الصالح نحو الآخرة لأنها هي دار البقاء الأبدي.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الوعد بالسعي المشكور:**

1_الأبعاد الفكريّة:

- ❖ لا ينال الإنسان في هذه الدنيا إلا ما قدره الله له، فالإنسان المؤمن هو الذي يعمل لآخرته دون جزع ولا هلع بقلب مؤمن واثق بربه ينتظر الجزاء الذي أعده الله له وهو الجنة [3].
- ❖ تقابل أفعال الإنسان بالجزاء أو العقاب وهنا تظهر القيمة التربوية «حتى الصحابة الكرام لو أنّهم انتصروا حينما عصوا أمر رسول الله (ﷺ) يوم أحد لسقطت قيمة الطاعة إطلاقا»[4]؛ فمتى قوبلت الأعمال بالمكافئة والعقاب، أدى ذلك لبناء أخلاق قيمية ينتظر فيها الإنسان الجزاء ويخاف من العقاب .

2_الأبعاد النفسيّة:

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج13، ص 49.

[2]_ يُنظر: محمد العبد، تعديل القوّة الإنجازية، ص18.

[3]_ الشوكاني، فتح القدير، ص 816.

[4]_ أحمد حسين الرافعي، تفسير القرآن بالأمثلة والمعاني المعاصرة، القدس، ج2، ص265.

❖ من المتوقع أن لفعليّ الوعد والوعيد في هذا الخطاب القرآني أثر في نفسيّة المخاطب، فوعيد الله (ﷻ) العبد الذي يريد الحياة الدنيا ومتاعها وإيثاره إياها عن الحياة الآخرة، وبيان مصيره بعدها وهي نار جهنّم يخلد فيها مهان مطرود من رحمة الله. فكل هذا يسهم في تحقيق بعد نفسي لدى المخاطب وهو تغيير نظرته للحياة الدنيا وعدم تفضيلها عن الحياة الآخرة، كما يزرع في نفس المؤمن المحتسب الصبر فالدنيا دار ابتلاء والآخرة هي دار الجزاء « فمن فضله الله عزوجل في الدنيا بإمداداته قد يكون محروما أو غير مفضل يوم الدين»[1].

❖ وعيد الله تعالى يؤدي إلى استثارة مشاعر الخوف، فبالخوف « تتأدب الجوارح ويحصّل القلب خشوعا وذلة واستكانة ويسلم الإنسان من الكبر والحسد ويشتغل بالمراقبة والمحاسبة والمجاهدة»[2].

3_الأبعاد السلوكيّة:

❖ الرضا بعطاء الله والصبر في الدنيا انتظارا لعطاء الآخرة:

على الرغم من توعده تعالى بنار جهم لمريدي الدنيا والجزاء الحسن لمحبي الآخرة إلا أنه لم يمنع كلا الفريقين من عطائه تعالى فلم يكن عطاؤه محظورا، أي ممنوعا عنهما والمقصود بالعطاء الرزق فما من مخلوق على وجه الأرض إلاّ أعطاه تعالى قسم ونصيبا في هذه الدنيا على تفاوت بينهم في الرزق، فعطاء الله قائم على التفاضل لا على التساوي، فلم يفرق في ذلك بين كافر ومؤمن، فللكافر عطاء الدنيا وللمؤمن عطاء الدنيا والآخرة .

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(5):**

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾.

[1]_ حمبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، المجلد 9، ص529.

[2]_ سعد بن سعيد الحجري، الخوف من الله تعالى،الكتيبات الإسلاميّة، دار بلنسية،(د، ط)، (د، ت)، ص10.

يُخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنّه إذا أراد هلاك قومًا من الأقوام أمر قادتها ورؤساءها بالطاعة فإذا خرجوا عن الطاعة بالفجور والعصيان دمّرهم وأرسل عليهم العذاب[1].

والأمر موجه لهؤلاء دون غيرهم؛ لأنّهم هم قادة المجتمع إذا حدث منهم الفسق تبعهم عامة الناس ويحدث العكس إذا هم أطاعوا الله، وقد ورد في معنى ﴿أَمَرْنَا﴾ عدة مسائل والتي اختلفت باختلاف القراءات من بينها[2]:

1. أَمَرنا بتحقيق الهمزة ثم الميم المخففة من الأمر بمعنى الطلب.
2. وأمّرنا بتشديد الميم، جعلناهم أمراء مسلطين.
3. أمّرْنا بالتشديد وهي قراءة علي ـرضي الله عنهـ ؛ أي سلطنا.

4.قرأ الحسن وقتادة وأبو حيوة الشامي ويعقوب ونافع وحمادة بن سلمة عن ابن كثير وعلى وابن العباس (آمرنا) بالمد والتخفيف، أي أكثرنا جبابرتها وأمراءها وقد اجتمعت أغلب أقوال المفسرين على أن المقصود هو أمرنا، لأن جميع الأقوال تصب في معنى الطلب.

ونصل بذلك إلى أنّ الفعل الكلامي في الشاهد القرآني يظهر في:

1. **الفعل اللفظي:** يحقق ملفوظ الآية هنا فعلا قوليا حيث اشتمل الشاهد على حروف أبجدية صوتية تتمثل في حروف المعاني: (أن ، من ، في ...) كما تعطينا الآيات تركيبا دلاليا بفضل اجتماع الوحدات المعجمية (قرية، مترفيها، ...) وكل ذلك شكل تركيبا سليما نحويا وصرفيا وعجميا. ويحمل الفعل الكلامي هنا فعل قضوي وهو من تقسيمات سيرل للفعل القولي والمقصود به المرجع والخبر المتحدث عنه (الإحالة، والإسناد أو الحمل) ويقابله الفعل الدلالي في تقسيم أوستين[3]، والفعل القضوي هنا هو الإخبار بأنّ الله إذا أراد أن يهلك قرية أمر مترفيها

[1]ـ يُنظر: الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد2، ص155.

[2]ـ يُنظر: القرطبي، جامع أحكام القرآن، ج13، ص45ـ46، ويُنظر: الطبطبائي، تفسير الميزان، ص64.

[3]ـ يُنظر: هشام عبد الله إبراهيم خليفة، نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، ص109.

بالفسق، والمترفين في كل أمة هم الذين ينعمون بالراحة ويتوفر لديهم المال والخدم وإذا هم لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادا وأشاعوا الفاحشة والفسق وهذا ما يؤدي إلى اختلال ثوابت الأمم وانحلال أخلاقها[1]، فحق عليهم العذاب، أما المقصود بالفسق هو «الخروج عن المقرّ وعن الطريق»[2]، وعند النطق بالمحتوى القضوي لهذه الآيات وما شكلته من رصيد معجمي يتكون الفعل اللفظي.

وهناك مجموعة من الإحالات (النون) في كلمة (أمرنا) الذي يشير إلى الذات الإلهية فالأمر صادر من عنده و(الهاء) في كلمة (عليها) التي تشير إلى القرية والهاء في كلمة (عباده) التي تحيل إلا أنّ العباد هم عباد الله، وعمومًا المرجع الذي يحيل عليه الشاهد هم المترفون الذي فسقوا وعملوا بالمعصية.

2.المحتوى القضوي يظهر في قضية العصيان والفسوق من قبل مترفي القرى.

وينتج عن الفعل القولي فعل آخر متضمن في القول أو فعل إنجازي وهذا ما يميز الفعل الكلامي بأنه ليس فعل قولي فحسب بل هو فعل إنجازي أيضا.

3. **الفعل الإنجازي** ويظهر في الجملة الظرفية والتي تتكون حمولتها الدلالية من:

- **قوّة إنجازية حرفية:** تتمثل في الإخبار، فالله عز وجل يخبر بأنّه إذا أراد إهلاك قرية «أمر مترفيها بالظلم والفسق فيها فحق عليها القول بالتدمير»[3]، ويرى الزمخشري أن الأمر هنا مجازا بالفسق والمعصية يقول: «الأمر مجازًا لأنّ حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2213.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص55.

[3]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص46.

ذريعة للمعاصي وإتباع الشهوات[...]فحق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم»[1] فهم لم يشكروا نعم الله تعالى وإنّما قابلوها بالعصيان والفجور والطغيان.

- **والقوّة الإنجازية المستلزمة:** تتمثل في الوعيد والتوعد المتضمن في الإخبار عن حالهم، نخرج الإخبار عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر ضمني نفهمه من السياق المقامي مما يعكس عدم تطابق بين القوّة الإنجازية الحرفية (الإخبار) والقوّة الإنجازية المستلزمة (الوعيد والتوعد) وجاء في تفسير القرطبي أن الأمر بالطاعة جاء «إعذارا وإنذارا وتخويفا ووعيدا»[2]، ثم يضرب الله مثلا من القرى التي أهلكها قرية نوح والاستفهام هنا (بكم) لم يفد معنى السؤال عن عدد القرون أو القرى التي أهلكها الله وإنّما غرضه الإخبار أنّه قد أهلك من القرون الكثير وكل ذلك تخويف من لأجل أخذ العبرة والاحتراز من الوقوع في نفس ما وقعت فيه القرون السابقة، وفي السياق نفسه يرى ابن عاشور أن المقصود هنا ـوالله أعلم بمرادهـ « تهديد وتخويف للمسلمين حتى لا يقعوا في مثل ما وقعت فيه الأمم السابقة»[3].

وانطلاقًا من كلام المفسّرين وتحللنا للفعل الكلامي يمكننا تصنيف الآية ضمن قسم الوعديات أو الالتزاميّات.

4. الفعل التأثيري:

ولكل فعل إنجازي تأثير يصنعه في المخاطب لكن الفعل الإنجازي في القرآن الكريم صعب التحديد، أي لا يمكننا بيان التأثير الذي سيحصل للمخاطب، لأن القرآن الكريم موجه لعامة النّاس للمؤمن والكافر والملحد لكننا عموما يمكننا التنبؤ بالتأثير الحاصل للفرد المسلم على وجه التحديد دون غيره، والفعل التأثيري المتوقع هنا والذي يمكن حصوله عند تلقي هذا الفعل هو الامتثال لأمر لله بطاعته ولابتعاد عن معصيته حتى لا يحق القول عليه بالتدمير والعذاب.

---

[1]ـ الزمخشري، الكشاف، ج15، ص592.

[2]ـ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص46.

[3]ـ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص53.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الوعيد والتّوعد بإهلاك القرى الفاسقة:**

1_الأبعاد الفكريّة: الترف من أعظم أسباب الفسق، فسبب فسق الولاة والمسؤولين هو ما يعيشونه من ترف ورغد، إلا أنّ ما في أديهم من الطغيان والظلم وما أمدّهك الله به من أسباب القوّة المادية والمعنويّة ما هو إلا تمهيل من الله تعالى؛ فالله يتوعدهم بالعذاب الشديد[1]، ومثاله ما أعطي ليهود بني إسرائيل اليوم من القوّة الاقتصادية والحربية والمالية وغيرها فما هي إلا متاع الحياة الدنيا ليلاقون يوم القيامة أشدّ أنواع العذاب.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ وعيد الله تعالى يُشعر المؤمن بصدق وعد الله وأنّ لكل هؤلاء الطغاة يوم يلقون فيها الله ليحاسبهم على ظلمهم وتجبرهم وعثوهم في الأرض فسادا.

كما أنّ وعيد الله تعالى يورث الفرد المؤمن الخوف من يؤتى منصب مسؤول فيحصل على جميع أنواع الإمدادات المادية والمعنوية ثمّ يكون أهلا بمنصبه فيفسق ويطغى ويتجبر...فكيف سيكون؟

3_الأبعاد السلوكيّة: وإذا سكن الخوف في القلب فكيف سيكون سلوكه؟

إنّ الخوف الذي يسببه وعيد الله تعالى لهؤلاء يجعل لسان المؤمن لا ينطق إلا بما يرضي الله، فقد يربي الوعيد في هذه الآية المؤمن على أن يكون كفؤا بمنصبه يمارسه بنزاهة وعدل وضمير...

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(6):**

قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

ورد الخطاب القرآنيّ في هذه الآية بعد جملة الوصايا المتعلقة بالإحسان إلى الوالدين والبرّ بهما، وكأنّ الكلام استئناف بياني إلى أنّه كل من تمادى في عصيانه لوالديه ثمّ تاب وعاد إلى الله بالندم والتّوبة فإنّه سيغفر له، كما قد يكون الخطاب موجه إلى كل إنسان أذنب في شيء

[1]_ يُنظر: عبد الله بن إبراهيم السادة، ثلاثون مجلسا في تفسير سورة الإسراء، ص 9.

آخر ـغير عقوق الوالدينـ ثمّ عاد وتاب، فالله يغفر له بشرط التوبة والرجوع إليه، يقول الطبطبائي في الميزان: «فمن تاب تاب الله عليه، ومن رجع إلى الله رجع الله إليه»[1] .

ويتكوّن الفعل الكلاميّ هنا من المعنى الاصطلاحي ومن ضمّ مفردات الآية المذكورة سابقًا ﴿كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ ، **والفعل اللفظي** يتمثل في قول كلمات أو ملفوظات الآية ﴿**كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا**﴾ والمقصود بالأوّابين «الراجعين إلى لله عند كل معصية»[2]، والمحتوى القضوي يظهر في مضمون قضية مصير الراجعين إلى الله بالتوّبة والندم.

أمّا **الفعل الإنجازي** فيظهر في الجملة الخبرية التي تتكوّن حمولتها الدلالية من:

قوّة إنجازية حرفية يمثلها الخبر ﴿**كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا**﴾ المتكوّن من (كان) فعل ماضٍ ناقص، واسمها الضمير المستتر وخبرها (غفوارًا).

و**قوّة إنجازية مستلزمة** (ضمنية) تتمثل في الوعد بالمغفرة لكل إنسان أخطأ وقصّر إذا رجع وتاب واستغفر من ذنبه، يقول القرطبي موضحًا ذلك: بأنّ قوله تعالى ﴿**كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا**﴾ «وعد بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة بعد الأوبة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى»[3]، ويظهر **الفعل التأثيري** في التوبة بعد كل ذنب ؛ فليست العبرة بعدم الوقوع في الخطأ ولكن بالتوبة بعد كلّ ذلك.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الوعد بالمغفرة لكلّ من أخطأ ثمّ تابَ وأنابَ:**

1ـالأبعاد الفكريّة: إنّ باب التّوبة من الخطأ والرجوع إلى الله مفتوح في كل وقت، وهذا يربي فينا فكرة عظمة الله تعالى الذي يقبل عباده إذا عادوا وأنابوا؛ فلا يصدهم ويستقبلهم في جميع أحوالهم وكيف ما كان نوع ذنوبهم.

---

[1]ـ الشوكاني، فتح القدير، ص819.

[2]ـ الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن،ج13، ص81.

[3]ـ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص63.

2_الأبعاد النفسيّة: هذا ما يشعر الإنسان بالتفائل بأنّه مهما أخطأ وتمادى في معاصيه فإنّه بيد ربّ غفور رحيم، واسع الفضل والمغفرة.

3_الأبعاد السلوكيّة: وما دامت هذه هي وعود الله تعالى؛ فعلى الإنسان إذا أخطأ وقصّر أن يستغفر من ذنبه ويعود تائبا إلى الله[1] ؛ فالله يحب العبد التائب الأوّاب، فليس العيب أن يخطئ الإنسان ولكن العيب أن لا يعود تائبًا منكسرًا ذليلا إلى ربّه.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(7):**

قال تعالى: ﴿**وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾**﴾.

ورد في سبب نزول الآية أنّ المشركين اقترحوا على رسول الله (ﷺ) معجزات عظيمةمنها أن يقلب لهم الصفا ذهبًا، وأن يزيح عنهم الجبال؛ فأخبره تعالى أنّه إن أجابهم إلى ما طلبوا ثمّ لم يؤمنوا استحقوا عذاب الاستئصال[2]، وقبلها بيان الله تعالى بأنّ ما من قرية كافرةٍ مكذّبةٍ للرسل إلاّ وسينزل بها عقاب بالهلاك في الدنيا قبل الآخرة، وسيكون ذلك قبل وقوع يوم القيامة بسبب كفرهم وعصيانهم[3]؛ فالله يؤخر تكذيبهم وشركهم لأجر غير مسمى.

وذكر سبحانه وتعالى أنّه ترك إرسال الآيات التي اقترحها المكذبون في مكة منها «أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم جبال مكة»[4]، رحمةً منه عليهم ؛لأنه لو أرسلها ثم كذبوا بها لأصابهم مثل ما أصاب الأوّلين؛ فاقتراح الآيات إضافة إلى التكذيب موجب للعذاب الكلي[5]، وضرب الله مثالا للذين كفروا بعد إتيانهم الآيات مبصرة واضحة جلية بقوم ثمود مع نبيهم

---

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص 2222.

[2]_ يُنظر: الوحداني، أسباب النزول، ص 166.

[3]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص461.

[4]_ الشوكاني، فتح القدير، ص829.

[5]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص829.

صالح(عليه السلام)؛ فقد أنزل الله إليهم الناقة العظيمة ومع ذلك كذّبوا بها[1]؛ فحق عليهم أنّه دمّرهم تدميرًا.

ومن خلال ما سبق، يتضح لنا أنّ الفعل الكلامي يتكوّن من **الفعل النطقي** الذي يكمن في النطق بالعبارة السابقة المبدوءة أولا بحرف النفي (إن)، وهي عبارة عن جملة اسميّة، وبالنظر إلى سياق الآية يظهر لنا جليّا أنّ **المحتوى القضوي** يُعبر عن وجود قرى ظالمة سيصيبها عذاب الله قبل يوم القيامة، وأنّ الله لن يُرسل الآيات التي طلبتها بعض القرى خشيةً عليهم من العذاب الذي سيصيبهم إذا هم كذّبوا بها فيقع لهم مثل ما وقع لقوم صالح (عليه السلام) وكل ذلك كان مسطورا؛ أي مكتوبًافي الكتاب وهو «اللوح المحفوظ الذي يذكر القرآن أن الله كتب فيه كل شيء»[2].

أمّا **الفعل الإنجازيّ** فيظهر في قوّة **إنجازية مباشرة** تتمثل في الجملة الخبرية ونستدل عليها من خلال المعنى الإصطلاحي والنحوي، **وقوّة إنجازية غير مباشرة (مستلزمة)** تظهر في وعيد الله بالعذاب الشّديد لكل قرية كافرة[3]؛ فما من قرية مكذبة بآيات الرسل إلاّ وسينزل عليها العذاب والهلاك إمّا بالموت أو العذاب وسيكون كل ذلك قبل يوم القيامة بالتحديد؛ لأنّ الإهلاك يوم القيامة غير مختص بالقرى الكافرة فحسب[4]؛ فهو يُصيب جميع البشر على حدٍ سواء، لذلك فإنّ «تقييد العذاب بكونه (قبل يوم القيامة)، زيادة في الإنذار والوعيد» [5]، وهذا ما زاد في شدّة القوّة الإنجازية، كما يحمل فعل الوعيد معانٍ إضافية تتمثل في التهديد، والتحذير، والتنبيه.

ويمكننا اعتبار الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ**﴾بمثابة **فعل إنجازي ثانٍ غير مباشر** يحمل البشارة للمؤمنين الذين لم يقرحوا الآيات وآمنوا

[1]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص479.

[2]_ الطبطبائي، تفسير الميزان، ص133.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه ، ص 133.

[4]_ يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، ص829.

[5]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 141.

بالله، فترك الله(ﷻ) إرسال الآيات التي اقرحوها إنّما يحمل في مضمونه بشارة ضمنية لهم، فلم ينزل الآيات حتى لا يلحقهم العذاب الذي الذي حلّ بغيرهم، وما يوّضح ذلك قول ابن عاشور: أنّ في الآية «تثبيت لأفئدة المؤمنين»[1]، فكل هذا لم يتم التصريح به في ظاهر الآية، وإنّما توصلنا إليه من خلال ملابسات السيّاق.

وعليه يمكننا القول أنّ ملفوظ الآيات قد عبّر عن:

- **معنى صريح** يتجلى في وجود قوم يعذبهم الله قبل يوم القيامة، وقوم آخرين يؤخر الله عذابهم إلى ما بعد يوم القيامة.
- **والمعنى العرفي** يتمثل في أنّ هناك قوم كذبوا فحق عليهم العذاب وآخرين شملتهم رحمة الله فأخرّه عليهم.
- **المعنى الضمني** يمثل في وعيد الكفّار بالعذاب والهلاك، وبشارة المؤمنين وتثبيت لأفئدتهم.

ويظهر **الفعل التأثيري** في مسارعة الإنابة إلى الله قبل أن يحقّ العذاب والهلاك.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الوعيد بالعذاب الشديد:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ هذا يعطينا فكرة أنّ كل ظالم سيُلاقي جزاءه ولو بعد حين، وأنّ الله قد يؤخر العقاب لأجل غير مسمى بحكمة منه تعالى.

2_ الأبعاد النفسيّة: الوعيد الشديد للقرى الظالمة يبث في نفوس المؤمنين الخوف من الوقوع في الظلم فيلحقهم عذاب الاستئصال، أمّا البشارة فتجعل المؤمنين أكثر قربًا من الله تعالى لله، كيف لا وهو الذي يرحمهم عن سواهم من الكفّار.

3_الأبعاد السلوكيّة: مبادرة المكذبين بالإنابة إلى الله وتصديق رسله قبل أن يُتم عليهم كلمة العذاب ويحق عليهم القول، وهذا ما يمكن أن نطبق على حياتنا اليوم، فقبل أن يفوت الآوان

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ص 143.

ويحق الله كلمته، وجب الرجوع إلى الله والتقرب إليه بشتى العبادات رجاء مغفرة منه وجنة عرضها السماوات والأرض.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (8):**

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾**﴾.

جاء سياق الخطاب القرآن في هذه الآيات كتكمة في تسلية النبي (ﷺ) على افتراء المشركين، ويظهر الفعل القولي هنا منقسما إلى الفعل النطقي المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ...﴾**المرجع:** الرسول (ﷺ)، فالخطاب موجه إليه وضمير كاف الخطاب في (لك) عائد عليه، **الخبر:** إحاطة الله بالنّاس، والمقصود بالإحاطة «إهلاكه إيّاهم»[1]، والمقصود بالنّاس هم مشركو مكّة الذي كذبوا بما حدث لرسول الله (ﷺ) ليلة الإسراء والمعراج وما راءه من شجرة الزقوم ومن الجنة والنار وغيرها من الآيات فما زادتهم إلّا طغيانا وتماديا في الكفر[2].

فقد أحاط الله بالنّاس الذين كذبوا بمحمد ومنعوه من تبليغ رسالته، فأخبره تعالى أنّه مهلكهم فلا يقدرون على منعه.

ومنه يمكننا القول **أنّ الآية دلت على معنى صريح ومباشر وهو الإخبار** والذي تم الوصول إليه انطلاقًا (الفعل القولي للآية والمحتوى القضوي) **، أمّا السّياق فيسفر عن قوّة إنجازيّة غير مباشرة تظهر في تبشير ووعد** للنبي (ﷺ) بأنه قد عصمه من النّاس، وقد دلّ عن ذلك قوله تعالى: ﴿**أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ**﴾ ؛ فإحاطة الله بالنّاس « كانت وعدا من الله لرسوله بالنّصر»[3] فهم تحت قبضته وقهره وغلبته ولا يمكنهم منع الرسول (ﷺ) من إبلاغ رسالة الإسلام، أمّا شجرة الزقوم وكل ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء والمعراج لم تكن إلاّ تأكيد على وعد بالنصر.

[1]_ تفسير القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص110.

[2]_ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،دار القرآن الكريم، ط4، 1981، المجلد3، ص 166.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، ج15، ص 2237.

كما يمكننا القول أنّ في الآية توجيهيّات تمثلت في الدعوة على الصبر في إبلاغ الرسالة ومواجهة كلام المشركين؛ لأنّه القادر على قهر المشركين؛ فالمعنى الضمنيّ الذي أشارت إليه الآية هو « لا تحزن لافترائهم وتطاولهم فسننتقم منهم»[1]، أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في الاطمئنان بوعد الله بالنصر والسير قُدما نحو تبليغ الرسالة دون الخوف من أدية و المشركين؛ فالله هو العاصم، المؤيد، الناصر، الغالب.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الوعيد والتبشير.**

1_**الأبعاد الفكريّة:**الله عظيم، لن يضيع عبده المؤمن العامل على الخير، الساعي إلى فعل الحسنات_وكذلك الرسول(ﷺ)سعى لتبليغ رسالة الإسلام، رسالة الدين الحق_؛ فكل عبد يريد الخير فسبحانه وتعالى سيقيه شر الذين أرادوا به السوء، وسيؤيده بالنصر، ولن يخلف وعدا وعده لمؤمن صابر محتسب؛ فالله مع عبده حين يغيب الجميع ؛ فليكن على يقين.

2_ **الأبعاد النفسية:** إنّ وعد الله بالنصر يُشعر المؤمن بالراحة النفسيّة، والهدوء القلبي، فتهون على المؤمن مصاعب الدنيا مهما بلغت قسوتها، وزادت شدتها، فيئنس بالله، ويطمئن أنّه مادام جردّ قصده لله فسيتولّاه.

3_ **الأبعاد السلوكيّة:** فعلينا أن نتعلّم أسباب وعد الله بالنصر لنبيه محمد ونقتدي بأفعاله حتى يصدق علينا وعد الله بالنصر؛ فالله لن يعد المسلمين بالنصر إلا إذا قاموا بنصر دينهم والقيام بحقه، فحينها ينصرهم الله على عدوهم وييسر أمورهم ويجعل لهم العاقبة الحميدة[2].

التيقن بأن الله معك ما ودعك؛ فعلى المؤمن أن يتيقن من أنّ وعد الله حق؛ وكما وعد رسوله الكريم بالنّصر سينصره سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة، فعليه بالصبر على الابتلاء، على الشهوة، على الظلم...فإن لم تصبر لن تنتصر.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(9):**

قال تعالى:﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

[1]_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص146.

[2]_ موقع: أساب نصر الله للمؤمنين على أعدائهم63 https : binba2 arg sa discussion

بعدما توعد إبليس بأن يظل ويغوي بني آدم إلاّ القليل منهم، أتى الخطاب القرآني في هذا المقام موجه من الله تعالى إلى الشيطان (إبليس) يخبره بأنّ عباده المؤمنين لن يكون له عليهم سلطان ولن تستطيع أن يغويهم، وذكر السعدي في تفسير الآية بأنّ الله تعالى يدفع عن عباده شرّ الشيطان وتسلطه وإغواءه بقيامهم بعبوديته، فيحفظهم من الشيطان الرجيم ويقوم بكفايتهم[1].

ويتكوّن الفعل الكلامي هنا من **الفعل اللفظي** الذي يظهر في النطق بعبارة ﴿**إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾*،وبما تحمله من معانٍ نحوية ومعجمية فهي جملة اسمية منسوخة، ويظهر فيها توظيفًا لعلامة التوكيد(إنّ) للتأكيد على أنّ عباد الله لا يستطيع أن يغويهم إبليس ويتلبس بهم، **والمحتوى القضوي مضمونه** قضيةأنّ عباد الله لا حجة ولا سلطان عليهم من قبل إبليس، أمّا **الفعل الإنجازي** فيتكوّن من حمولة دلالية تنقسم إلى:

قوّة إنجازية حرفية: يمثلها البناء الشكلي للآية جملة اسمية منسوخة مؤكدة.

قوّة إنجازية ضمنية: تتمثل فيبشارة المؤمنين بأنّهم «محروسون محفوظون من الشيطان الرجيم»[2]، والبشارة فعل **كلامي إنجازي غير مباشر** يُصنف ضمن فئة الوعديّات*؛ لأنّ تعالى يَعِدُ عباده الصالحين الذين أطاعوه وعصو أمر إبليس بأنّهم سيكونون محفوظون من وساوسه وتلبيساته؛ وكلّ ما عليهم هو التوكل على الله، فكفى به وكيلا، ومؤيدا، ونصيرا[3]، وما زاد في درجة شدّة القوّة الإنجازية العلامة المعجمية (عبادي) فهي إضافة جاءت لمعنى التشريف

---

[1]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص481.

*_ يمكن اعتبار الآية بشارة للمؤمنين فتُصنف ضمن قسم الوعديات، أو يمكن اعتبارها توبيخًا وتحذيرًا للشيطان وذلك إذا ما تم ربطها بملابسلات السياق وبما سبقها من آيات (حوار الله مع إبليس) فتُصنف حينها ضمن قسم التعبيريّات، وقد آثرنا الأخذ بالأولى وذلك حتى تتناسب وما نريد بيانه في هذا المقام، كما أنّ من معاني (الآية) أنّها تحمل معنى انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها وانفصاله وهذا ما يمكننا من تحليلها دون ربطها بما قبلها أو بما بعدها=ينظر: تفسير القرآن العظيم بالأمثال والمعاني المعاصرة، ج2، ص16.

[2]_ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج8، ص127.

[3]_ يُنظر:المرجع نفسه، ص127.

والتعظيم[1]؛ فقد خص الله تعالى المؤمنين دون غيرهم بأنهم عبادٌ لله وهذا أكبر تشريف لهم، لذلك استحقوا بشارة الله تعالى ووعد، **والفعل التأثيري** المتوقع حدوثة نتيجة للفعل الإنجازي هو الحرص على التحلي بصفات الذين ليس للشيطان عليهم سلطان وهم عباد الله المخلصين.

- **الأبعاد التربوية لفعل البشارة.**

1ـالأبعاد الفكريّة: إنّ وعد الله للمؤمنين بأنه سيعصمهم من شر الشيطان وأنه وليّهم وناصرهم يترك بعدا فكريّا يتجلى في بيان عظمة الله وعدله فهو يعصم ويبطل كيد الشيطان عن عباده المؤمنين المخلصين فحسب وهذا من تمام عدله فمن كان عبدا مؤمنا مخلصا لله فحتما لن يضيع اله ولن يتركه تحت وطأة الشيطان، ولذلك قال تعالى: ﴿عِبَادِى﴾ فقد خص من الناس عباده المخلصين المؤمنين وهذه لإضافة تشريف وتكريم لهم دون غيرهم ومن ذلك أيضا قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿**إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ**﴾ [2].

2ـالأبعاد النفسيّة: على المؤمن الاطمئنان لأنه في رعاية الله وحفظه وفي نفس الوقت عليه أن يحترس من غواية الشيطان ويتحصن من ذلك بالأذكار والاكثار من العبادات، فالشيطان لن يجرؤ على عباد الرحمن، فماله عليهم من سلطان[3]؛ فهم محاطون بحفظ الله ورعايته وأيّ حفظ هذا؟

3ـالأبعاد السلوكيّة: إنّ الذين ليس للشيطان علهم حجة ولا سلطان هم الذين يعدهم الله بحفظهم وحراسته، فلابد من أن تكون صفاتنا مثل هؤلاء فلا تؤثر فينا وسوسة الشيطان، ولا ننصاع وراء شهوتنا، ونكون من الغيورينا على نصيبنا من رحمة الله وحفظه، فكون ممن حافظوا على دينهم وتمسلوا بحبل الله، فحفظهم الله تحت ظله في يوم لا ينفع فيه لا مال ولا بنون،

---

[1]ـ يُنظر: روح المعاني ، ج 15، ص152، وينظر: الميزان،ج13، ص147.

[2]ـ سورة الحجر، الآية: 42.

[3]ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2239.

فكيف لكل ذي عقل سليم أن يضيع مثل هذه العطاء الرباني ؟ ولابد من مواصلة لعن الشيطان، «فالمؤمن لا يتولى الشيطان أبدا ولكنه قد يخدع لوسواسه»[1].

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(10):**

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا٧٢﴾ .

جاء الخطاب القرآنيّ في هذه الآيات عبارة عن **تبشير** للمؤمنين **وإنذار** للمشركين، ويقول ابن عاشور أن هذه الآيات جاءت لذكر حال الناس في الآخرة تبشيرا وإنذارا[2]، فمن تمسك بهدي الله وسار على منهج الإسلام فسيكون فرحا مسرورا، وأما من عمي عن دلائل الهدي فلن يجد من يهديه ولا من يهتدي به[3].

ويظهر الفعل الكلامي أوّلًا في **الفعل النطقي** وذلك بالنطق بالعبارة الأولى والتي تمثلت في قوله تعالى: ﴿**فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦفَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ...**﴾ والعبارة الثانية﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ...**﴾**والمحتوى القضوي** يتمثل ذكر فريقين الذين اتبعوا إمامهم «من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين»[4]، وهم المؤمنين لا يظلمون فتيلا، وهو «الخيط الذي يتوسط النواة»[5]، و(أولائك) إحالة شخصية للذين يقرؤون كتابهم، فهم دون غيرهم وذلك ما وضحه اسم الإشارة بعد فاء جواب (أمّا)[6]، والفريق الثاني

---

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص157.

[2]_ المرجع نفسه ، ص 167.

[3]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2241.

[4]_ الزمخشري، الكشاف، ج15، ص 604.

[5]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2241

[6]_ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص 169.

هو الكافر الذين كان أعمى في الدنيا، ولم يهتدي إلى طريق النجاة والمقصود بالعمى هو عمى القلب وليس عمى البصيرة[1].

ونستطيع القول إنّ هاتين الآيتين تحملان فعلا إنجازيّا غير مباشرٍ يحقق **وعدا ووعيدا** من الله تعالى، ويمكن تصنيفهما ضمن فئة الالتزاميّات أو الوعديات، حيث يلتزم المتكلّم الله (ﷻ) بفعل شيء للمخاطب في المستقبل؛ فالفريق الأوّل وهو الذي أوتي كتابه بيمينه وعده الله (ﷻ) ببشارتهم بالفرح والسرور عند قراءتهم كتب أعمالهم وما دُوّنت فيها من حسنات[2]، كما وعدهم الله بأنّهم «لا يظلمون مقدار فتيل بل يوفون أجورهم تامة كاملة»[3] ونستطيع أن نستثمرة الاستعارة التصريحية في قوله تعالى:﴿**وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾في تقريب الصورة من ذهن المتلقي؛ فأولائك هم الذين يتبعون إمامهم الهادي إلى صراط مستقيم والمهتدون بكتابه[4].

أمّا **وعيد** الله فيظهر في قوله تعالى: ﴿**فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا**﴾ ومعنى هذا أن من كان في الدنيا أعمى عن طريق الحق والهداية فإن جزاءه سيكون من جنس عمله[5]، ويقول الشوكاني (ت 1250هـ) أنّ المراد بالعمى في هذا المقام هو «فاقد البصيرة»[6]؛ فهذه كناية عن الضلال واليأس يوم القيامة ويمكن عدّ هذا زيادة في شدة القوة الإنجازية بحيث تمّ تصوير الوعيد على أشدّ صورة.

فهذا وعيدا للذي كان في الدنيا أعمى بأنه سيكون أعمى في الآخرة بل وأضل عن سبيل الحق ذلك لأنّهم لم يتبعوا إمامهم ومنه يمكننا القول أن الخطاب القرآني عبر عن صورتين

---

[1]_ يُنظر: وهبة زحيلي، التفسير المنير، ج8، ص 141.

[2]_ يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط،ج7، ص 87، والسعدي، تفسير السعدي، ص 482.

[3]_ الطبطبائي، تفسير الميزان،ج13، ص 169.

[4]_ يُنظر:السعدي، تفسير السعدي، ص 482.

[5]_ يُنظر : المرجع نفسه ، ص482.

[6]_ الشوكاني، فتح القدير، ص 835.

لفريقين الفريق الأول هم أهل السعادة أما الثاني فهم أهل الشقاوة، وقد ورد في هذا الخطاب فعليين إنجازيين الأول وعد والثاني وعيد.

والفعل التأثيري يكمن فيمحاولة الفرد المسلم أن يكون من الفئة التي بشرها الله تعالى بالجزاء وبأنها لن تظلم فتيلا، وتجنب أن يكون من الفئة الثانية حتى يكون في الحياة الآخرة فرحا مسرورا.

وبناءً على ما سبق يمكن تقسيم الآية إلى:

- **معنى صريح** يتمثل في أنه يوم القيامة تدعى كل أمة بدينها الذي اتبعته، أمة تقرأ كتابها بيمينها ولا يظلمون ولو بمقدار صغير، وأناس آخرون سيصبحون في الآخرة في ضلال كما كانوا في الدنيا.
- **المعنى الاستلزامي** يتضمن وجود فريقين في الدنيا فريق يعمل الخير ويتبع طريق الهداية، وفريق خالف الطريق المستيم واتبع سبيل الضلال.
- **والمعنى الضمني** يتمثل في وعد وبشارة للدين يقرؤن كتابهم بيمينهم فقراءة الكتاب باليمين دلالة على النجاة والسرور في الآخرة، والوعيد الشديد للفريق الثاني الذي كان في الدنيا أعمى والعمي دلالة على الضلال والحزن والثبور.

- **الأبعاد التّربويّة لفعليّ الوعد والوعيد**

1_الأبعاد الفكريّة: الجزاء من جنس العمل، فمن كثرت حسناتهم وقلت سيئاتهم[1] فأولئك سيقرؤون كتابهم بيمينهم، وأمّا من كان في الدنيا أعمى عن الحق والاستدلال بآيات الله... فهو في الآخرة كذلك أعمى.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ بشارة الله تعالى للذين أوتوا كتابهم بيمنهم واهتدوا إلى طريق النجاة يبث في النفوس المؤمنة الخيّرةالفرح والسرور ، ويزرع في نفوس الأشرار الذي عُمي عن طريق

[1]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص482.

الحق في الدنيا وعملوا السيئات اليأس والقنوط فسيكون جزاؤهم الضلال، والغم، والحزن ، فمن يريد أن يعيش مشهد العمي والضلال في ذلك الموقف العصيب؟

3_الأبعاد السلوكيّة: مادام وعد الله النّاس الذي اتبعوا طريق الهداية بأّنهم يوم القيامة لا يظلمون فتيلا وعلى العكس بالنسبة للذين لم يهتدوا واتبعوا طريق الضلال، فإنّ ذلك يحقق بعدا سلوكيّا يسعى الإنسان من خلاله بأن يكون من الفريق الأول فشتّان بينهما، فعلى الإنسان السعي لعمل الخير وأن يحسن الزرع حتى يحسن الحصاد، يجب أن نسعى لكي نكون من أبناء الآخرة ولا نكون من أبناء الدنيا، فاليوم عمل بلا حساب، وغدا حساب ولا عمل...

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(11):**

قال تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا** ﴿٨٤﴾﴾.

إنّ الخطاب القرآنيّ في هذه الآيات خطاب تعليميّ موجه للرسول (ﷺ) ليُخبر أمّته بأنّ الله تعالى ترك لهم الحرية في العمل، فكل «أحد يفعل ما شاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه، فإن كانت نفسا مشرقة ظاهرة علوية صدرت عنها أفعال فاضلة كريمة، وإن كانت نفسًا كدرة نذلة خسيسة [...] صدرت عنها أفعال خسيسة فاسدة»[1]، والله أعلم بكل هذه النّفوس، فمن كان على طريق الحق سيجازيه بالثواب الجزيل ومن كان أضلُ سبيلا يُنزل به العقاب الشديد.

ويظهر الفعل الكلامي أوّلا في **الفعل النطقي** والمتمثل في قول ملفوظات وجمل﴿**كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا**﴾**والمحتوى القضوي** يظهر في عمل كل إنسان على شاكلته، والشاكلة تعني «الطريق والسيرة التي اعتادها صاحبها ونشأ عليها»[2].

ويمكننا القول إنّ ملفوظ الآية يعبر عن **فعل إنجازي** تنقسم حمولته الدلالية إلى:

قوّة إنجازية مباشرة تمثلها الجملة الإخبرية _بحيث لايعتد بفعل الأمر لسبب بيناه سابقا_بعمل كل إنسان على شاكته وأنّ الله عالم بنية كل أحد.

[1]_ الألوسي، روح المعاني، ج15، ص 150.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 194.

قوةّ إنجازية غير مباشرة تتمثل في التهديد والإنذار وهي من صنف الالتزاميّات، فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير أنّ في قوله تعالى: ﴿**فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا**﴾ «ترغيب للمؤمنين وإنذار للمشركين»[1]، فالإخبار معنى نحوي أوّل والتهديد والإنذار معانٍ تداوليّة ثانية لا تتحدد إلا بمعرفة السيّاق والملابسات المرتبطة بعلاقة المتكلّم بالمخاطب، فلم يأت الخطاب صريحًا مباشرًا بأنّه إنذار للمشركين وترغيب للمؤمنين ولكن إذا ما تمّ ربط ذلك بالسيّاق العام لنزول الآيات وعلاقة المتكلّم بالمخاطب سنتستج ذلك.

أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في العمل الصالح الذي يقود صاحبه للفوز بجنّة النعيم، ويبعده عن جهنّم والسّعير.

- **الأبعاد التربويّة لفعلي الترغيب والإنذار:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ خطاب الإنذار والترغيب يبث فينا فكرة أنّ الله تعالى أنذر عادل في قسمته فلن تذهب أعمال المؤمنين هباءً منثورًا، فموعدهم الجنّة كما لن تذهب أعمال الكفّار وستكون عليهم حسرة يوم القيامة، فالله تعالى عالم بسيئات الكفّار وحسنات المؤمنين.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا يجعل المؤمن يعيش في طمأنينة وراحة نفسيّة، فالمؤمن يستشعر رقابة الله واطلاعه عليه في مختلف أعماله الإصلاحية، أمّا الكفار فسيعيش في خوف ورهبة جرّاء ما ينتظره من عقاب شديد، فهو لم يكن أهدى سبيلا وإنّما كان ضالا ضلالا كبيرًا، فستكون أعماله يوم القيامة كرماد اشد به الريح في يوم عاصف.

3_الأبعاد السلوكيّة: بما أنّ خطاب الله تعالى فيه ترغيب للمؤمنين وإنذار للمشركين، فإنّ هذا يجعل المؤمن يجتهد أكثر فاكثر لتحقيق رضى الله ورسوله،فيكون ربانيًّا في مسيرته وخطواته، أمّا الإنسان السائر في طريق الضلالة فإنّ هذا الإنذار يجعله يبتعد عن كل قول وعمل يغضب الله ورسوله.

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 194.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(12):**

قال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

ورد في حادثة نزول هذه الآية أنّها نزلت تسكيناً لقلب الرسول (ﷺ) حيث أنّه لما سُئل عن الروح وذي القرنين أبطأ عليه الوحي فشق عليه ذلك ونزل عليه، فأنزل تعالى هذه الآية تسكينا له والتقدير: أيعز عليك تأخر الوحي فإنّا لو شئنا ذهبنا بما أوحينا إليك جمعه[1]، أمّا في البحر المحيط فقد ورد أن في الآية تهذيب للرسول (ﷺ) فطاب قلبه عند نزول هذه الآية ولزم الأدب، وفي تفسيرها يذكر القرطبي أنّ المقصود بالذي أوحينا إليك «القرآن ؛أي كما قدرنا على إنزاله نقدر على إذهابه حتى ينساه الخلق[...] لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك»[2]، ويحتمل أن يكون الخطاب موجها لبقية العلماء وخُوطب بذلك الرسول (ﷺ) لأنّ علمه أعظم علم[3] ؛ فيكون المقصود بالوحي العلم الذي منح الله للعلماء ـوهذا الذي سنأخذ به في تحليل الآيةـ.

وبالنظر إلى ما سبق ، يمكن القول إنّ في الآيات فعلا كلاميّا يظهر في **الفعل اللفظي** والمتمثل في النطق بالعبارة السابقة ﴿**وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ**﴾ **والمحتوى القضوي** ويظهر في قضية قدرة الله تعالى على الذهاب بالقرآن كريم، وقد عبر عنه بالموصول (الذي) « تفخيمًا لشأنه»[4] .

أمّا **الفعل الإنجازي** فيتمثل في **قوّة إنجازية مباشرة** تتطابق فيها دلالة العبارة الحرفية مع مقصودها وهي الإخبار بقدرة الله تعالى على الذهاب بالوحي (القرآن الكريم) لكن لا يذهب به فضلا منه ورحمة؛ فقد جعله محفوظًا، ويتأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا**﴾ هذا هو ظاهر الآية، لكن من خلال ما تقدم من بيان لسياق النزول وموضوع ما سبقها من

---

[1]ـ يُنظر: الألوسي، روح المعاني، ج15، ص166.

[2]ـ القرطبي، جامع أحكام القرآن، ج13، ص169.

[3]ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج15، ص 200.

[4]ـ الألوسي، روح المعاني، ص164.

الآيات في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ نستنتج أن ضمني الآيات يعبر عن معنى تداولي آخر وهو **التحذير** من زوال هذه المنّة، والتحذير معنى تداولي لا يتحدد إلا «بمعرفة حقيقة المقام المعين ومختلف الملابسات المرتبطة بعلاقة المتكلّم بالمخاطب وعلاقة الحدث بسائر الأحداث والأوضاع الخاصة أو العامة التي تكتنفه»[1]، ونلتمس ذلك في قراءة ابن عاشور حيث يرى أنّ في الكلام تحذير لأهل العلم؛ فالذي منح العلم قادر على سلبه[2]، وفي نفس المضمون يقول السعدي(ت1276هـ): الذي «تفضل به عليك، قادر على أن يذهب به، ثم لا تجد له رادا يرده»[3]، بينما يرى أبو سهل أنّ الآية «سيقت **لتهديد** غيره ﷺ بإذهاب ما أوتوا ليصدهم عن سؤال ما لم يؤتوا كعلم الروح وعلم الساعة»[4].

ومنه يمكننا القول إنّ **القوّة الإنجازية المباشرة** تتمثل في الاخبار بنعمة الله، **والقوة الإنجازية غير المباشرة** تتمثل في التحذير والتهديد من زوال هذه النعمة؛ فالذي أعطى النعمة يقدر على سلبها، وعليه نستنتج أنّ الفعل التأثيري يتمثل في المحافظة على العلم الذي آتانا الله وحمده وشكره على هذا لئلا تذهب وتزول قال تعالى:﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ﴾ ويقول الزمخشري: «فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما، وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره، ومنته عليه ببقاء المحفوظ»[5].

- **الأبعاد التّربويّة لفعل التحذير والتهديد:**

1ـالأبعاد الفكريّة: إنّ الله سبحانه وتعالى يحذّر من ذهاب نعمته ويهدد من زوالها، فعلى المؤمن إدراك نعمة العلم التي رُزق بها ألا يغتر بكثرة إنجازاته، فإذا أتمّ الله عليه نعمة التفقه في

[1]ـ خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، ص 415.

[2]ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 201.

[3]ـ السعدي، تفسير السعدي، ص 485.

[4]ـ الألوسي، روح المعاني،ج15، ص 166.

[5]ـ الزمخشري، الكشاف، ج15، ص607.

الدين أو غير ذلك من المقامات الصالحة[1]، فإنّ ذلك لابدّ أن يكون سببًا له في زيادة شكره لله بالقول والفعل، فكما منحه تعالى من نعمه وآلائه قادر على سلبها إيّاه في أية لحظة.

2_الأبعاد النفسيّة: وهذا ما يُشعر بالخوف من زوال نعمة قد منّ الله بها، ويخلق في النفس الرهبة من فقدانها.

3_الأبعاد السلوكيّة: وإذا استكان الخوف في النّفس فإنّ المتوقع من سلوكها أن يكون بما يقتضيه أمر الله ورسوله، فيسعى المؤمن لتحصيل رضى الله وأن يشكره على نعمة العلم بتقوى القلب واللسان والعمل وهذا مدعاة للوقاية من الغرور فلا يغتر أحد بنعمة مُنحت له وإنّما عليها أن يقابلها بالشكر، والحمد، والثناء...

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(13):**

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾**﴾.

يأتي الخطاب القرآنّي في هذا المقام في سياق إخبار الله تعالى عن حال الكفار يوم الحشر والبعث وعن جزائهم، فهو سيحشرهم عميًا وبكمًا وصمًّا بحسب حالهم في الدنيا، فقد كانوا عميا وبكما وصما عن الحق[2]، بسبب إنكارهم وتكذيبهم لرسالة الدين الإسلاميّ.

ويظهر الفعل الكلامي للآيات من خلال قوله تعالى: ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ**﴾، والمكوّن من محتوى قضويّ يظهر في حشر الكفار الظالمين غير المهتدين يوم القيامة صمًّا وبكمًا وعميًّا، والمرجع هو الكفّارفالإحالةبالضمير المضمر (هم) تعود عليهم، والفعل التلفظي ينتج انطلاقًا من التلفظ بعبارات وألفاظ الجملة السابقة.

[1]_ يُنظر: أحمد السيّد، معالجة القرآن لنفوس المصلحين، ص12.

[2]_ يُنظر: الزيحلي وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ص188.

أمّا الفعل الإنجازي فيتكوّن من **قوة إنجازيّة مباشرة** تمثلت في الإخبار بالفعل المضارع﴿**وَنَحْشُرُهُمْ**﴾، إلّا أنّ السياق المقامي يكشف عن **قوة إنجازية غير مباشرة** تمثلت في الوعيد والتهديد، يقول أبو حيان: قد جاءت الآيات على سبيل التهديد والوعيد[1]، فالله تعالى يحشرهم يوم القيامة وهم لا يبصرون الأشياء التي تعجبهم بكم لا يتكلمون بحجة للدفاع عن أنفسهم وصم عن سماع ما ينفعهم ، وقيل أنّهم يحشرون على هذه الصفة ليكون ذلك زيادة في عذابهم[2]، **والفعل التأثيري** يظهر في المسارعة إلى التوبة وتحقيق رضا الله ورسوله حتى لا يكون المصير الحشر في النار بهذه الطريقة الفظيغة.

ويمكننا إجمالُ خطوات تحليل الفعل الإنجازيّ في النقاط الآتية:

1.السياق التواصلي: حالة الكفر والإنكار والتكذيب التي يعيشها الكفّار في الدنيا.

2.كفرهم وضلالهم كان بسبب إنكارهم للحق (وجود الله، القرآن الكريم، وجود يوم للحساب والبعث...)

3.من المحتمل إذًا أنّ المتكلّم (الله) يريد شيئًا فوق الإخبار وأنّ الهدف الإنجازي الأوليّ مخالف للهدف الإنجازي الحرفي.

4. سلطة المتكلّم تخوّله بمحاسبة كل كافر بحد وأنكر وكفر.

5. من المحتمل إذا أن المتكلّم لم يكن قصدهم مجرد الإخبار.

6. يعرف المتكلّم أن حالة هؤلاء تقتضي التهديد والتخويف والوعيد.

7.إذًا القصد هو تهديد ووعيد الكفّار لما ينتظرهم يوم القيامة وليس مجرد الإخبار عن الحالة التي سيكونون عليها.

وعليه نلاحظ بأنّ هذا الصنف من الأفعال يتم التوصل إليه بعد القيام بعملية استدلالية تصبح معها البنية اللغوية الظاهرة للملفوظ مجرد ممر أو معبر للوصول إلى الفعل

[1]_ يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص115.

[2]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص179.

الإنجازيّ غير المباشر الذي يقصده المتكلّم[1]، فمن خلال الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المتضمن في القول من الخطوة (1 إلى 7) والسياق والمقام الحالي توصلنا إلى أنّ المتكلّم تكلّم بملفوظات وقصد غيرها ؛ إذا تكلّم بالخبر وقصد التهديد والوعيد نخرج الكلام عن معناه الحقيقي إلى معنى ضمني.

- **الأبعاد التربويّة لفعليّ تهديد ووعيد الكفّار:**

1_الأبعاد الفكرية: لكل كافر ناكر جاحد نصيب من نار جهنّم ولا يتوقعنّ الظالم أنّه لن يُحاسب على ظلمة ولا المشرك على شركه؛ ولا الكفار على كفره؛ ولا تحسبنّ الله غافلا عمّا يفعل الظالمون وإنّما يؤخرهم لأجل تشخص فيه الأبصار؛ فسيحشر الكافر كما كان في الدنيا أعمى عن طريق الحق وأبكم عن قوله وأصمّ عن سماعه...

2_الأبعاد النفسيّة: وإنّ هذا ليُشعر الكفار بالخوف والجزع من لقاء ربّه، ويشعر المؤمن براحة وطمئنينة وسكينة؛ لأنه محقق لعبادة ربّه متبع لسنة نبيّة.

3_الأبعاد السلوكيّة: إذا كان هذا هو مصير الكفار الظالم فعلى الإنسان أن يحذر ونتبه من اتباع خطوات هؤلاء الكفّار الظالمين وأن يقدْم بالعمل والمكابدة لفعل الخير وتجنب الشرّ، واستثمار كلّ نفس وكل تفاصيل اليوم في الشي الذي يحبّه الله ويرضاه؛ لأنّ نزرعه اليوم نحصدهُ غدًا.

المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للاتزاميّات في سورة الأنفال:

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(1):**

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾.

يأتي هذه الآيات في سياق الحديث عن المشركين يوم بدر وما فعله الله بهم من تسليط الملائكة وتحقيق غلبة المؤمنين عليهم، وهنا بيان لسبب ذلك.

[1]_ يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص370.

ويمكننا القوّل إنّ في الآيات فعلٌ كلاميٌّ يتكوّن من المعنى الاصطلاحي من ضم مفردات الآيات السابقة أمّا **الفعل اللفظي** فيظهر في قول كلمات (ملفوظات وجمل) العبارة السابقة **والمحتوى القضوي** يتمثل في المرجع وهم الذين شاقوا الله ورسوله ، أمّا الخبر المتحدث عنه فهو قضية مشاقة الله ورسوله من قبل الكفّار، والمشاققة تعني العصيان والعناد[1] وبأنّ لهم عذاب في الدنيا والمشار عليه (بذلكم)؛ أي الضرب الذي كان من قبل الملائكة الذين أرسلهم الله في في قوله تعالى: ﴿**فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ**﴾[2]، وعذاب في الآخر في قوله تعالى:﴿**وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ**﴾ ،أمّا كاف الخطاب في اسم الإشارة ﴿**ذَٰلِكَ**﴾ فلتنبيه على أنّ الخطاب موجه للرسول (ﷺ) أو لكل سامع أو للكفار[3].

أمّا الفعل الإنجازي فيظهر في العبارة المخططة أعلاه وتتكوّن حمولته الدلالية من:

قوّة إنجازية مباشرة تتمثل الوعد الصريح بأنّ الفئة التي شاقت الله ورسوله وعقوبة ذلك بقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ**﴾ وقوله: ﴿**وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ**﴾أمّا القوة الإنجازية غير المباشرة فتظهر في الوعيد والتهديد لمن يُشاقق الله ورسوله؛ وهذا ما صرّح به أبو حيان في البحر المحيط وفي ذلك جاء في البحر المحيط[4]؛ فالله تعالى لم يصرّح مباشرة بأنّه يتوعد الكافرين الذين شاقوا الله ورسوله وتسسبوا في أديته بأنّهم سيدخلون النّار؛ ولهذا نرى أنّ هذه الأفعال تخالف ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية؛ لأنّ ظاهرها يبدو إخبارًا أمّا القيمة الحقيقية للفعل فلا تدل على ذلك؛ حيث تمَّ التعبير عن فعل الوعيد بملفوظ* خبريّ؛ أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في الحذر من مشاققة الله رسوله؛ لأنّ عقوبة ذلك عذاب في النّار.

---

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص284.

[2]_ يُنظر:المرجع نفسه ، ص285.

[3]_ أبو حيان، البحر المحيط،ج4، ص466.

[4]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص466.

* _والمقصود بالملفوظ هنا إنجاز جملة في مقام محدد؛ أي أنّه نتاج معنى الجملة والمقام أي الملابسات الخارجية=يُنظر: دومنيك مانغو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعوم، الرباط، 2008،ص52.

- **الأبعاد التّربويّة لفعلي التهديد والوعيد:**

1_ الأبعاد الفكريّة: إنّ الوعيد المخيف بعذاب النّار والتهديد بأنّ الله شديد العقاب مشروط بمشاقة الله ورسوله، وهذا ما يربي فينا فكرة أنّ الله لا يعاقب إلّا من ظلم وكفر وتجبّر فجزاء سيئة سيئة مثلها ما يعني أنّ الله تعالى يعامل النّاس بمقتضى العدل والنزاهة التامّة، يُعطي كل إنسان بحسب عمله في الدنيا، فمن كان ظالمًا كافرًا مذنبًا سيكون له نصيب من عذاب النّار والله لا ينسى ذلك.

2_ الأبعاد النفسيّة: يصوّر الفعل الكلامي الوعيدي في هذه الآية حالة الخوف من عذاب النّار، فإذا تذكّر الإنسان أنّ مصير الظالم الكافر عذاب النار جزع وخاف من أن يكون مصيره مشابهًا لذلك.

3_ الأبعاد السلوكيّة: إنّ ذكر الوعيد بأنّ الله شديد العقاب وأنّ مصير الكافر عذاب النّار، يدفع العبد المؤمن إلى العمل من أجل طاعة الله ورسوله وتحقيق مرضاتهم، والحذر من التفريط والتقصير في ذلك.

- **التحليل التداولي للفعل الكلاميّ (2):**

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾**﴾.

إنّ الخطاب القرآنّي في هذه الآية موجه إلى المؤمنين الذين يريدون أو يفكّرون في التولي عن رسول الله (ﷺ) يوم التقائهم مع عدوهم[1]، وقد نزلت الآية بعد وقعة بدر[2].

ويمكن عدّ الآية فعل كلاميّ ينقسم أوّلًا إلى **الفعل النطقي** وهو التلفظ بالجملة المفتتحة (بمن) الشرطية إضافة لشرطها وجملة جواب شرطها **والمحتوى القضوي** المنقسم إلى **المرجع** وهو المؤمنون يوم بدر، **والخبر المتحدث** عنه وهو الفرار يوم عن قتال العدوّ ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ**﴾، فالمقصود بدبره كناية عن الفرار والانهزام.

[1]_ يُنظر: الفصل الخامس، ص335 .

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص287.

أمّا **الفعل الإنجازيّ** فينقسم إلى قوّة إنجازية مباشرة تظهر في الإخبار المقترن بجملة الشرط وجوابها*، أمّا القوّة الإنجازيّة غير المباشرة فتظهر في التهديد الشديد من الفرار يوم التقاء الزحفان والتحذير من ذلك الفعل الشنيع المسبب لغضب الله وسوء المصير وهو الخلود في جهنّم.

والفعل التأثيري يظهر في تجنب الفرار يوم الزحف والسعي لتحقيق رضا الله مغفرته.

الأبعاد التربويّة لفعل التهديد من الفرار

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في تهديد الله تعالى المؤمنين دون غيرهم من التوليّ والفرار عند مواجهة العدوّ يربي فكرة أنّ المؤمن قد يقع في الذنوب والمعاصي، فقد كان المتولين من الزحف أناس من أهل الإيمان وأصحاب رسول الله(ﷺ)[1]، وقد وقع ذلك يوم معركة بدر، ولكن مع وقوع الذنب والخطأ من المؤمنين إلا أنّ ذلك لا ينقص من مقاماتهم الصالحة وأعمالهم الخيّرة، فقد بيّن الله في سورة آل عمران_ التي نزلت بعد سورة الأنفال_ سبب أخطائهم ثم بيّن أنّه عفا عنهم[2] بقوله : ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[3]، وهذا يُبيّن منهج الله سبحانه وتعالى المتزن العادل، فالمؤمن يقع منه الذنب بسبب وسوسة الشيطان وقد يكون ذنبه صغير، فينظر تعالى في سبب ذنبه ودرجته، ثم لأعمال المؤمن الصالحة التي يمكن أن تكون سببًا في العفو عنه.

2_الأبعاد النفسيّة: يربي فينا الفعل الكلاميّ في هذه الآية بعدًا نفسيّا يتمثل في الخوف من الوقوع في الكبائر والذنوب والمعاصي، فحتى وإن كان العبد مؤمنًا إلا أنّ ذلك لن يجنبه من الخطأ، فقد يقع منه الذنب الكبير ودليل ذلك تولي المؤمنين عن الزحف عند قتال العدّو، وهذا ذنب عظيم يُعاقب عليه.

---

*-أسلوب الشرط مختلف فيه عند العرب هل هو خبر أو إنشاء، فقيل إنّه خبر وإنشاء في نفس الوقت، ونفس الخلاف دائر في نظرية أفعال الكلام فقد يحكم على الجملة الشرطية بأنّها خبرية كما قد يكون ظاهرها شرط ومضمونها إنشاء.

[1]_ يُنظر: أحمد السيِّد ، معالجة القرآن لنفوس المصلحين، ص55.

[2]_ المرجع نفسه، ص56.

[3]_ سورة آل عمران، الآية: 155.

3ـالأبعاد السلوكيّة: على المؤمن أن يتجنب الوقوع في الذنوب والمعاصي التي تسبب له الانتقاص من إيمانه، وألا يغتر بدرجة إيمانه وصلاح قلبه؛ فالإنسان خلق ضعيفًا نسَّاءً خطّاءً معرض للانتكاس والفتور؛ فلابدّ له من الدعاء بالثبات، ومداومة الاستعاذة من مداخل الشيطان؛ الذي يتربص بالإنسان المؤمن ويتلبس به لإيقاعه في الذنب؛ فعلى المؤمن أن يحترس من الخضوع له ولا يظنّ البتة أنّه بمأمن عن ذلك.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(3):**

قال تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩**﴾.

بعد التحذير من عصيان الله تعالى والتنبيه من سوء عواقبه، أردف تعالى كل ذلك بالترغيب في التقوى وبيان حسن عاقبتها[1]، وهي مغفرة الذنوب؛ فالخطاب القرآنيّ في هذه الآية يحمل بشارة بتكفير السيئات وغفران الذنوب؛ حيث يجعل الله (ﷻ) لكل مؤمن اتقى ربه أربعة أشياء وهي: بداية «الفرقان وهو العلم والهدى، الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، والثاني والثالث، تكفير السيئات ومغفرة الذنوب [...]، والرابع الأجر العظيم والثواب الجزيل»[2].

ويظهر **الفعل القولي** ابتداءً في النطق بالجملة الإنشائية الندائيّة، ثمّ ما ضمته الجملة الندائية من جملة شرطية متكوّنة من فعل الشرط﴿**إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ**﴾ وجملة جواب الشرط﴿**يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا**﴾، أمّا **المحتوى القضوي** فيتمثل في المرجع وهو المؤمنون؛ فالخطاب موجه إليهم بقوله تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ**﴾ فالكلام نداء اختصاص لهم، والخبر وهو غفران الذنوب وتكفير السيئات للذين آمنوا واتقوا ربّهم.

[1]ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص225.

[2]ـ السعدي، تفسير السعدي، ص315.

أمّا مربط **الفعل الإنجازي** فيظهر في جواب الشرط، بحيث يمكن تقسيمه إلى **قوّة إنجازية مباشرة** تتمثل في الإخبار ويُستدل عليها بقرائن بنوية (فعل الشرط وجوابه) وأخرى غير مباشرة تتمثل في الوعد والبشارة، فالآية مشحونة بوعد الله سبحانه وتعالى وبشارته للمؤمنين بتكفير السيئات وغفران الذنوب بشرط أن يكونوا من الذين اتقوا ربّهم، أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في مسارعة التّوبة إلى الله، لأنّها السبيل في مغفرة الذنوب وتكفيرها.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الوعد بغفران الذنوب وتكفير السيئات:**

1_الأبعاد الفكرية: الله سُبحانه وتعالى يعد عباد المؤمنين المتّقين، بغفران الذنوب وتكفير السيئات، وهذا ما يجعلنا نستنتج أنّ مغفرة الذنوب وتكفير السيئات مرتبطة بتقوى الإنسان، فالقضية إذًا مشروطة بتقوى الله ومنه ينبع وعد ه وبشارته. كما أنّ الوعد الصريح من الله تعالى بفرقان يميّز به بين الحق والباطل وتكفير السيئات وغفران الذنوب في حالة تقواه مهم وضوريّ وذلك حتى يتذكر الإنسان أنّ الله تعالى يعامل النّاس بمقتضى الرحمة والكرم والفضل الجزيل.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا ما يدفع المؤمن للشعور بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله، وعكس ذلك يغشاه الهدود والاطمئنان، كيف لا؟ والله تعالى يقبل توبته ويعفوا عن سيئاته ، فّإذا ما اتقى العبد ربّه فإنّه تعالى واسع الفضل سيجازيه أجر ذلك وزيادة.

3_الأبعاد السلوكيّة: ونتيجة لذلك فعلى المؤمن أن يزيد في إقباله على الله تعالى بمخافته واستشعاره في السر والعلن ومخالفة هواه وتجديد توبته كل حين وبالعمل جاهدًا كادحًا على استصلاح نفسه وقلبه ليرزقه تعالى تكفير الذنوب والسيات و الفراقان الذي ينير بصيرته ويكشف له منعرجات الطريق...[1]

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (4):**

قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾**﴾.

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج7، ص1499

نزلت هذه الآية الكريمة بسبب ما صدر من مشركيّ قريش في جزمهم أنّ القرآن الكريم ليس هو الحقُّ وأنه منزل من عند الله تعالى ونفيهم الإيمان بالآخرة، فبيّن الله أنّهم بشركهم هذا قد استحقوا نزول العذاب عليهم، لولا وجود الرسول الكريم بين أظهرهم أوّلا وتوبتهم ثانيًا.

ويتضح لنا ممّا سبق أنّ **الفعل النطقي** يتمثل في النطق بملفوظ الآية المبدوء بحرف النفي (ما)، أمّا **المحتوى القضوي** فيظهر في الخبر وهو تأمين النّاس من عذاب الله بوجود الرسول الله (ﷺ) بين أظهرهم ثم باستغفارهم[1]؛ أي أنّ وجود الرسول (ﷺ) بينهم واستغفارهم ستكون أمنة لهم من العذاب، قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب: وهما وجود النبي (ﷺ) والاستغفار فلما مات النبي (ﷺ) ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر[2]، ولابدّ من التنويه على أنّه ليس المقصود بالاستغفار هو قول: غفرانك اللهمّ ونحوه... فلا عبرة بالاستغفار بالقول والعمل يُخالفه وإنّما المقصود الاستغفار من الشرك باتباع الإسلام[3].

والمرجع وهو النبيّ (ﷺ) ؛ فضمير المخاطب (أنت) عائد عليه، وقد خاطبه تعالى خطاب الحاضر تكرمة وتعظيما له وضمائر الغيبة (ليعذبهم) (معذبهم) تحيل إلى المشركين الذين أنكروا إيمانهم بالآخرة وبالقرآن الكريم، أمّا الضمير في (هم يستغفرون) فقد اختلف حوله المفسرون فذهب بعضهم إلى أنّه للمسلمين فلا يستغفر الله إلا المسلمين، وذهب آخرون إلى أنّه للمشركين فتقدير الكلام: لم يكن الله معذبهم إذا استغفروا من الشرك ؛أي تابوا منه[4].

وبناءً على ما سبق يتضح لنا أنّ في الآية الكريمة **قوّة إنجازية مباشرة** تتمثل في الإخبار والإبلاغ بطريقة النفي عن عدم تعذيب المستغفرين التائبين الذين يعيشون بين أظهر النبي(ﷺ)،

---

[1]_ يُنظر، تفسير السعدي، ص316.

[2]_ أبو القاسم محمد بن أحمدة بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995، ج1، ص343.

[3]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج10، ص334_ 335.

[4]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص334.

وأخرى غير مباشرة تتمثل في الوعد بأنّ الاستغفار سبب في تقبُّل توبتهم ودفع العذاب عنهم، يقول صاحب التحرير والتنوير: «وعد بأنّ التوبة من الشرك تدفع عنهم العذاب وتكون لهم أمنًا»[1]، كما دلت القوة الإنجازية غير المباشرة عن أفعال كلامية صغرى (تداولية صغرى) تتمثل في **الحث والتحريض** على التوبة والاستغفار، أمّا **الفعل التأثيريّ** فيظهر في مسارعة التوبة إلى الله التي تكون سببًا في مغفر الشرك بالله وما أدراك ما الشرك بالله.

- **الأبعاد التربويّة للوعد بدفع العذاب عن المستغفرين:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في وعد الله سبحانه وتعالى بدفع العذاب عن المستغفرين والمقصود التائبين من المشركين أبعاد فكرية تتمثل في مكانة وفضل الاستغفار؛ فالله تعالى لا يعذب مستغفرًا؛ فالاستفغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب[2]، ولكن الاستغفار المقصود هنا_ كما بيّنا سلبقًا_ليس الاستغفار بالكلام فحسب وإنّما المراد التوبة والإنابة لله.

2_الأبعاد النفسيّة: رحمة الله واسعة تُظل جميع البشر دون استثناء فيبقى الطريق أمامهم مفتوحًا لاتقاء العذاب إذا استغفروا وتابوا[3]، لذلك فإنّ اطمئنان الإنسان بأنّه بين يديّ رب غفور رحيم لهي من بين أهم الأبعاد النفسيّة التي يمكن استنباطها انطلاقًا من الفعل الكلاميّ السابق.

3_الأبعاد السلوكيّة: على الإنسان أن يتيقن أنّ الله سبحانه وتعالى لا يعامل النّاس بالمثل وبأنّ رحمته وسعت كل شيء فعلى الرغم من شرك الكفّار إلاّ أنّه أعطاهم فرصة للتبوية والإنابة ودفع العذاب عنهم، كما عليه أن يدرك قيمةالاستغفار في دفع للعذاب، وبأنّ المطلوب منه الاجتهاد في تحقيق مغفرة الله، ولن يضيع استغفاره وسيكون جزاؤه جنّة النّعيم.

---

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج10 ، ص334.

[2]_ شيخ الإسلام ابن تيمية، الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير،تحقيق إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، دار ابن الجوزي، ط1، 1436، ج3، ص268.

[3]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج10، ص 1505.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(5):**

قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧﴾.

يأتي الخطاب القرآنيّ هنا في سياق الحديث عن الكفّار الذين بدلوا أموالهم في الإنفاق الذي قُصد به صدّ النّاس عن سبيل الله فاستحقوا بذلك الحسرة والخيبة في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة[1]، وقد قيل: أنّها نزلت« في المطعمين يوم بدر، كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر»[2]، والمقصود بالمطعين الكفّار الذين ينفقون أماهم من أجل إطعام الجيوش التي تقاتل المسلمين وهدفهم في كلّ ذلك إبطال دين الله .

ويتمثل الفعل الكلامي في الآيات المخططة، بحيث يظهر **الفعل التلفظي** في النطق بالجملة المنسوخة المكوّنة من (إنّ) واسمها (الذين) وخبرها المقترن بالفاء (فسينفقونها)، وكلّ ذلك كوّن الشرط وجزاءه[3] ، **والمحتوى القضوي** يقسم إلى المرجع هم الكافرين المطعمين يوم بدر، والمرجع وهو الحديث عن حالة المشركين المطعمين يوم بدر وما أعده الله لهم من عذاب أليم، وبيان سبب ذلك بقوله: « ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون» [4]، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إحالة شخصية للفريق الخبيث.

وانطلاقًا مما سبق يمكننا القول إنّ **الفعل الإنجازي** للفوظ الآيات السابقة قد دلّ عن **قوة إنجازية مباشرة** وهي الإخبار بما فعله المشركين يوم بدر من إنفاق لأموالهم وأعزّ مالديهم في سبيل إبطال دين الإسلام وما عاقبة إنفاقهم، وأمّا **القوّة الإنجازية غير المباشرة**

[1]_ يُنظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ص336.

[2]_ الزمخشري، الكشاف، ص538.

[3]_ يُنظر: الألوسي، روح المعاني، المجلد5، ص191.

[4]_ الزمخشري، الكشاف ص538.

فتمثلت في وعيد الله تعالى لهؤلاء الكفار بالعذاب في الدنيا من ضياع المال والهزيمة وذهاب ما أنفقوه هباءً منثورًا، والعذاب في الآخرة بأنّهم يساقون إلا جهنّم[1]، وما دلّ على الوعيد العلامات البنوية من قبيل (يُغْلَبُونَ) (إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ)؛ فجميع هذه الألفاظ ساعدت على بيان أنّ الفعل الإنجازي يتمثل في الوعيد والإنذار والتهديد، وقد استحقوا ذلك بسبب إنفاقهم من أجل إبطال الحق ونصرتهم الباطل، وعُبِّر عن الإنفاق بالفعل المضارع ﴿يُنفِقُونَ﴾ «للإشارة إلى أنّ إنفاقهم حصل في الماضي ويحصل في الحال و الاستقبال» [2]، وهذا من دلالات الفعل المضارع؛ فإنفاقهم لإبطال دين الإسلام وإخماد نوره مستمر وسيستمر ولذلك استحقوا الوعيد الشديد.

أمّا **الفعل التأثيري** فجاء في إطار الترهيب من عاقبتهم في الدنيا والآخرة نتيجة إنفاقهم لإبطال الدين الإسلامي ومحاربة الرسول (ﷺ) وفي ذلك طمأنينة وسكينة لقلوب المؤمنين؛ لأنّ ما يقع للكفار من عذاب فيه نصرة لدينهم.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الوعيد الشديد للكفار أعداء الدّين**

1_الأبعاد الفكريّة: وهذا يعلّمنا أنّ من نصر غير دين الله استحق الخزي والعذاب الأليم، كما يوضّح لنا أنّ المنتصر والغالب هو دين الله؛ فمهما أنفقه الكفّار من أموال الدنيا ومن ذهب وفضة ومن أعزّ ما لديهم في سبيل صدّ المسلمين عن دين الله «سينفقونها لتضيع في النهاية وليُغلبوا هم وينتصر الحق في هذه الدنيا»[3]، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة المشريكن هي السفلى.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا ما يجعل المؤمن يعيش في هدوء وراحة واطمئنان على دينه وبأنّه مهما بذله الكفّار من جهد ومال في إبطاله لن يُبطل وسيظل قائما إلى يوم قيام الساعة، لكنّ هذا لا يمنع من محاولته في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه والتضحية في سبيله.

---

[1]_ وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ص336.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص340.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1507.

3_الأبعاد السلوكيّة : إنّ ما استحقهم الساعين لإبطال دين الله من إنذار وعييد شديد بجهنّم، يجعل المؤمن يتحرك لإعلاء راية الله، ويقابل الباطل بالكفاح والجهاد، فحتى اليوم مازال أعداء الدّين ينفقون الأموال لنصرة غير دين الله بتشيع الرذيلة والكفر والعصيان، فإلى متى يضل المسلم مكتفّ اليدين؟

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(6):**

قال تعالى:﴿**إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾**﴾.

يأتي الخطاب القرآنيّ في هذه الآية في سياق ما قاله المنافقون والذين في قلوبهم مرض عن المسلمين واغترارهم بدينهم الإسلام؛ حيث خرجوا في معركة بدر وهم أعداد قليلة لواجهة جيش كبير من الكفّار[1]، بنية النصرة والغلبة. فأقوال هؤلاء باطلة؛ لأنّ المسلمين قد خرجوا وهم متوكّلون على الله ومن يتوكّل على الله فهو حسبه لذلك فإنّ الآية جاءت «كعلة لخيبة ظنون المشركين؛ أي أنّ الله خيب ظنونهم لأنّ المسلمين توكلوا عليه وهو عزيز لا يغلب»[2].

وعليه نلاحظ أنّ في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾فعل كلامي يتمثل في **الفعل اللفظي** وهو قول ألفاظ وكلمات هذه العبارة المتكوّنة من جملة الشرط ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ**﴾ وجواب الشرط المقترن بالفاء في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم**﴾

ومحتوى قضوي يظهر في القصية المعبّر عنها وهي أنّه من يفوّض نفسه إلى الله «ويثق به ويلجأ إليه فهو حسبه وناصره ومؤيده»[3].

أمّا **الفعل الإنجازي** فيظهر في **قوّة إنجازيّة مباشرة** تظهر انطلاقًا من بنية الفعل الكلامي الشكلية وهي الإخبار وأخرى مستلزمة تمّ إنجازها انطلاقًا من القول المضمر الذي قصده المتكلّم (الله سبحانه وتعالى) وهو الوعد الصريح بأنّه من تمسّك به واعتمد عليه نصره وحقق غلبته؛ فهو

---

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 9، ص38.

[2]_ المرجع نفسه، ص38.

[3]_ الزحيلي، التفسير المنير ، ج5، ص376.

الذي يكوّن أسباب النصر من حيث يجهلها البشر[1]؛ فقد خرجت القوّة الإنجازية عن كونها أقولًا إلى أفعال أو أعمال، وذلك عندما صدرت من متكلّم(الله سبحانه وتعالى) الذي يمتلك سلطةً تخوّله بأن تتحوّل كلماته من مجرد أقوال إلى أفعال، وقد تحوّلت هنا إلى وعد صريح ثابت لا يُخلف. أمّا **الفعل التأثيري** فيكون في التوّكل على الله والثقة في تدبيره.

- **الأبعاد التربوية لفعل الوعد بالنصر لمن توّكل على الله**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ الفعل الكلاميّ المتمثل في الوعد بالنصر لمن توّكل على الله واعتمد عليه يُبيّن لنا أنّ سبحانه وتعالى عزيز لا يذل من التجأ إليه حكيم لا يضيع من وثق بتدبيره[2].

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ وعد الله سبحانه وتعالى بنصره من توّكل عليه من المؤمنين يبث في نفوسهم طمئنينة وسكينة، يقول سيد قطب: «هذا ما تدركه القلوب المؤمنة وتطمئن إليه، وما هو محجوب عن القلوب الخاوية فلا تحتسب حسابه»[3]؛ أي أنّ هذا القول مما ترتاح إليه القلوب المؤمنة بالله، لأنّه بمثابة البشارة لهم بتأييد (ﷻ) لهم في حين القلوب الخاوية وغير المؤمنة بالله وبقدرته وغير المتوكلة عليه فإنّ هذا لا يبث فيها شيئًا.

3_الأبعاد السلوكيّة: وإذا كان النصر مقترن بالتوّكل على الله، فعلى المؤمن أن يتوّكل عليه في كلّ أموره صغيرة وكبيرة، فمادام الله قد وعد بهذا وهو الذي لا يُخلف وعده، فإنّ المؤمن الصالح يجب أن يكون متوكلا على ربه الذي لن يخيبه فهو العزيز الذي لا يعلب والحكيم لا يقول للشيء كن فيكون.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(7):**

قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٥٣ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝٥٤**﴾.

---

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص38.

[2]_ يوسف القرضاوي، الصبر في القرآن، ص54.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج10، ص1533.

إنّ الخطاب القرآنيّ في هذه الآيات يتحدث عن النعم التي أنعمها تعالى على قريش من سعمة ومال وأولاد ورفاهية في العيش وقيل من إرسال محمد (ﷺ) فيهم ليعزّهم بالإسلام... فاستبدلوا كلّ ذلك بالجحود وبالطر والكفر عوض الشكر والحمد فبدلّ الله ما هم عليه من نعم بالنقمة في الدنيا وبالعقاب في الآخرة[1]؛ فنتيجة تغييرهم ما هم فيه من النعم بأنفسهم استحقوا العذاب والهلاك وهو ما حلّ بالأمم التي سبقتهم إلّا أنّهم أقوام لا يعتبرون بغيرهم.

ويتكوّن الفعل الكلامي هنا من **الفعل اللفظي** وهو قول كلمات من قبيل﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا...**﴾ (ذلك) مبتدأ وخبرها (بأن الله لم يك)، **والمحتوى القضوي** وهو مضمون القضيّة التي قصدها المتكلّم وهي العذاب والهلاك الذي استحقه من استبدل شكر نعم الله بالكفر؛ فلم يكن تعالى مغيّرًا حال قريش و أن يسلبهم ما أنعمه عليهم إلّا بسبب أنّهم غيّروا ما كانت عليه نفوسهم؛ فالأصل أن يكونوا قومًا شاكرين لنزول محمد (ﷺ) رسولًا إليهم لكنّهم كذّبوه وعادوه ومن تبعه من المؤمنين فوجه إليهم نبال النكال والعقاب[2]، واستحقوا تحوّل النعم إلى نقم، وتحيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما حلَّ بهم من العذاب والضرب وقيل إشارة لأهمية الخبر المتحدث عنه[3]، وفي الحالة الأولى يمكننا القول إنّها إحالة نصيّة؛ لإشارتها لما ذُكر داخل النّص (العذاب والضرب).

ونستنتج من خلال ما سبق أنّ في الآيات تهديدًا وإنذارًا من الله تعالى للذين قابلوا نعم الله العظيمة سواء كانت مادية أو معنويّة بالكفر والعصيان ؛ بتغيير ما أنعمه عليه إلى نقم في الدنيا وعذاب في الآخرة؛ مثلما فعل بآل فرعون ومن سبقهم من أمم.

وعليه يمكننا القول إنّ الفعل الإنجازي يتكوّن من الجملة الخبرية والتي تتكوّن حمولتها الدلالية من:

---

[1]_ يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط،ج7، ص502

[2]_ يُنظر: الألوسي، روح المعاني، ج10، ص216.

[3]_ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ص417، والشوكاني،الفتح القدير، ص545 وابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص45.

قوّة إنجازيّة مباشرة تتمثل في الإخبار بتغيير نعم الله تعالى إلى نقم على الذين يغيّرون ما بأنفسهم من شكر وحمد إلى كفر وجحود وبطر، وأخرى **غير مباشرة** تظهر في الوعيد والتهديد والإنذار على طريقة النفي (لم يك) وباستخدام (حتى) التي تفيد الغاية؛ فالله لا يغيّر ما أنعمه عليهم إلى غاية إرسال الرسل وتبليغ الدعوة ثمّ إذا أصرّوا في الكفر غيّر حالهم[1].

وعليه نلاحظ بأنّ ضمنيَّ الخطاب يُقصد به تهديد وإنذار لأولائك الذين يستبدلون نعم الله وآلائه بالكفر بدل الحمد والشكر، والله لا يقابلهم بهذا إلا إذا كانوا هم سبّاقين بالكفر وبعدما يعطيهم فرصة للهداية، والخطاب ليس لقوم قريش فحسب، وإنّما لجميع الأمم السابقة واللاحقة التي تستبدل آلاء الله بغير الحمد والشكر، أمّا في قوله تعالى:﴿**كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ**﴾ ورد لغرض «تقرير الإنذار والتهديد» [2]، فبذكر أمثلة عن الأمم التي أصابها عذاب الله تعالى نتيجة تغييرها ما بنفسها زيادة وتأكيد في الإنذار كما يمكن عدّ هذا من الوحدات المعجميّة الدالة على وظيفة حجاية تساهم في تعديل القوّة الإنجازية. كما يمكننا القول أنّ في الآية فعل ضمنيّ آخر يتمثل في البشارة والوعد للعبد الذي لايُغيّر ما بنفسه؛ أي يُقابل آلاء الله بالحمد والشكر لا بالكفر والبطر؛ فالذي لايُغيّر ما بنفسه (يستبدل الشكر بالكفران) لن يُغيّر ما أنعم عليه بالنقم وإنّما تغيّر على الذين بادروا بتغيير تلك النعم فجحدوا وكفروا.

أمّا **الفعل التأثيريّ** فيظهر في الانتباه من سلب النعمة والحرمان منها والعمل على الحفاظ عليها ورعايتها وعدم تغييرهاقبل أن تُستبدل بنقم في الدنيا وعذاب في الآخرة.

- **الأبعاد التّربويّة للتهديد والإنذار بزاول نعم الله:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في الفعل الإنجازيّ المتمثل في التهديد والإنذار بسلب النعم وزوالها لناكرها وجاحدها يبيّن لنا أبعادًا فكريّة منها أنّ زوال النعم يكون بسبب الكفر والفساد وسوء الأخلاق[3]، فمن كان هذا هو دأبه استحق سلب النعمة وفقدانها.

---

[1]_يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص45.

[2]_ المرجع نفسه، ص46.

[3]_ الزحيلي، التفسير المنير، ص381.

كما يوّضح لنا التهديد والإنذار أنّه «تعالى لا يبتدئ أحدا بالعذاب والمضرة وأن الذي يفعله لا يكون إلّا جزاء على معاصي سلفت»[1]؛ فمن حسنت أفعاله وجملت أخلاقه فلا يمكن أن تلحقه مضرة الله تعالى، وهذا من تمام عدله وقسطه ورحمته وإحسانه[2]

كما يمكننا القول إنّ الإنذار بزاول نعم الله والوعد ببقائها قائم على التغيير الواقعي في حياة النّاس في قلوبهم ونواياهم وسوكهم وأعمالهم وأوضاعهم التي يختارونها لأنّفسهم[3]؛ فإن كانت خيرًا استحقوا بقاء النعم ودوامها وإن كانت شرًّا استحقوا زوالها وسلبها.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا ما يجعل العبد المسلم يعيش في هدوء وطمأنينة دائمة؛ لأنّه في كنف دين إسلاميّ مطلق العدل لا يُظلم فيه عبد، الله قال تعالى:﴿**وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ**﴾[4].

3_الأبعاد السلوكيّة: على الإنسان أن ينتبه من أن يسلبه الله نعمة من نعمه كالصلاة وحسن الأخلاق والعبادة والطاعة...، فهذه من أعظم آلاء الله التي لا يمكن أن يعرف قيمتها إلا متذوق حلاوتها والمسلوب منها يعيش في حرمان وفي هم وغم، لذلك على المتنعم بها أن يكون شديد الحرص على الثبات وعدم تضييعها، ويكون ذلك باتباع طريق الهداية وعدم الابتعاد عنها.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (8):**

قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٧١**﴾.

---

[1]_ أبو حيان، البحر المحيط،ج7 ص502.

[2]_ يُنظر: الزحيلي، ص381و السعدي، ص320.

[3]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج10، ص 1535.

[4]_ سورة آل عمران، الآية: 182.

ورد في حادثة نزول هذه الآيات أنّها نزلت «في أسارى يوم بدر، ومن جملتهم، العباس عم الرسول (ﷺ) فلما طُلب منه الفداء، ادَّعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يسقطوا عنه الفداء، فأنزل الله تعالى هذه الآية جبرا لخاطره ومن كان على مثل حاله» [1] فإذا علم الله سبحانه وتعالى ما في نفوس الأسرى من خلوص إيمان وصحة نية سيؤتيهم خيرًا من الفداء الذي يُؤخذ منهم بعد أسرهم، فإمّا أن يخلفهم في الدنيا أضعافه أو يثيبهم في الآخرة[2].

أمّا الخطاب القرآني في هذا المقام فهو موجه إلى النبي (ﷺ) وذلك بالفعل التوجيهي الانتباهي المباشر وبمقصدية مباشرة، فلفظة يا (أيّها النبي) تحمل معنى النداء إلى النبيّ، وعند النطق به وما بعده من ألفاظ وكلمات يتشكل **الفعل اللفظيّ**، أمّا **المحتوى القضويّ** فيتمثل في المرجع وهو الأسرى؛ فالخطاب بضمير الغائب إحالة لهم، والخبر المتحدث عنه هو إيتاء الأسارى خيرًا من الفداء الذي سُلب منهم.

وعليه نحلاظ أنّ ملفوظ الآية يحمل **قوّة إنجازيّة مباشرة** تمثلت في الأمر الحقيقي، بفعل الأمر (قل) الذي سبقه نداء؛ فوردت هذه الأفعال (النداء بلفظة (يا) النداء والمنادي (أيّها) و(ها) للتنبيه إضافة إلى المكون الاسمي (النبيﷺ) + الأمر بالفعل (قل).

وعليه فإنّ هذا هو المدلول المباشر لملفوظ الآية، إلاّ أنّ المعنى غير المباشر قد دلّ على فعل كلاميّ ينتمي إلى قسم **الوعديات**، بحيث تظهر **قوته الإنجازية في الوعد**؛ إذ لم يكن المقصود من الأمر السابق الأمر الحقيقي بالقول كما لم يُقصد بالنداء دعوة المخاطب للانتباه، وإنّما ورد تكريمًا وتشريفًا لعو مرتبة الرسول (ﷺ) ، إضافة إلى أنّه لم يدعُه باسمه بل بصفته ولم يكن هذا لأحد من الأنبياء غيره، فم يأت الخطاب مباشرة للأسرى وإنّما ورد على شكل خطاب للرسول (ﷺ) بإخبارهم.

[1]_ السعدي، تفسير السعدي، ص 323.

[2]_ يُنظر: الزمخشري، الكشاف ، ص 420.

وعليه نلاحظ أنّ المقصود هو الوعد بأن يُؤتي الأسرى خيرًا ويغفر لهم بشرط أن يكون في أنفسهم خيرًا، والمراد بالخير هو محبتهم للإيمان وما يترتب عليها من الإسلام[1]، فالوعد بتعويضهم خيرًا من الفداء الذي أُخذ منهم ومغفرة ذنوبهم يتحقق بما في أنفسهم، وونلاحظ بذلك أنّ الفعل الإنجازيّ (الوعد) مبنيّ على جملة الشرط وجوابها. ومازاد في بيان درجة القوّة الإنجازية صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الدالة على «قوّة المغفرة وكثرتها»[2]، وهذا ما يُوحي بتحقق فعل الوعد بالمغفرة ؛ فالله تعال الله تعالى واسع المغفرة غفور رحيم بعباده. **والفعل التأثيري** يظهر في تحسين النيّة، فعليها يحصل الخير والمغفرة.

أمّا في قوله تعال: ﴿**وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ**﴾ فهنا بشارة ووعد لرسول الله (ﷺ) والمسلمين بأنّ الأسرى لن يغلبوهم، وتوّعد للأسرى بأنّهم إن يخونوا وينكثوا عهدهم مع الرسول(ﷺ)سيتمكّن منهم كما تمكّن منهم من قبل، وكل هذا من قبيل القوّة الإنجازيّة غير المباشرة؛ حيث لم يُصرح الله تعالى باللفظ مباشرة بأنه يعد رسول والمسلمين ويتوعد الأسارى لكن ذلك يُفهم من خلال سياق الخطاب.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الوعد بالمغفرة والخير الكثير:**

1_ الأبعاد الفكريّة: إنّ وعد الله تعالى بالخير الحسن والأفضل ومغفرة الذنوب لولائك الأسرى الذين أُخذ منهم الفداء يوم بدر يصوّر لنا رحمة الله تعالى بعباده جميعهم حتى المسرفين في الذنوب الغارقين في الخطايا إن هم أرادوا التوبة؛ فالخطاب ليس للأسرى فحسب وإنّما هو لجميع النّاس الذين إن يعلم الله في قلوبهم ونياتهم خيرًا يؤتهم أفضل وأحسن مما سُلب منهم؛ فالإنسان إذ ما أخلص النيّة لله تعالى وتاب من ذنبه وجد الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة وذو رحمة عظيمة ليس كمثلها شيء في الأرض ولا في السماء؛ فالمهم أن يكون العبد مُخصًا تقيًّا صالحًا كما يريده منه الله وحتمًا سيكون له الله تعالى فوق ما يريد.

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص80.

[2]_ المرجع نفسه، ص81.

2_ الأبعاد النفسيّة: إنْ علم الله تعالى أنّ في نفس المؤمن خيرًا ونيّة طيّبةً سيؤتيه العوض بالذي هو خير وأفضل بكثير، وهذا ما يدفع العبد المؤمن إلى الاطمئنان وعدم الخوف من موقوعه في الخطأ، فإن كانت نيّته التوبة والرجوع عن الذنب فإنّ الله سيغفر له، فليس الخطأ الوقوع في الذنب وإنّما عدم الرجوع منه.

3_ الأبعاد السلوكيّة: إنّ وعد الله القائم على شرط إصلاح ما في القلب والظن به خيرًا، هذا ما يجعل المسلم يسعى جاهدًا لإصلاح ما في قلبه ولفعل الخير واجتناب الشرّ وتعجيل توبته، ليؤتيه تعالى خيرًا فوق الخير الذي أحسن به الظنّ بالله.

خاتمة الفصل الثالث:

إنّ المتأمل في النماذج المحلّلة سابقًا يجدها مندرجة ضمن صنف الالتزاميّات أو الوعديّات بتعبير سيرل وهي تلك الأفعال التي يلتزم فيها المتكلّم بتحقيق أمر ما للمخاطب في المستقبل، وقد تجلت هذه الوظيفة بوضوح من خلال الآيات المدروسة؛ إذ حملت دلالات صريحة أو ضمنية على الوعد والوعيد والتهديد والترغيب وكلها أفعال تعبّر عن التزام المتكلم بمضمونها وتدخل في نطاق الأفعال الالزاميّة.

كما لاحظنا أنّ غالبية هذه الآيات قد كوّنت أفعالا كلاميّة متكاملة اجتمعت فيها العناصر البنوية والدلالية والإنجازيّة والتأثيري، وهي من مقومات الفعل الكلامي الناجح، وقد توصلنا لتصنيف هذه الأفعال الكلاميّة ضمن الالتزاميّات السياق العام والإحالات الداخلية والعناصر التداوليّة غير الملفوظة التي دلت على مقصدية المتكلم.

وقد تبيّن لنا أن الالتزاميّات قد ظهرت تارة بشكل مباشر، حيث أفصح شكلها البنوي عن دلالتها المقصودة، وتارة أخرى بشكل غير مباشر؛ بحيث بدأ الخطاب في ظاهره إخباريّا أو أمريًّا لكنه يحمل في مضمونه وعدًا أو وعيدًا، يتضح من خلال السياق وسلطة المتكلم الله (ﷻ) على التأثير في السامع.

وقد تنوعت أفعال الكلام الالتزاميّة في المبحثين الأول (سورة الإسراء) والثاني (سورة الأنفال) بين وعيد بالمغفرة والأجر الجزيل، وبين تهديد ووعيد بالنّار والعذاب الشديد، فكان الصنف الأوّل للتائبين المنيبن والحامدين الشاكرين، وكان الصنف الثاني للمشركين وأعداء الدّين.

وقد بيّنت هذه الأفعال أبعاد تربويّة عميقة، تسهم في بناء منظومة أخلاقية متكاملة؛ إذ تدفع الفرد للسعي في طاعة الله، وتجنب معصيته، وتحقيق التوازن بين الخوف والرجاء، وهي أفعال تسهم في تكوين شخصية المسلم المصلح الذي ينطلق من تعاليم الدّين الإسلامي والقرآن الكريم في إصلاح مجتمعه.

الفصل الرابع:
الأبعاد التّربويّة للتعبيريّات في سورتيّ الإسراء والأنفال.

تمهيد:

المبحث الأول: الأبعاد التربوية للتعبيريات في سورة الإسراء

المبحث الثاني: الأبعاد التربوية للتعبيريات في سورة الأنفال

خلاصة الفصل الرابع:

تمهيد:

تعدُّ التعبيريّات، أو التبيينيّات، أو الإفصاحيّات (Expressive) من بين الأصناف الأساسية في تقسيم سيرل لأفعال الكلام، وتهدف إلى التعبير عن حالة نفسيّة لدى المتكلّم، ولا يمكن تطبيق اتجاه مطابقة في هذا النوع من الأفعال[1]؛ لأنها لا تسعى لجعل الكلمات تطابق العالم ولا العالم يطابق الكلمات، إنّما غرضها هو التعبير عن حالةٍ شعوريّةٍ فحسبُ، وهناك من أطلق عليها مصطلح التبيينيات والإفصاحيّات؛ لأنّها تبين وتفصح عما يريده المتكلّم من شكر وثناء ومدح، وذم ،وتعزيّة وتعظيم، وتمجيد أو تحقير...

لكن يجب التنبيه -في سياق التعامل مع الانفعالات الواردة في الخطاب القرآني- إلى ضرورة الحذر في تأويل هذه الانفعالات المنسوبة للذات الألهية؛ لأنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، والاختلاف بين كلام الله وكلام البشر كالاختلاف بينه وبين البشر؛ فشتّان بينهما، فيجب تنزيهه عن الانفعالات النفسيّة البشرية مثل: الغضب، والحزن، والفرح ...[2]إذ إنّ هذه الإنفعالات تعكس نقصا أو تأثرا لا يليق بالمولى سبحانه.

أمّا الانفعالات التي جاءت في القرآن الكريم فقد وردت من أجل مخاطبة النّاس بما يفهمونه ولتقريب الفهم لديهم وليس كون هذه الصفات مما يتصف بها الله تعالى على النحو البشري[3]، وهذا ما أكدّه سيبويه(ت180هـ): «ولكن العباد إنّما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون»[4].

---

[1]_ يُنظر: جوليان لونجي وإيليا سرفاني، قاموس التداوليّة، ترجمة لطفي السيد منصور، دار الرافدين، بيروت_لبنان، ط1، 2020، ص106.

[2]_ يُنظر: ستار هويدي على الحسناوي، المقاربات التداوليّة في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربيّة وآدابها، كلية التربة للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، 2017، ص 151.

[3]_ يُنظر، موصدق خديجة، خطاب النفس في القرآن، ص 242.

[4]_ سيبويه، الكتاب، ج1، ص 331.

ومن بين الانفعالات التي عثرنا عليها_في مدونة هذا البحث_ وحددناها بالاستعانة بكتب التفسير نجد: التوبيخ، التعجيب، الإنكار، المدح، الذم، التقريع، التهكم...وسنلاحظ كيف أنّ هذه الانفعالات تختلف عن انفعالات البشر.

المبحث الأوّل: الأبعاد التّربويّة للتعبيريّات في سورة الإسراء

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(1):**

قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾.

جاء في البحر المحيط أن سبب نزول هذه الآية يعود إلى ذكر رسول الله (ﷺ) لقريش معجزة الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كذبوه ولم يصدقوا قوله؛ فأنزل الله هذه الآية تصديقا له[1].

وجاء في تفسيرها أنّها تتحدث عن ليلة الإسراء التي أُنتقل فيها محمد (ﷺ) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين، وقد اُختلف في طريقة إسرائه هل كانت بالروح أو بالجسد « فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه [...] وقالت طائفة كان الإسراء يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماح بالروح [...] وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسراءً بالجسد وفي اليقظة»[2]، وقد أسرى به تعالى في هذه الليلة من أجل أن يُريه آياته الكبرى فهو خليق بأن يُكرم ويرفع لرؤيتها[3]، ويمكننا توضح أقسام الفعل الكلامي في ملفوظ هذه الآية كما يلي:

[1]_ يُنظر: أبو حيان الأندلوسي، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص7، خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بيت التّركيب والدّلالة دراسة تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، جامعة منوبة، ط1، 2001، ص 446.

[2]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 11.

[3]_ يُنظر: الطبطبائي، تفسير الميزان، ج13، ص 8.

1. الفعل اللفظي: من معاني كلمة﴿سُبۡحَٰنَ﴾ ؛ أتعجب من قدرة الله [1]من معانيها أيضا «التنزيه والبراءة لله عزّ وجلّ من كل نقص فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره» فهذه الكلمة تُقال في الأشياء العجيبة التي ضاقت فيها العقول وتحيرت في إدراكها ومنه قوله تعالى في سورة يونس:﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2]، أمّا معنى ﴿أَسۡرَىٰ﴾ فمأخوذ من « الإسراء والسرى السير بالليل يقال: سرى وأسرى أي سار ليلا وسرى وأسرى به أي سار به ليلا، والسير يختص بالنهار أو يعمه والليل»[3] ؛ فالإسراء لا يعني السير في الليل فحسب، بل يُقصد به السير في النهار أيضًا.

2. المحتوى القضوي: وينقسم إلى:

- **المرجع:** وهو الرسول(ﷺ)
- **والخبر المتحدث عنه:** هو الإسراء بالرسول (ﷺ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والإحالة في ﴿ٱلَّذِي﴾ اسم الموصول إشارة إلى الذات العلية الله(ﷻ).

3. الفعل الإنجازي : يتمثل الفعل الإنجازي في قوّة إنجازيّة غير مباشرة تعبر عن تعجيب السامعين من الخبر المتحدث عنه، ومعنى التعجيب حمل الغير على الانفعال والدهشة؛ فهناك فرق بينه وبين التّعجب الذي يُقصد به حدوث الانفعال والدهشة من قبل المتكلّم[4]، ولمّا كان الله (ﷻ) لا يتعجب من شيء وإنّما يُعجب المخاطَب، قيل بأنّ الفعل هنا هو التعجيب، وفي مضمون هذا يقول ابن عاشور «ولما كان هذا الكلام من جانب الله تعالى والتسبيح صادرا منه كان المعنى تعجيب السامعين»[5]؛ وعليه يمكن عدُّ **التعجيب** قوّة إنجازيّة غير مباشرة منبثقة عن الإخبار الذي يعدُّ قوّة إنجازيّة مباشرة، فليس الغرض من هذا الكلام الإخبار فلو كان كذلك

---

[1]_ يُنظر: عبد الله بن إبراهيم السادة، ثلاثون مجلسا في تفسير سورة الإسراء، (د، ط)، (د، ت)، ص 9.

[2]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص 9.

[3]_الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ج13، ص7.

[4]_ خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة_دراسة نحوية تداولية_، ص 446.

[5]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 10

لقيل: (لقد أسري بعبدي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى..) لكن هناك شيء فهو الخبر وهو التعجيب الذي يُصنف ضمن قسم التعبيريات التعبيريات.

كما أن كلمة (سبحان) التي مثلت براعة الاستهلال على حد تعبير علماء البلاغة مسلمة تداوليّة ساهمت في زيادة شدة **القوة الإنجازية** وتلتقي مع ما قصده علماء التّداوليّة بالمقدمة التمهيدية[1]، كما أنّ التعبير بالصلة دون الاسم العلم في قوله تعالى :﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾ للدلالة الحدث العظيم والعناية الكبرى[2]، وكل ذلك ساهم في تدعيم القوّة الإنجازية بالإيجاب.

كما ضمت الآية الكريمة جانبًا آخر من الأفعال التعبيريّة يتمثل في **التعظيم، والتشريف، والتكريم، وهي أفعال إنجازية غير مباشرة؛** فتلك النقلة العجيبة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى وفي تلك البرهة الوجيزة عبرت عن التكريم والتشريف الذي خُص به شخص الرسول (ﷺ).

ونخلصُ مما سبق، أنّ التعجيب، والتعظيم، والتشريف أفعال كلاميّة تعبيريّة منبثقة عن فعل كلامي مباشر وهو الإخبار.

4. الفعل التأثيري: إنّ أثر الفعل الإنجازيّ الذي يمكن حدوثه هنا هو تنبه المتلقي لعظمة الحدث الذي خرق جميع نواميس الكون وتعجبه من هذا الحدث ومن ثمّة استشعار عظمة الرسول (ﷺ) باتباع سنته الشريفة الطاهرة.

[1]_ يُنظر: خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة دراسة في استراتيجيات الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد_الأردن، ط1، 2012، ص 174.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 10.

الفعل الكلامي المباشر: الشكل (1)

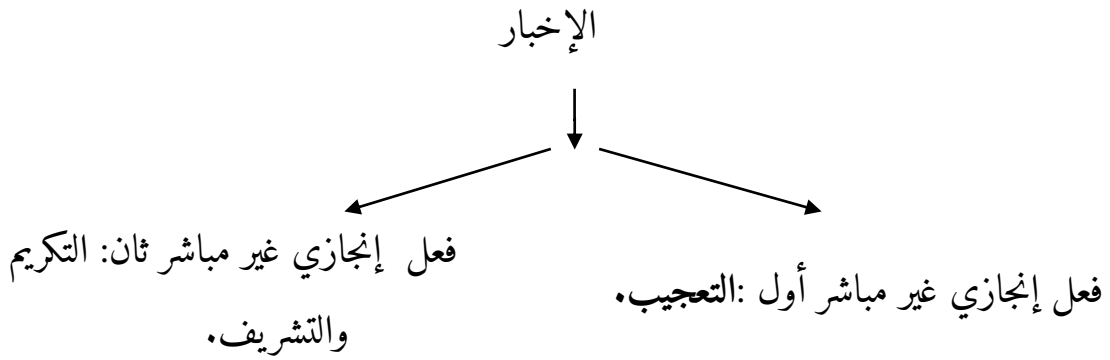

- **الأبعاد التّربويّة لفعل التعجيب وفعليّ التشريف والتكريم:**

1_الأبعاد الفكريّة: أسرى الله سبحانه وتعالى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم في غمرة حزنه وشدّة آلامه ورحيل أحبته في رحلة من الأرض إلى السماوات العلى، عندما ضاقت به الدنيا ورحل جميع أحبته، وهذا ما يدعو إلى التعجب في عظمة الخالق الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، فسبحانه تعالى القادر على أن ينتشلك من الألم نحو الأمل، وأن يعوضك بالمحنة منحةً، ولذلك يحتاج المؤمن إلى وقفة تعظيم وتبجيل لعظمة الخالق...

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا الخطاب النفسيّ يدعو إلىالإطمئنان؛ فالذي أسرى بجسد عبده محمد (ﷺ) ليلًا من الأرض إلى السماء في فترة قصيرة جدا، حتما قادرٌ على أن يغيّر حالك من حال إلى حال، من الحزن إلى الفرح ومن القنوط إلى الإطمئنان.

3_الأبعاد السلوكيّة: بعدما كرّم الله تعالى رسوله وعجب المخاطب من الحدث العظيم الذي وقع له من المتوقع أنّه سيكون لذلك أبعادًا سلوكيّة للمتدبر والمتأمل في عظمة هذه الآية، ومن ثمّة ستكون هذه الآية وبما تحمله من خطاب تعظيم وتشريف قادرة على تغيير سلوك المتلقي، فمن المتوع اتباع سنّة الرسول الكريم الطاهرة؛ فالله تعالى يرفع من قيمة نبيه الكريم بحادثة الإسراء به، وما على المسلم إلا اتباع سنة هذا الرسول الكريم، فهو غائب عن أعيننا لا نراه لكن لله له مهابة غياب وكأنّه الغائب الحاضر فوجب تلمسه خطاه حتى يوم نلقاه.

وإنّ فعل التعجيب، يصنع في المتلقي وقفة تدبر في هذا المعنى_تعجيب المتلقي من قضية الإسراء_ فهذا فعل تنبيه، فعندما يطلق الله فعل تعجيب (سبحان) هذا يحتاج منك إلى وقفة، ما هذا الشيء الذي يدعو الله تعالى إلى التعجب منه؟

وفي خضمّ هذه الآية دعوة إلى الصبر وعدم القنوط من رحمة الله، فقد يُسرى بك لما هو أفضل وأجمل، فلا تحزن لفراق الأماكن الجميلة، فقد ترحل لمقامات أجمل كما أنّ هذا يعلمك أنّ هناك في الغيب رب معك ما ودعك.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(2):**

قال تعالى:﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾.

وقد ورد في حادثة نزول الآية أنّها «نزلت في النضر بن الحارث، كان يدعو ويقول: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم»[1].

وتتحدث الآية عن الإنسان العجول الذي لا يتريث ويفكر صلاح الأمر وفساده فمتى أراد شيئا استعجل في طلبه دون علمه بعواقبه[2]، ومعنى ذلك أن هناك صنف من النّاس يتسرعون ولا يتمهلّون في طلب الأشياء التي تتعلق بها قلوبهم، فيطلبون ذلك دون تأنٍ وتفكيرٍ في عواقب هذه الأشياء إن كانت خيرا أو شرًّا، هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يدعو الإنسان عند الغضب على أهله ونفسه بالشرّ غير عالم بأن فعله هذا ينمّ عن عجلته وتسرعه في استباق الأحداث، وكلّ هذه الأفعال تعبر عن عجلة الإنسان.

وانطلاقًا مما سبق يمكننا أن نكون إيزاء فعل كلامي ينقسم إلى أربعة عناصر أساسيّة بتعبير سيرل:

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 35.

[2]_ يُنظر: الطبطبائي، تفسير الميزان، ج13، ص 49.

1. الفعل اللفظي: ويظهر في التلفظ بالآية المفتتحة بالفعل المضارع﴿وَيَدْعُ﴾ الذي كان أصلها (يدعو) ولكن حذفت منها الواو الساكنة بسبب التقائها بالألف الساكنة التي في بداية كلمة (الإنسان) وهو ما يعرف بالتقاء الساكنين الذي يتطلب حذف الساكن الأوّل، فحذف الساكن الأول وهو الواو.

2. محتوى قضوي: وينقسم إلى الخبر وهودعاء الإنسان على نفسه بالشرّ، وعجلة الإنسان في طلب الخير، والمرجع وهو الإنسان العجول.

3. فعل إنجازيّ: بالنظر إلى ملفوظ الآية، وفي جانبها الشكلي، وانطلاقا مما حققته من فعل لفظي ومحتوى قضوي، نلاحظ بأنّ الآية تتمثل في الإخبار عن عجلة الإنسان، لكن القصد الضمنيّ يتمثل في لوم وتوبيخ الإنسان العجول، ومنه يمكننا القول إنّ الآية تصنف ضمن التعبيريات، لأنّ المقصود منه إنشاء قوّة إنجازيّة غير مباشرة تتمثل في **لوم وتوبيخ الإنسان العجول.**

4. فعل تأثيريّ: التريث وعدم الاستعجال في طلب الخير أو الشرّ، والتيقن التام بأن الخير فيما اختاره الله.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل لوم وتوبيخ الإنسان العجول القنوط :**

1ـالأبعاد الفكريّة: إنّ في لوم وتوبيخ الإنسان المتسرع المحبّ للدنيا العاجلة، بعدا فكريا يربي فينا فكرة الحذر من هذا السلوك الذي قد يوقع فاعله في سوء العاقبة... فعلى الإنسان الحذر عند الغضب من أن يدعو على نفسه وأولاده أو ماله بالشر، أو أن يقنط من رحمة الله لأنه لم يهب له ولدا أو مالا أو سعادة، فالخير فيما اختاره الله تعالى؛ فقد يدعو الإنسان بالولد، والمال، والحبيبة دون أن يضع في حسبانه أنّه قد يكون ذلك شرًّا له وشقاءً...[1]

[1]ـ يُنظر، حمبنكة الميداني، دقائق التفكير ومعارج التدّبر، ج9، ص 525.

2_الأبعاد النفسيّة: وكل هذا يُربي فينا بُعدًا نفسيّا وهو الترفع عن حبّ متاع الدنيا الزائل، فما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

3_الأبعاد السلوكيّة: كل هذا دعوة إلى عدم التشبث بالدنيا ونسيان الآخرة، التي هي أساس وجود الإنسان في هذه الدنيا فهي مصيره الأزليّ، فحُبُّ الإنسان للدنيا قد ينسيه في العمل لآخرته والإعداد لهذا اليوم الموعود، صحيح أنه مطالب بأن لا ينسى نصيبه من الدنيا، وكذلك لا ينسى إعداد العدة للآخرة.

والفعل الكلاميّ المتمثل في لوم وتوبيخ الإنسان العجول نابع من فكرة إيثار الحياة الدنيا عن الآخرة، وهذا ما يربي في الإنسان بعدا سلوكي يظهر في الحذر من الدعاء بالشر عند الغضب، فقد جاء في الحديث أن الشديد ليس بالقوّة وإنّما الذي يتمالك نفسه أثناء الغضب، فلعلّ أقبح سلوك قد يصدر من الإنسان عند غضبه هو الدعاء على نفسه أو ماله أو ولده، وقد يتسرع كذلك في استعجال أمور الخير ويتناسى أن كل شيء وضعه تعالى بقدر، لذلك لابدّ أن يكون الإنسان حذرًا من العجلة وأن يكون متريثًا صبورًا.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (3):**

قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

ورد في حادثة نزول هذه الآية ما جاء في تفسير القرطبي « أن الله تعالى أمر جبريل عليه السّلام فأمرَّ جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء وكان كالشمس في النور، والسواد الذي يرى في القمر من أثر المحو [...] ولو تركه شمسا لم يعرف الليل من النهار»[1]، فالقمر في الحقيقة جرم مظلم يأتيه النور من الشمس[2]، وهذا من عظمة الخالق ومن نعمه التي أنعمها على عباده.

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 37.

[2]_ ابن باديس، تفسير ابن باديس، دار الرشيد للكتاب والقرآن والكريم، الجزائر، ط1، 2009، ج1، ص 156.

إنّ الفعل القولي في ملفوظ الآية ينقسم إلى **فعل نطقي** يتمثل في النطق بالجملة الفعلية، **والمحتوى القضوي** الذي ينقسم إلى مرجع وهو حالة الليل والنهار، والخبر يتمثل في جعل الليل والنهار مختلفين ليعرف بهم عدد السنون والحساب «فمن المخالفة بين الليل والنهار يعلم البشر عدد السنين ويعلمون حساب المواعيد والفصول والمعاملات»[1].

وانطلاقًا مما سبق يتضح لنا أن المعنى اللفظي المباشر لهذه الآية هو الإخبار بقدرة الله تعالى في جعله الليل والنهار مختلفين، والمتكلّم هو الله والمخاطب هو الإنسان، أمّا القوّة الإنجازيّة غير مباشرة التي يُمكن أن نستنجها انطلاقا من ملفوظ الآية فتتمثل في **الامتنان**؛ فالله سبحانه وتعالى يذكّر عباده بأن الليل والنّهار من نعمه العظيمة التي وهبها الله للإنسان وبواسطتها يتم حساب عدد الأيّام والسنين ومعرفة مواقيت العمل، والصيام، والصلاة والحج، فهو لا يخبر بوجود هذه النعم فمن منا لا يعلم بوجود الليل والنّهار واختلافهما عن بعضهما البعض؟ فقد جعل الله في الليل والنهار نعم مختلفة، تتمثل في نعمة السير في النّهار ، أمّا نعمة الله فلم يذكرها وذلك لظهورها من خلال مقابلتها بآية النهار وهي السكون، ومنه قوله تعالى في سورة يونس : «هو الذي جعل الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا»[2]، أمّا الفعل التأثيريّ فيتضح جليًّا من خلال قوله تعالى: ﴿**لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ**﴾؛ فذكر الله تعالى لنعمه تستوجب شكره وحمده وحسن عبادته، وفي هذا يقول ابن باديس: «ذكر الله تعالى الليل والنهار وآيتهما استدلالا على الخلق ليعرفوه وذكر ما فيهما من النعمة عليه ليشكروه ويعبدوه»[3]، لذلك فإنّ **الفعل التأثيري** المتوقع حدثه هو شكر العبد وحمده لله تعالى الذي وهبه هذه النعم.

وصفوة القول نرى أنّ الفعل المباشر الإخباري عبر عن قوّة **إنجازيّة غير مباشرة** دلّت على الامتنان الذي يُصنف تداوليّا ضمن فئة التعبيريات، الذي يظهر جليًّا من خلال سياق الآيات، وهذا إن دلّ فإنه يدلّ على أنّ هذه الأساليب ليست لغوية بحتة، وإنما هي لغوية

[1]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص 2217.

[2]_ يُنظر:ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 44_45، والقرطبي ، جامع أحكام القرآن،ج13، ص39.

[3]_ ابن باديس، تفسير ابن باديس، ج1، ص157.

تداوليّة، فالبعد التداولي ضروري لفهم القصد الذي لا يوصل إليه إلا من خلال العبور على بنية الملفوظ اللغويّة.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الامتنان بوجود نعمتيّ الليل والنهار العظيمتين:**

إنّ للفعل الإنجازي في هذه الآيات وما نتج عنه من فعل تأثيري بعدا بإمكانه تربية الفرد المجتمع فكريًّا ونفسيًّا وسلوكيًّا .

1_ الأبعاد الفكريّة:

- النظر إلى منعم هذه النعم:

تتمثل تربية الفرد والمجتمع فكريا من خلال الفعل الكلامي السابق في نشر فكرة حمد وشكر المنعم وهو الله (ﷻ) على كل نعمه التي أنعمها على عبده؛ فمن كان نظره إلى منعم هذه النعم بحمد وشكره فحينها يكون في أعلى مراتب السعادة غارقا في معرفة الله سبحانه وتعالى[1].

2_ الأبعاد النفسيّة:

- تقوية مشاعر الحب والأنس بالله:

إنّ في إظهار نعم الله تعالى (الامتنان) دعوة لشكر وحمده الله تعالى والثناء عليه وفي هذا بعد نفسي يسهم في تربية الفرد نفسيا وذلك باستشعار فضل ونعم الله في كل حين وفي كل مكان، وهذا ما يقوي لديه مشاعر الحب والأنس بالله.

3_ الأبعاد السلوكيّة:

- الوقوف أمام معجزة القرآن العلميّة بتدبر وخشوع:

بينت لنا هذه الآية معجزة الله العلمية وكان ذلك بيان أنّ القمر كان جرما مظلما وما نراه من نور فيه الآن مستمد من نور الشمس فذا لم يكن معروفا لدى الأمم السابقة قبل نزول هذه الآية إلا قليلا منها.

- حمد وشكر المنعم:

[1]_ يُنظر: أحمد بن ناصر الطيّار، الأنس بالله تعالى، ط1، 2019، ص54.

هناك من ينشغل بالنعمة، التي أنعمها الله عليه، فينسى شكر الله وحمده والثناء عليه لذلك فالمؤمن الصادق يكون فكره ونظره متّجها إلى المنعم وقت النعمة[1].

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (4):**

قال تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝٤٠**﴾.

ورد الخطاب القرآنيّ هنا في سياقالرد على «من قال من العرب: الملائكةُ بنات الله، وكان لهم (العرب) بنات أيضا مع البنين»[2]، وجاء في تفسير التحرير والتنوير أنّه فريق من العرب كانوا يعبدون الملائكة كما يعبدون الأصنام واحتجوا بذلك أن الملائكة هم بنات الله كما حكي عنهم في قوله: ﴿**وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ**﴾إلى قوله: ﴿**وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ**﴾[3].

ورد الفعل الكلامي في هذه الآية على هيئة الجملة الاستفهامية في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ**﴾ وعند النطق بهذه العبارة يتشكّل **الفعل اللفظي**، والمقصود بالاصفاء اتخاذ صفة لشيء ما «تقول: أصفيت فلانا بالشيء إذا آثرته به»[4]؛ أي وصفه به وجعله منسوبا إليه، **والمحتوى القضوي** يتمثل في الاعتقاد الخاطئ بأنّ الله اصطفى المشركين بالبنين واتخذ لنفسه الإناث (الملائكة).

وتظهر القوّة الإنجازية الحرفية يمثلها الاستفهام بالهمزة مع الفعل الماضي والضمير المتصل المبني في محل رفع فالعل (أفأصفاكم...) والعائد على الكفار المخاطبين في هذا المقام.

---

[1]_ يُنظر: ابن القيم ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ط)، 1956، ج3، ص 106.

[2]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 86.

[3]_ يُنظر:ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 107.

[4]_ السيد محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص 104.

أمّا القوّة الإنجازية المستلزمة (الضمنية) فتتمثل في النفي والإنكار، فبالرغم من أنّ الظاهر في شكل الآية الاستفهام إلا أنّ المقصود به غير ذلك ويوضح ذلك الزركشي (ت790 هـ) بقوله: أنّ الاستفهام يأتي بمعنى الخبر وبمعنى الإنشاء، فالخبر أحدهما نفي ويسمى إنكار والثاني بالاثبات ويسمى استفهام تقرير[1]، ونشير في هذا المقال أنّ «الاستفهام في القرآن ـالصادر عن الله(ﷻ)ـ غير حقيقي، لأنّه واقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام»[2]، ولم يرد الاستفهام على صورته الحقيقية إلا في بعض القصص والحوارات كحوار موسى (عليه السلام) مع فرعون، فقوله تعالى: ﴿**أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا**﴾ خارج عن معنى طلب الفهم، وإنّما المقصود لم يخصصكم بهذا الاصطفاء[3]، وهذا من باب النفي والإنكار.

وعليه، نستنتج أنّ الفعل الإنجازي في ملفوظ هذه الآية يتكون من حمولة دلالية تنقسم إلى قوّة إنجازية مباشرة وهي الاستفهام، وقوّة إنجازية غير مباشرة وهي الإنكار، ويمكن تصنيف فعل الإنكار ضمن فئة التعبيريات (التبيينيات)؛ لأنّها تعبير عن حالة الإنكار، وأضاف سيّد قطب أنّ المقصود قد يكون التّهكم، ويقول ي ذلك: إنّ الاستفهام هنا للاستنكار والتهكم[4]؛ فالاستفهام فعل مباشر دلت عليه الصورة الشكلية للآية (الهمزة الاستفهامية) التي تكون أساسًا لمعنى « طلب التصديق في حقيقة وقوع النسبة بين الشيئين في الخارج أو عدم وقوعها مثال :(أَنَجَحَ عليٌّ؟)»[5]؛ أي هل نجح (النسبة الأولى) أم لم ينجح (النسبة الثانية) ونفترض أنّ النسبة الأولى في الآية اصفاء المشركين بالنين والله بالبنات (الملائكة)، إلّا أنّ الاستفهام في هذا

---

[1]ـ محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث القاهرة،(د، ط)، 2006، ج2، ص 228ـ 331.

[2]ـ قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد، بيت الحكمة،(د، ط)، 1988، ص307.

[3]ـ يُنظر: عبد العزيز أبو السريع، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1989، ص 282.

[4]ـ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15، ص 2230.

[5] ـأبو السريع عبد العزيز، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1989 ص 203.

المقام لم يعد يراد به طلب التصديق، بل تحوّل إلى فعل **قوّة إنجازيّة غير مباشرة** يحمل معنى **الإنكار والتّهكم** من أقوال المشركين، وما زاد في درجة شدة القوّة الإنجازية وجعل الفعل أكثر تأثيرًا، قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ حيث كانت العلامة النحويّة أو المصدر (قولًا) تقرير لهذا الإنكار، يقول ابن عاشور: وتم تأكيد « فعل (تقولون) بمصدره تأكيدا لمعنى الإنكار»[1]، فمن معاني المصدر تأكيد الفعل وتقريره، أمّا **الفعل التأثيريّ** فيظهر في استنكار قول المشركين؛ فزعمهم باطل وكل ما ذهبوا إليه باطل.

وقد توصلنا للفعل الإنجازي من خلال الخطوات الآتية:

- **الخطوة الأولى:** السياق (سبب النزول) حيث زعم العرب أنّ الملائكة هم بنات الله.
- **الخطوة الثانية:** المتكلّم (الله) عالم بأحوال العرب وبأنّهم يشركون به ويتخذون غيره آلهة.
- **الخطوة الثالثة:** المتكلّم لا ينتظر جوابًا من هؤلاء؛ لإنّ الله تعالى لا يستفهم عن شيء فهو عالم بكل شيء ولا يعزب عنه مثقال درّة.
- **الخطوة الرابعة:** المخاطب لا يمكنه تقديم إجابة عن هذا (لا يملكون سلطةً تخوّلهم لذلك).
- **الخطوة الخامسة:** إذًا المتكلم لا يريد الاستفهام (طلب التصديق) فهو لايريد معرفة لماذا أصفاهم بالبنين وهو اتخذ الملائكة إناثًا.
- **الخطوة السادسة:** يتوصل (المخاطب) إلا أنّ قصد المتكلّم ليس الاستفهام (استنتاج من الخطوة الثانية والثالثة).
- **الخطوة السابعة:** إذًا قصد المتكلّم هو التهكم والسخرية والاستنكار من زعمهم وليس الاستفهام، خاصة لمّا كان زعمهم باطلا؛ فّالله هو الواهب والرازق وهو

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 108.

الذي يهب البنات والبنين فهل يعقل أن يعطي للمشركين البنين المفضلين لديهم ويجعل لنفسه البنات المكروهين عندهم[1]؟

فمن خلال اتباع تطورات الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني (الإنجازي) من الخطوة الأولى إلى الخطوة السابعة ومن خلال الإحالات الممكنة والسياق الحالي لجأ المتلكم إلى التضمين؛ إذ تلفظ بملفوظات في صيغة السؤال (بالهمزة) التي تأتي لطلب التصديق لتحقيق غرض التهكم والاستنكار وهنا تظهر براعة الأسلوب القرآني.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الإنكار والتّهكم من أقوال المشركين الباطلة:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ البعد الفكريّ يظهر في معرفة أن الشرك بالله تعالى مدعاة إلى التوبيخ والتهكم، والسخريّة؛ فقد ادّعى المشركون على الله بأن له صاحبة وولدا فما كان جزاؤهم إلا أن غضب الله عليهم، ووبخهم...

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا يُثير في نفس الإنسان، مشاعر الخوف من الاتصاف بهذا الفعل الشنيع لئلا يقع في توبيخ واستنكار الله تعالى .

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ أعظم قول وأشنعه هو الطعن في الذات الإلهية، ولذلك كان البعد السلوكي المرجو تحقيقه للفعل التعبيريّ المتمثل في استنكار الله تعالى لأقوال المشركين ولإثباته بطلان ما ذهبوا إليه هو الإعراض عن هذا الفعل القبيح والسعي لتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

- **الفعل الكلامي (5) تحليل ونقاش:**

قال تعالى:﴿**وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ۝٤١**﴾.

وضّح الله (ﷻ) في هذا القرآن الأحكام وأكثر الأدلة والبراهين وقدّم المواعظ لأجل أن يتذكر النّاس ما ينفعهم فيسلكوه وما يضرهم فيدعوه ولكن أبى أكثر الناس إلا نفورا عن آيات الله لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل[1].

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2230.

وبالنظر إلى ما سبق يمكن القول إنّ الفعل القولي لهذه الآية يتمثل في **الفعل اللفظي** وهو النطق بالجملة الاسمية، والظاهرة الصوتية في الفعل ﴿**لِيَذَّكَّرُواْ**﴾ أصلها يتذكرون فأدغم التاء في الذال لتقارب مخرجيهما[2]، وهذا ما يسمى في علم التجويد بالإدغام المتجانس، **والمحتوى القضوي** يتمثل في المرجع وهم الذين عبدوا الملائكة وزعموا أنهم بنات الله[3]؛ فالضمير (واو الجماعة) إحالة شخصية لهم، فقد مازال الخطاب موجه إليهم، والخبر المتحدث عنه هو تصريف في القرآن كل معاني الهداية والصلاح... ومع ذلك لاقى إعراض الكافرين عنه، ويرى الرازي (ت606هـ) أنّ معنى ﴿**صَرَّفْنَا**﴾ مأخوذة من التصريف ومعناه في اللغة صرف الشيء من جهة إلى جهة، وقد جاء هنا كناية عن التبيين، لأنّ من حاول بيان شيء فإنه يصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر ليكمل الإيضاح ويقوى البيان[4]، ثم بينّ سبحانه وتعالى هذا التصريف بأنّه جاء من أجل أن يتذكر النّاس ما ينفعهم فيه فيسلكوه، وما يضرهم فيبتعدوا عنه إلّا أن معظم المشركين تناسوا هذا، وما زادهم كلام الله إلا نفورا عن الحق ومعنى﴿**نُفُورًا**﴾ من «النفر الانزعاج من الشيء وإلى الشيء كالفزع إلى الشيء وعن الشيء يُقال: نفر عن الشيء نفورا»[5].

وتأسيسًا على هذا، نجد أن الكلام السابق قد عبّر عن قوّة إنجازيّة مباشرة تمثل في الإخبار بما امتاز به القرآن العظيم وبأنّ المكذبين بهم أعرضوا عنه لبغضهم الحق وحبهم الباطل، إلا أن المقصود من ملفوظ الآية شيء فوق الإخبار، فالمقصود إنشاء **قوّة إنجازيّة غير مباشرة** تمثل في **التعجيب** من حالة هؤلاء الذين لا يزيدهم القرآن الكريم إلا نفورا[6]، فحالهم كحال الأنعام التي لا تسمع ولا تعقل فرغم ما جاء به القرآن الكريم من بيان وتفصيل وهداية ورشاد، وأخبار غيبيّة عجّزت الإنس والجن مجتمعين على أن يأتوا بمثله، إلا أنّهم مازالوا في ضلال وبهتان

---

[1]_ السعدي، تفسير السعدي، ص476.

[2]_يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص109.

[3]_المرجع نفسه، ص109.

[4] يُنظر: محمد الرازي، تفسير الرازي، ج20، ص217.

[5]_ الراغب الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن، ص501.

[6]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 109.

يعمهون، فلم يعد الإخبار هو القصد، لأنّه اختفى وراء التعجب الذي يمكن اعتباره قوّة إنجازيّة غير مباشرة تندرج ضمن قسم التعبيريات بتعبير سيرل، أمّا **الفعل التأثيريّ** فيظهر في تدبر القرآن الكريم والاتعاظ بالقَصص والعبر المذكورة فيه، فما نزل القرآن الكريم إلا لغاية وهدف كبيرين.

- **الأبعاد التربويّة لفعل التعجيب من حالة الذين لا يزيدهم القرآن الكريم إلا نفورًا:**

1ـالأبعاد الفكريّة: كل ما جاء به القرآن الكريم داعٍ إلى التدبر والتفكر، والتأمل؛ فقد جاء بالأخبار الغيبيّة، والأخبار المصدقة والشرع المتبع، فأمّا المسلمين فيزيدهم تمسكا به وأمّا الكافرين فيزيدهم نفورا عنه...

2ـ الأبعاد النفسيّة: إذا كان القرآن الكريم لا يزيد الكافرين إلا نفورا وبعدا عنه، فإنّه لا يصنع ذلك بعباد الله السائرين على هديه والمتدبرين لأمره، وهذا ما يزيد في نفوس المؤمنين أنسا بالقرآن الكريم، لمن أراد راحةً وطمأنينةً.

3ـ الأبعاد السلوكيّة: إنّ فعل التعجيب يدعو إلى تقريب المؤمنين من القرآن أكثر فأكثر، فإن كان يزيد الكفار نفورا، فلا يقومون باتباع شرعه والسير على هديه، فما ينبغي أن يفعل ذلك بعباد الله المؤمنين، وعليهم أن يأخذوه بقوّة وأن يعملوا به بعزم، فلابدّ أن نسأل الله سبحانه وتعالى البصيرة في القرآن الكريم والاهتداء به...

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (6):**

قال تعالى: ﴿**سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤٤**﴾.

ترِدُ هذه الآية كاستئناف لقول المشركين أنّ هناك مع الله آلهة أخرى، فنزه الله سبحانه نفسه وقدسها ومجدها عمّا لا يليق به؛ فأقوال هؤلاء لا تليق بذات الله فقد تعالى وتعاظم عنها وهذا من المبالغة في النزاهة[1].

[1]ـ يُنظر: الشوكاني، الفتح القدير، ص 825.

نلاحظ أنّ **الفعل القولي،** ينقسم إلى **الفعل اللفظي** وهو النطق بالجملة الاسميّة، المبدوءة بكلمة (سبحانه) والتسبيح معناه التنزيه[1]، أمّا **المحتوى القضوي**، الذي ينقسم إلى المرجع : وهو الله تعالى، والخبر: وهو علو منزلة الله تعالى لدرجة أنّ كل شيء في هذا الكون يسبح بحمده، وبالتالي بطلان وفساد ما ذهب إليه الكفار، وقرأ الجمهور كلمة ﴿**يَقُولُونَ**﴾بياء الغيبة وقرأها آخرون بتاء المخاطبة،[2]، وهي إحالة إلى الكفار الذين زعموا أنّ مع الله آلهة أخرى، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾ إحالة شخيصة إلى الملائكة والثقلان (الجن والإنس) وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ﴾ إحالة إلى ما دون ذلك من مخلوقات[3].

والظاهر ممّا سبق أنّ المقصود بالفعل الإنجازيّ في ملفوظ الآيات السابقة هو التنزيه والتعظيم؛ حيث يرى ابن عاشور أنّ الآية « إنشاء تنزيه لله تعالى عمّا ادعوه من وجود شركاء له في الإلهية»[4]، ومنه يمكننا القول إنّ **الفعل الإنجازي** ينقسم إلى: **قوّة إنجازيّة مباشرة** وهي الإخبار، وهذا ما يتضح من خلال بنية الفعل اللغويّة، **وقوّة إنجازية غير مباشرة** وهي تنزيه الله تعالى ذاته عمّا لا يليق بها، فلو كان القصد الإخبار لقيل: (لقد نزه الله تعالى نفسه عمّا يليق بها فكل شيء يسبح بحمد ...).

وعليه، يمكننا القولُ إنّ القوّة الإنجازيّة المراد تحقيقيها وردت على هيئة غيرة مباشرة ويمكن تصنيفها ضمن قسم التعبيريّات، أمّا **الفعل التأثيريّ؛** فيظهر في تسبيح الله تعالى فما دام كل شيء يسبح بحمده، وهو ينزه نفسه عن النقص والخطأ، فما علينا إلا الالتزام بهذا.

- **الأبعاد التربويّة لفعل تنزيه الله تعالى ذاته عمّا لا يليق بها**

1_الأبعاد الفكريّة: كل شيء في الكون يتهافت لتسبيح الله تعالى؛ فجميع المخلوقات تسبّح بحمد الله تعالى، وهذا ما يدعو إلى التّفكر وإعمال العقل بأنّ الله تعالى هو المعبود الذي لا إله إلا

[1]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 88.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 113.

[3]_ يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، ص 825.

[4]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج15، ص 113.

هو، كما يدعو ذلك إلى الالتزام بأوامر الله تعالى وتجنب نواهيه، فمادامت كل المخلوقات الموجودة في الكون تعبده وتسبح بحمده، فما بالك بالإنسان الذي كرّمه الله بالعقل الذي يمكن بواسطته التميز بين الخطأ والصواب؟ فلا وجود لصواب يُعادل عبادة الله وحده لا شريك له.

2_الأبعاد النفسيّة: هذا ما يزرع في النفوس عظمة الخالق، ويحدث فيها هزة ايمانيةً عميقةً؛ فحينما يتصوّر العقل أنّ كل شيء في هذا الكون يسبح بحمد الله كل بلغته وطريقته، من الحجر الصغير إلى أكبر مخلوق...، أفلا يدعو هذا إلى استشعار عظمة الخالق، التي جعلت كل الكون روحا تسبح بحمدها؟

3_الأبعاد السلوكيّة: التسبيح هو القضيّة الجوهريّة التي عبّرت عنها أفعال الكلام في هذه الآيات، فكل مخلوق يسبح بحمد الله، لذلك فالسلوك المتوقع فعله هو التسبيح المطلق لله تعالى؛ فحظ العبد من تنزيه الله تعالى نفسه، فهو أن يطالب نفسه بأن يكون عبدا مسبحا في كل وقت ولكل شيء يراه من بديع صنع الخالق.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(7):**

قال تعالى:﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾**﴾.

ورد في حادثة نزول قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا...**﴾ أنّها نزلت «في أبي سفيان، والنضر، وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب كانوا يؤذون الرسول إذا قرأ القرآن فحجب الله أبصارهم إذا قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه»[1]، ويخبر تعالى في هذه الآيات عن عقوبته للمكذبين بالحق الذي ردوه، وأعرضوا عنه، أنه

[1]_ أبو حيان، البحر المحيط،ج7، ص55.

يحول بينهم وبين الإيمان، فجعلهم لا يسمعون القرآن ولا يتدبرون آياته ، ومنعهم من الانتفاع بآياته وذلك لسوء مقاصدهم فهم لا يريدون من سماعه إلا القدح به وليس من أجل الاسترشاد به[1].

والظاهر من تفسير الآية أنّ **المعنى العام** هو الحديث عن حال الذين لا يؤمنون بالآخرة، وبأنّهم محجوبون عن فهم القرآن والانتفاع به، والمخاطب هو الرسول (ﷺ)، الذي وُجه إليه الخطاب بأنّ الكفار لا ينتفعون بالقرآن وأن بينهم وبين الانتفاع به حجاب مستور لا يتمكنون من خلاله إدراك القرآن والانتفاع به، والملاحظ مما سبق أنّ **القوّة الإنجازيّة المباشرة** تعبر عن الإخبار بهؤلاء الكفار، أمّا ضمني هذا الشاهد فيعبر عن **قوّة إنجازيّة غير مباشرة تتمثل في الذم والإهانة** لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة فكونهم لا يقدرون على فهم القرآن وتدبر آياته فهذه أكبر إهانة في حقهم؛ فالله إذا أحب قوما فقههم في دينهم وجعلهم من أهل القرآن وخاصته ويحدث عكس ذلك للذين أعرضوا عن أمره وعن الإيمان به، وما يدل على أن القصد هو إهانتهم هو التعبير بالصلة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بدلًا من استعمال الضمير، فلم يقل: (بينك وبينهم) وفي ذلك إشارة بأنّ هؤلاء هم بالذات الذين لا يؤمنون بالآخرة جعل بينهم وبين المسلمين المؤمنين حجابا وهذا ذمٌ له[2] ، كما دلت القوّة الإنجازية غير المباشرة في هذا المقام على تسلية قلب الرسول (ﷺ) وحمايته من هؤلاء ويمكننا توضيح بنية الفعل الكلامي الوارد في هذه الآي على النحو التالي:

[1]_ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 477.

[2]_ الألوسي، روح المعاني، ج15، ص 86.

الشكل (1)

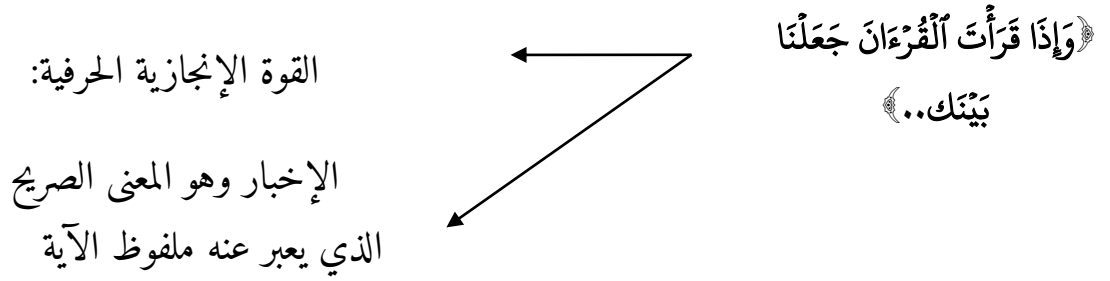

القوة الإنجازية المستلزمة: الإهانة وهو المعنى الضمني الذي لا يستدل عليه بقرائن بنوية.

أمّا **الفعل التأثيريّ** فيظهر في وجوب إقلاع المشركين عن عنادهم وإنكارهم للبعث، فذلك لا يزيدهم إلا ضلالا وخسرانا.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الذم والإهانة للذين لا يؤمنون بالآخرة:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ أعظم مصيبة قد تحلّ بالإنسان، مصيبةٌ في دينه، فيحلّ الله تعالى عليه بلاء عدم الانتفاع بالقرآن الكريم ولا تدبر آياته، فتصيبه الكآبة وتحل به الخيبة.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في القرآن الكريم قوة تأثيرية عجيبة تتأثر لها النفوس وتعجب منها، أفلا يكون القرآن الكريم بهذا هادٍ إلى سبيل الرشد؟ مؤثرا في نفوس النّاس؟ فلم يكن ذم المشركين إلا نتيجة لإنكارهم هذا، ولو شعروا به، فجعل الله تعالى على قولبهم حجابا معنويًّا لا يستطيعون معه إدراك ما في القرآن الكريم، وهذا ما يثير في النفوس المؤمنة خوفا ورهبة من أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء.

3_ الأبعاد السلوكيّة: بعد الشعور بالخوف والرهبة، من المتوقع أن يكون سلوك المؤمن نحو القرآن الكريم بالتدبر واستشعار معانيه، فالمتأثر بالقرآن، المستشعر لمعانيه من أكثر النّاس عافية وأعظمهم أنسا وأقربهم للحياة، وألذهم عيشا، وألطفهم نفسًا، فما خاب قلبٌ تعلّق بالقرآن... فلابدّ من اتخاذ القرآن ملازما لا ينفك عن صدر الإنسان بأي حال من الأحوال، فكيف يُهجر وهو الذي بإمكانه أن يجعل بينهم وبين الذين لا يؤمننون حجابًا مستورًا؟

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(8):**

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾.

يمكن القول إنّ الفعل القوليّ ينقسم إلى فعل لفظي يظهر في عبارة ﴿وَقَالُوٓاْ ...﴾،﴿قل كونوا حجارة أو حديدا﴾ حيث يتجسد **الفعل اللفظيّ** مباشرة بعد النطق بهذه العبارات، أمّا **المحتوى القضوي** فيتمثل في الحديث عن حالة الكفار وبأنّ كل ما ذهبوا إليه ما عدا الله باطل، حيث الخطاب موجهًا إلى النبي(ﷺ)ليحدث المشركين والمنكرين المكذبين بيوم البعث بأنّهم حتى لو كانوا حجارة أو حديدا أو أي خلق أعظم من ذلك كالسماوات والأرض فإنّه لا محالة سيتم بعثهم كما تم خلهم أوّل مرة[1].

ويمكننا القول إن الخطاب جاء في بداية الآية إخبارا بإنكار هولاء للبعث، فقد دلّ الاستفهام بالهمزة على معنى الإنكار، وبعدها ورد الأمر من الله تعالى إلى الرسول (ﷺ) ليقدم لهم جوابا على كل سؤال، ويظهر الأمر في موضعين أولا في قوله تعالى: ﴿قل كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ ، وهو أمر للنبي بأن يخبرهم بأنّهم حتى لو كانوا حجارة أو حديدا سيبعثهم خلقا جديدا، أمّا في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ أمر للنبي (ﷺ) بأن يجيبهم على استفهامهم التهكميفي قولهم﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ جوابا يبطله[2]، أمّا معنى ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾: «أي يحركون رءوسهم استهزاءً»[3]؛ فكل أجوبتهم وحركاتهم تدل على أنكارهم واستهزائهم بيوم البعث.

---

[1]_ يُنظر:أبو حيّان، البحر المحيط، ج7، ص 62.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص 129_130.

[3]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج13، ص100.

وعلى هذا الأساس نستطيع القول إنّ **الفعل الإنجازي** يدلّ على **قوة إنجازية مباشرة** تتمثل في الأمر، والاستفهام، وأخرى غير مباشرة تدل على **الإهانة**، وهذا ما ذهب إليه سيّد قطب، حيث يرى أن الكلام هنا **للتوبيخ والتقريع**[1].

فكل الأجوبة توحي بتحقيرهم، وما زاد في إبراز القوّة الإنجازية توظيف عبارات من قبيل ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ بذلك كما أنّ تحولهم إلى الحجارة هو بمثابة إهانة لهم، أمّا **الفعل التأثيريّ** فيظهر في تعظيم إثم إنكارهم يوم البعث بالابتعاد عن فعله.

- **الأبعاد التربويّة لفعليّ التوبيخ والإهانة:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ التوبيخ والتقريع يعلّمانا فكرة أن البشر أصناف متنوعة، بشر لهم مكانة عند الله يتقربون إليه بمختلف العبادات وآخرون لا مكانة لديهم عنده، ولم يلاقوا إلا الذم والتوبيخ فذلك جزاؤهم لأنهم أنكروا ما جاء في كتاب الله العزيز.

2_ الأبعاد النفسيّة: هذا ما يعلّم الإنسان الشعور بالخوف والرهبة من أن يصاب بالذم والتقريع، فيلحق بهؤلاء المشركين، الذين أصابهم الإنكار والجحود.

3_ الأبعاد السلوكيّة: على الإنسان أن يكون حذرا في أفعاله، وخاصة تلك التي تقوده إلى الوقوع في إنكار ما جاء به كلام الله تعالى، فنحن في زمن الفتن، والسلاح الوحيد هو التمسك بالدّين، كما أن هذا الفعل يجعل الإنسان المؤمن يتذكر أنّ هناك آخرة وأنّ هناك حساب وبعث بعد الموت فلا تميل خطاه، فكلّما تذكر الإنسان أنّ هناك آخرة كلما اتزنت نفسه، وعولج ضعفه، واستقام شتاته...

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(9):**

قال تعالى:﴿**أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾**﴾.

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2233.

الخطاب القرآني في هذا المقام يتضمن فعلا قوليّا ويتضمن فعلا لفظيّا يتمثل في النطق بالجملة الاسمية المفتتحة بالاستفهام ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ كما ورد الاستفهام بالهمزة وفي قوله: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ ومعنى ﴿ أَمْ﴾ «عاطفة للاستفهام وهي للإضراب الانتقالي، أي بل أأمنتم»[1].

أمّا **المحتوى القضوي** فيشمل فعل الإحالة والمتمثل أولًا في المتكلّم المعلوم من السيّاق وهو الله (ﷻ)والمخاطب وهو من قصده سبحانه وتعالى وهم المنكرين المتناسين بأنّ السّلامة التي يعيشون فيها في البر نعمة عظيمة، فلو حدث لهم خسف؛ أي انقلاب لظاهر الأرض في باطنها من الزلازل لهلكوا[2].

وليس الغرض من الاستفهام هنا معناه الحقيقي؛ أي طلب الحصول على إجابةٍ من المخاطب، وإنّما الغرض كما يقول الطاهر بن عاشور «إنكاري توبيخي»[3] ؛ أي توبيخ لولائك الذين ظنّوا أنّهم إذا نجوا في البحر من العواصف أنهم سينجون في البر أيضا فلم يشكروا الله على هذه النعمة وعادوا إلى كفرهم؛ فالله «قادر على هلاكهم في البر وإن سلموا في البحر»[4].

وعليه، يمكننا القول إنّ **الفعل الإنجازي** لملفوظ هذا الخطاب القرآني ينقسم إلى قوّة إنجازية مباشرة تتمثل في الاستفهام، ويظهر ذلك من خلال بنية الآية الظاهرة، أمّا المقصود هو إنشاء **قوّة إنجازية غير مباشرة** تتمثل في **التوبيخ والإنكار** الذي يمكن تصنيفه ضمن قسم التعبيريات بحيث لا يوجد اتجاه مطابقة بين اللفظ والعالم؛ فالإنكار يتمثل في التعبير عن حالة السخط وعدم الرضا من هؤلاء البشر الذي يتناسون الله وقت الرخاء، والتوبيخ هو ذم لهم ، وبالتالي فهذه الأفعال تعبر عن انفعال لا يمكن الحكم عليها بالصدق ولا بالكذب وأكيد

[1] ـابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 163.

[2] ـ يُنظر: المرجع نفسه ، ص162.

[3] ـ المرجع نفسه، ص 162

[4] ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 123.

انفعالات الذات الإلهية تختلف تمامًا عن انفعالات البشر ولا وجه للمقارنة بينهما، أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في خشية الله في البر والبحر، وتذكره وقت الرخاء كما في الشدّة.

- **الأبعاد التّربويّة لفعليّ التوبيخ والإنكار لأولائك الذين تناسوا ربّهم وقت الرخاء والسعة:**

1_ الأبعاد الفكريّة: إنّ هذا يبيّن للنّاس قوّة الله تعالى التي تعالت وتعاظمت عن كلّ شيء في هذا الكون، فهو موجود في كل مكان «والبشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة، إنّهم في قبضته في البر كما هو في قبضته في البحر»[1]، وهذا يدعو العقل إلى التفكر والقلب إلى التّدبر...

2_الأبعاد النفسيّة: وهذا يورث في النّفس الخشية من انتهلاك حرومات الله والوقوع في الشهوات والشبهات، وارتكاب المعاصي، فمن كان هذا ربه، هل يمكنه أن يفعل غير ما يرضيه؟

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ التوبيخ والإنكار لأفعال هؤلاء الكافرين، تدعو المؤمن إلى إعداد العدّة، وإصلاح الحال والمآل، والنزوح بعيدًا عن من يتذكر الله وقت الشدّة ويتناساه وقت السعة، فالله تعالى يفتح لنا مشهدا لهؤلاء الجاحدين حتى نعتبر ونتفكر، ثم نجتهد ونجاهد...

- **التحليل التداولي للفعل الكلاميّ (10):**

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا** ۝٤٩﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآية ينقل خطابا على ألسنة المشركين بقولهم أنّهم لن يبعثوا خلقا جديدا بعدما كانوا عظاما ورفاتا.

والفعل اللفظي يظهر في التلفظ بعبارة (وقالوا...) **والمتحتوى القضوي** يتمثل في المرجع وهم المنكرين للبعث، والخبر هو استحالة بعثهم بعد الموت بعدما كانوا عظاما ورفاتا، والرفات هو

[1]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2240.

«ما تكسر وبلى من كل شيء كالفتات والحُطام والرُضاض»[1]، أمّا العظام فهو «جمع عظم، وهو ما منه تركيب الجسد للإنسان والدواب ومعنى (كنّا عظاما) أنّهم عظام لا لحم عليها» [2]؛ فقد أنكروا واستحالوا البعث؛ أي إعادة إحيائهم بعد موتهم.

وبالنّظر إلى ما سبق يمكن القول إنّ ملفوظ الآية الكريمة يواكبها **قوّتين إنجازيتين**، قوّة إنجازيّة مباشرة تطابق فيها قوتها الإنجازيّة مع معناها الحرفي وهو الاستفهام الذي يستدل عليه بأداة الاستفهام (الهمزة)، وقوّة إنجازيّة غير مباشرة مستلزمة منبثقة عن الاستفهام تتمثل في الإنكار والجحد، وهذا ما يراه الطاهر، والقرطبي[3]، ومنه يمكن تصنيف الآية ضمن فئة التعبيريات على الرغم من أنّ شكلها النحوي يوحي بأنّها من باب الطلبيات، إلاّ أنّ الاستفهام بالهمزة خرج عن معناه الحقيقي الذي يقصد به طلب التصديق إلى معنى الإنكار، أمّا **الفعل التأثيريّ** فيظهر في تجنب فعل الإنكار لقضايا أقرّها القرآن الكريم، وثبتت بالدليل في الأحاديث النبويّة.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل التعبير عن حالة الإنكار والجحود التي طبعت قلوب المشركين:**

1_الأبعاد الفكريّة: يبيّن لنا هذا الفعل أنّ الإنسان دائم في إنكاره وجحوده، وهذا الاستنكار ليس هو الأساس، فما فائدة إنكار حقيقة البعث بعد الموت، فهذا دليل على أنّ الإنسان غارق في ضعف إيمانه، و تناسى التركيز على بناء نفسه وتجديد توبته، فلو ثبت في قلبه الإيمان التام ما وقع في قلبه الجحد والإنكار.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ الخطاب القرآني في هذه الآيات يمُس الفطرة الإنسانية من أجل إيقاظها لتدرك حقيقة الوجود، وفي هذه الآية إشارة إلى ظلم الإنسان نفسه في إنكاره وجحوده وانحرافه إلى الكفر، وهذا ما يسبب له بعض الأمراض النفسية كالعداوة والبغضاء.

---

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 98.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 123.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص123، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 98.

3_الأبعاد السلوكيّة: يحتاج المؤمن أن يتعفف عن مثل هذه الأفعال، وأن يركز على أهم شيء وهو رضا الله، فقد كان هذا أهم ما يشغل الصحابة رضوان الله عليهم، كما لابدّ من تقوية الإيمان بالغيب فهذا هو سبيل الثبات والاستقامة، فدور الإنسان قائم على الحذر والتحذير والانتباه، والتنبيه.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(11):**

قال تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾.

وردت هذه الآيات في سياق تذكير النبي (ﷺ) بما لقي الأنبياء قبله من معاندة الأعداء والحسدة من عهد آدم[1]أمّا الخبر البارز هنا هوحوار إبليس مع الله (ﷻ).

فالفعل اللفظي يظهر في التلفظ بالآي السابقة، **والمحتوى القضوي** ينقسم إلى المرجع وهو إبليس، والخبر هو حوار إبليس مع الله.

ونلاحظ أنّ ملفوظ الآي قد عبر عن سلسلة من الأفعال يمكن تمثيلها ذلك بالشكل الآتي:

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 149.

الشكل (1)

الفعل الكلامي الكلي: (الانكار والحسد من قبل إبليس)

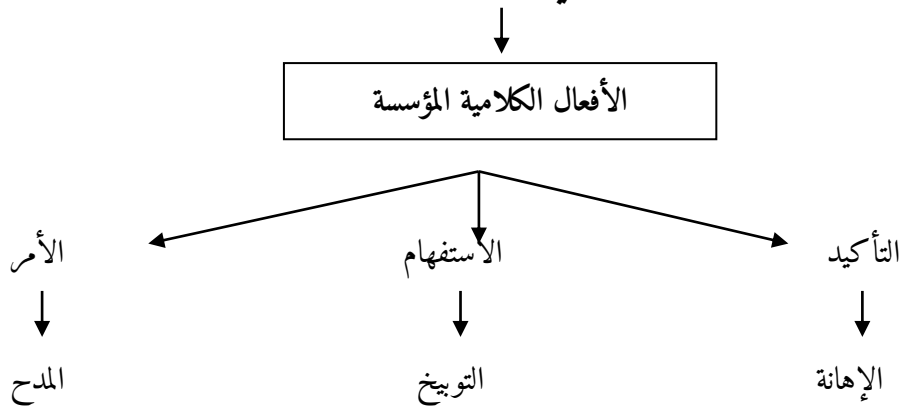

الاستفهام: كل الملائكة سجدوا إلا أبليس كان منكرا، ويعبر عن ذلك بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾، فالاستفهام هنا استفهام إنكاري[1]، فهو يعبر عن إنكاره الشديد للسجود لآدم وعن حسده له في تفضيل الله تعالى للإنسان عليه، فهو يرى أنّ «جوهر النار خيرا من جوهر الطين»[2]، وفي قوله :﴿أرأيتك هذا الذي...﴾ الكاف إحالة للمخاطب فإبليس يخاطب الله تعالى، خطاب كفر وجرأة، و(هذا) مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ، أي فضلته لمَ كرّمته عليَّ وأنا خير منه[3] ، وفي قول أبليس: ﴿لئن أخرتني ...﴾ تعبير عن عداوة إبليس اتجاه بني آدم دون أن يذكر آدم، فقد صدر هذا الكلام من إبليس « بعد أن أغوى آدم وأخرجه من الجنة فقد شفى غليله ومنه وبقيت العداوة مسترسلة في ذرية آدم»[4].

---

[1]_ أبو حيان، البحر المحيط،ج7، ص 77، ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 149، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 116.

[2]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 116.

[3]_ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ص 601.

[4]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 151.

فجلّ هذه الأقوال عبرت عن الإنكار، والحسد، والتكبر، وكل ذلك نابع من غرور إبليس وعصيانه لأمر الله، وقد أصبح بذلك ملعونا إلى يوم القيامة.

الأمر: في الجزء الثاني منها، والأمر في الآيات اللاحقة، في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴾ الذي يمثل أمرًا فيه إهانة[1]؛ فالمقصود بالأمر في هذه الحالة ليس الأمر على وجه الطلب وإنّما التعبير عن إهانة إبليس اللعين، أمّا في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ فهو «أمر تعجيز؛ أي إنّك لا تقدر على إضلال أحد وليس لك على أحد سلطان»[2]، كما أنه عبارة عن توبيخ للشيطان فكل هذه الأفعال شكلت **قوّة إنجازية مباشرة**، إلاّ أنّ المقصود إنشاء **قوّة إنجازية غير مباشرة** تندرج ضمن قسم التعبيريات تتمثل توبيخ وإهانة إبليس.

التّأكيد: أمّا وفي قوله تعالى:﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ إشارة إلى مدح الفئة التي تعبد الله ونتوكل عليه وتؤدي أمره، فوصف الله تعالى هذه الفئة بـ: (عبادي) تعبيرا على أنّ هؤلاء هم من قاموا بعبادة الله، أمّا من أعرضوا عن عبادته ليسوا من أولائك، فشتّان بينهم وبين أهل الشرك[3].

ويمكن القول إجمالا إنّ ملفوظ الآيات عبر عن سلسلة من الأفعال الإنجازية التعبيريّة غير المباشرة تمثلت في إنكار إبليس وحسده، ثمّ ما وجه إليه من إهانة، وتوبيخ، ثمّ مدح الله الفئة التي عبدته والتي لم تستهوها وسوسة الشيطان، والفعل الكلاميّ الكليّ يظهر في إهانة إبليس وتوبيخه، وبناءً على ذلك يظهر **الفعل التأثيريّ** في عبادة الله ودوام توحيده، والاستعاذة به من كيد الشطان وتلبيسه.

---

[1]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 117.

[2]_ المرجع نفسه ، ص 118.

[3]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص156.

- **الأبعاد التربويّة لفعل إهانة وتوبيخ إبليس اللّعين**

1_الأبعاد الفكريّة: يحاول الشيطان إيقاع الإنسان في الفتن، ويغويه بشتى السبل حتى يحيد، فيقع الإنسان في مكائد الشيطان ويرتكب ما حرّم الله، لذلك كان إبليس لعيناً مهانا...

2_الأبعاد النفسيّة: إذا علم المرء أنّ الشيطان ملعون مهان بما يحاول به من إغواء للنّاس وإيقاعهم في كيده، وأنّ في عبادة الله تحصن لهم من كيده، كوّن ذلك الشعور بالخوف من ترك الثغرة أمام الشيطان فيعصف به ويجره نحو الفتن والشهوات والشبهات.

3_الأبعاد السلوكيّة: التحصن بالعبادة، والحرص على أداء الفرائض والالتزام بها لهو من الأسباب التي تبعد مداخل الشيطان، فلا يكون له حينئذ سلطان على ذلك القلب الموصول بالله تعالى[1]؛ فمن أراد الابتعاد عن مكائد الشيطان عليه بالاعتناء بدينه والثبات عليه...

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(12):**

قال تعالى:﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾**﴾.

يتضح لنا من خلال الخطاب القرآني السابق أنّ **الفعل التلفظي** يظهر في النطق بالجملة الاستفهاميّة في الآية الأولى، أمّا **المحتوى القضويّ** فيظهر في قدرة الله على خلق البشر، وجعل لهم المقدار الذي يعيشونهم في الدنيا، ثم قدرته على الإنفاق كيفما يشاء على عباده.

ويظهر من خلال ما سبق أنّ البناء الشكلي للجملة استفهام (فعل كلامي توجيهي) ونستدلّ عليه بأداة الاستفهام (الهمزة)، إلا أنّ السياق لا يوحي بأنّ المقصود إنشاء استفهام حقيقي؛ إذ معنى الاستفهام هو طلب المتّلكم الحصول على إجابة من المخاطب، كما أنّ السياق لا يدل على أن المراد هو الاستفهام؛ فالمتكلّم هو الله الذي لا يطلب العلم بأي شيء مهما كان

[1]_ يُنظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ص2239.

فعنده الجواب والسؤال، وبالتالي لا يمكننا تصنيف الآية ضمن قسم الأفعال التوجيهيّة أو التوجيهيّات فلو صنفناه ضمن هذه الأفعال لكنّا مع مذهب النحاة (اللسانيات البنويّة)، لكننا بصدد تقسيم الآيات تداوليّا ومنه تصنف الآية ضمن فئة **التعبيريات أو التبينيّات**، ويتضح ذلك من خلال خروج الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ ﴾إلى معنى **الإنكار المشوب بالتعجيب** من انتفاء علمهم وهذا ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور، فقد أنكر الله وأبطل اعتقادهم باستحالة البعث عن طريق الاستفهام بالهمزة، كما أنه حملهم على التعجيب من حالتهم التي كانت بحال من لم تظهر له دلائل قدرة الله[1].

وصفوة القول إنّ **الفعل الإنجازيّ** قد ورد على هيئة قوّة إنجازية غير مباشرة تمثل في الإنكار المشوب بالتعجيب، أمّا الآية الثانية فهي عبارة عن «استئناف لتكملة رد شبهاتهم»[2]، وقد روي في حادثة نزولها أنّ المشركين قالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا، فطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدهم لتكثر أقواتهم وتتسع عليهم، فبيّن تعالى أنّهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم ولما قدموا على إيصال النفع لأحد، وعلى هذا فلا فائدة في إسعافهم بما طلبوا[3]، وقد جاء في الميزان أن هذا الكلام فيه توبيخ لهم[4] وقد تم إضمار الفعل بعد (لو) للاختصاص[5]؛ أي لاختصاص هؤلاء الناس بالتوبيخ ومنه يمكن تصنيف هذه الآيات ضمن قسم التعبريات، والفعل الإنجازيُّ فيها ظهر على هيئة قوّة إنجازيّة غير مباشرة تمثلت في التوبيخ ، وقد نتج عن جملة هذه الأفعال الإنجازيّة(الإنكار، والتعجيب، والتوبيخ) **فعل تأثيري** جامع يتمثل في توحيد الله والإيمان به.

---

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج15، ص 220.

[2]_ المرجع نفسه، ص 222.

[3]_ يُنظر: البحر المحيط في التفسير، ص 117.

[4]_ يُنظر: الطبطبائي، تفسير الميزان، ص211.

[5]_ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ص 609.

- **الأبعاد التربويّة لفعليّ الإنكار والتعجيب من أقوال المشركين باستحالة البعث بعد الموت.**

1_الأبعاد الفكريّة: كل الأدلة الموجودة في هذا الكون من حال السماوات والأرض وتقلبهما وخلق الكائنات، وما رزق به كل إنسان يوحي بأنّ الله تعالى هو الخالق والقادر الذي بيده ملكوت السماوات والأرض وهو القادر على بعث الإنسان بعد الموت، ومن ظنّ عكس هذا فإنّه يستحق التوبيخ وإنكار ادعائه.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في دعوة الله تعالى لتوحيده من خلال هذه الأفعال التعبيرية (الإنكار والتوبيخ لولائك الكفار) بعدا نفسيا يجعل «المسلم يعيش في يقين يثلج صدره وراحة نفسية بعيدا عن القلق والاضطراب»[1]، فهو الموّحد لربه، المحسن له سرّا وعلانيةً.

3_الأبعاد السلوكيّة: ويترتب عن الإنكار والتعجيب أبعادا سلوكيّة تظهر في تقوية صلة المؤمن بربه، فإن كان الكافر ملاقٍ بالذم والإنكار، فعلى المؤمن ألا يكون مثله ولا يتصف بأفعاله، فعليه الحفاظ على السلوكه من الانحراف والوقوع في ما حرّم الله تعالى.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(13):**

قال تعالى:﴿**۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠**﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآيات موجه إلى جميع البشر من بني آدم والنطق بهذه الألفاظ يشكل **الفعل القولي**، والمتمثل في الجملة الاسمية، الخبرية، والبارز فيها هو استعمال أدوات التوكيد اللام وقد، «والإتيان بالمفعول المطلق في قوله:(تفضيلا) لإفادة ما في التنكير من التعظيم أي تفضيلا كبيرا»[2].

[1]_ محمد عبد الله محمد سليم الشحي، القواعد التربوية المستنبطة من سورة الإسراء (مقال)، جريدة الحكمة، جانفي 2019 ، ص55.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 166.

أمّا **المحتوى القضوي** فيتمثل في تكريم بني آدم وحملهم في البر والبحر، حيث أخبر الله تعالى الناس بأنهم يفضلون على سائر المخلوقات من العقل وحسن الصورة وغيرها والمراد بهذا هو تفضيل الجنس وليس تفضيل أفراده[1]؛ أي تفضيل وتكريم كل جنس البشر بغض النظر عن كونهم من المسلمين أو الكفار أو بما فعلوه من خير أو شر أو حلال أو حرام فحب الله للإنسان قد كان قبل نزول الشرائع والأحكام...[2]

وعليه يمكن القولب إنّ ملفوظ الخطاب القرآني في هذه الآيات يعبر عن فعل كلامي مباشر وهو الإخبار، إلاّ أنّ الفعل **الإنجازي غير المباشر والمتضمن في القول** الذي يعبر عنه هذا الملفوظ هو فعل كلامي تعبيري يتمثل في **حب الله للإنسان** فقد « كرم الله بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة»[3]؛ فليس الغرض هنا الإخبار عن قضية أو إثباتها أو وصف شيء ما؛ فالأصل في الخبر أن يوجه إلى مخاطب يحتاج الحصول على معلومة جديدة[4]، لكن الله سبحانه وتعالى لا يريد الإخبار، فقد ثبت أنّ الإنسان مكرم ومفضل عن سائر المخلوقات، وإنما هو التبيين والإفصاح عن محبة لهذا المخلوق[5].

وما زاد في درجة شدّة القوة الإنجازية استعمال الكلمات من قبيل:

﴿**وَحَمَلْنَاهُمْ**﴾،﴿**وَرَزَقْنَاهُم**﴾... فكل تلك المعاني تحمل دلالة التعبير عن الحب، وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنّ محبة الله تختلف عن شعور المحبة التي يصدرها باقي المخلوقات فمحبته منزهة

---

[1]_ الزحيلي وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، المجلد8، ص 131.

[2]_ يُنظر: محمد سعيد رمضان البوطي،الحب في القرآن ودوره في حياة الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط4، 2011، ص 16.

[3]_ السعدي، تفسير السعدي، ص 483.

[4]_ قاسم حسام أحمد، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص 340.

[5]_ يُنظر: محمد سعيد رمضان البوطي، الحب في القرآن ودور الحب في حياة الإنسان، دار الفكر، 2011، ط 4، ص 16 _17.

عن الشبيه والنظير[1]، ويمكن القول إنّ انفعال الحب الصادر من الله سبحانه وتعالى ورد من أجل تقريب المعاني وإيصال الفكرة.

وصفوة القول يمكن تصنيف هذه الآية ضمن قسم التعبيريات وذلك لما حملته من فعل تعبيري ليس الغرض منه جعل الكلمات مطابقة للعالم ولا جعل العالم مطابق للكلمات فلا اتجاه مطابقة في هذه الأفعال، لأنّ هذه الآيات تحمل معاني الحب ولا يُقصد منها نقل واقعة ما كما أنهّ ليس الغرض من هذه الآية الطلب من المتلقي اتباع أمر ما أو اجتناب نهي ما، فهذا تبيان عن الحب الذي خصه الله لكل بني البشر على اختلاف ألوانهم وألستهم...

إن الفعل التأثيري المتوقع حدوثه بعد هذا الفعل التعبيري هو محاولة استبقاء حب الله بشكره وحمده على هذه النعم العظيمة، باتباع أوامره واجتناب نواهيه وفي ذلك يقول الطبطبائي في البحر المحيط: «ليتذكروا فيشكروا نعمه ويقلعوا عن ما كانوا فيه من الكفر ويطيعوه تعالى»[2].

- **الأبعاد التربويّة للفعل التعبيري المتمثل في الحب والتكريم الذي خصه الله لكل بني البشر على اختلاف ألوانهم وألستهم :**

إنّ التكريم الذي خُصّ به الإنسان لم يكن ثمرة لمجهود قام به فنال هذه المزية وإنّما محبته له كانت بأن جعله أفضل مخلوق على وجه الأرض[3]؛ فأنعم عليه بالحب والتكريم؛ فحب الله لا يشبه حب البشر حبه بلا مقابل وبلا مادة، فما الأبعاد التربويّة التي يمكن أن نستشفها انطلاقا من الفعل التعبيريّ السابق؟

1_الأبعاد الفكريّة:هذا ما يكوّن لدى الإنسان فكرة أنّه مكرّم بالفطرة، وتكريمه لا يشبه تكريم أي مخلوق على وجه الأرض؛ فقد خلقه في أحسن تقويم، وسخرّ له الأرض ذلولًا، ورزقه من كلّ الطيبات...

[1]_ يُنظر: محمد سعيد رمضان البوطي، الحب في القرآن ودور الحب في حياة الإنسان، ص19.

[2]_ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص 84.

[3]_ يُنظر: محمد سعيد رمضان البوطي، الحب في القرآن ودور الحب في حياة الإنسان، ص17_ 16.

2_الأبعاد النفسيّة: وهذا ما يؤثر في نفس المتلقي بأنّه أفضل مخلوق، فقد كرّمه الله، وخلقه في أحسن تقويم، وسخر كل ما على الأرض لخدمته...

3_الأبعاد السلوكيّة: على الإنسان أن يحافظ على هذه المزيّة التي خصه الله بها ولا ينزل بنفسه إلى الدرك الأسفل ويترك الثغرة لتحقيق الشهوات والشبهات، فينزع عن نفسه صفة كونه أفضل مخلوق على وجه الأرض...؛ فلابدّ من مقابلة الحب بالحب أيضا، وحب الله يكون بتنفيد أوامره والانتهاء عن نواهيه ولن يحصل ذلك إلا بالاهتداء بكتاب الله والتمسك بسنّة رسول الله، ولعلّ أفضل ما يساعد على ذلك التقرب إلى الله بشتى أنواع العبادات كالإكثار من ذكر الله، « فمن المعلوم أن من أحب شيء أكثر من ذكره»[1]، وإقامة الصلاة في وقتها ولم لا الزيادة بصلاة النوافل والصدقة وغيرها من أنواع العبادات.

- **الحليل التداولي للفعل الكلامي (14):**

إنّ في ملفوظ الخطاب القرآني يعبر عن **قوّة إنجازيّة حرفية** مدركة مقاليّا تتمثل في الأمر بالفعل (قل) ثمّ الإخبار عن صفات الذين أوتوا العلم، وعند التلفظ بهذه العبارات البنوية يتشكل **الفعل اللفظي، أمّا المحتوى القضويّ** فينقسم إلى **الخبر** وهو عدم الإيمان بالقرآن الكريم، **والمرجع** وهو الكفار.

وانطلاقًا من البنية المقالية لملفوظ هذه الآيات نلاحظ بأنّ السياق يُظهر ذمًّا من الله تعالى للذين لا يؤمنون بالقرآن ومدحا للذين أوتوا العلم؛ حيث يظهر ذمه للفئة الأولى باستغنائه عنهم بالذين أوتوا العلم؛ فتقدير الكلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُواْ﴾؛ أي إيمانكم بالقرآن وعدمه سواء لأنّه تعالى مستغن عن إيمان هذه الفئة بالذين أوتوا العلم، فاستغناؤه عن الفئة الأولى هو في مقام الذم وتحقير وتقريع لهم ، فهذا الكلام جاء لتحقير الكفار وقلة المبالاة بهم، وضربه تعالى المثل بالذين أوتوا العلم ورد على جهة التقريع[2]، (التوبيخ الشديد) ؛ أمّا

[1]_ محمد سعيد رمضان البوطي، الحب في القرآن ودور الحب في حياة الإنسان ، ص57.

[2]_ يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ص 124_126، وتفسير التحرير والتنوير، ص 232.

استغناؤه بهم بالذين أوتوا العلم هو بمثابة مدح لهذه الفئة وهناك من رأى بأنّ المراد بالذين أوتوا العلم الذين آمنوا بصدق النبيّ صلّ الله عليه وسلم وصدق القرآن قبل نزوله ومنهم ورقة بن نوفل[1].

وعليه، يمكننا القول إنّ **الذم، والتقريع، والتحقير** للفئة الأولى يعدُّ **قوّة إنجازية غير مباشرة والمدح** للفئة الثانية **قوّة إنجازية مستلزمة** أخرى، فالله تعالى مدح هذه الفئة التي لم تكن كالكفار، يقول أبو حيان: «لأنّ هؤلاء لم يكونوا كالكفار بل كان الذين أوتوا التوراة والإنجيل، والزبور والكتب المنزلة كانوا إذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا»[2]، هؤلاء يسبحون الله ويخرون للأذقان سجدّا...وعلى الرغم من أن ظاهر الكلام لا يدل على مدح لهؤلاء إلّا أنه في توبيخه تعالى للكفار على عدم إيمانهم ينتج عنه تلقائيا مدحه للجهة المعاكسة أو للذين آمنوا، لذلك ظهرت قوّة إنجازية غير مباشرة أو مستلزمة والتي يمكن أن نستشفها من بعض المَعينات البنوية ومنها قوله تعالى:﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدَا﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ وقد حقق هذا الخطاب قوة إنجازية تتمثل في الدعوة لتدبر القرآن الكريم والخشوع في قراءته.

ويمكن تصنيف هذه الأفعال الإنجازيّة ضمن فئة التعبيريّات، إذ لا يوجد اتجاه مطابقة بين اللفظ والعالم كأفعال التوجيه مثلا، فالمدح والذم من الأفعال التي لا تسعى لإحداث تغيير في العالم إنطلاقا من التلفظ بها، وعلى الرغم من ذلك يمكننا التنبؤ **بفعل تأثيري** فغاية كل فعل كلاميّ هي إحداث تأثير ما في المخاطب، حتى وإن لم يتسبب الفعل الإنجازي بإحداث تغيير فوري في سلوك المخاطب، فقد يتحقق التأثير باستيعاب مغزى الفعل الكلاميّ فحسب، ولذلك نستطيع القول إنّ الفعل التأثيري يظهر محاولة الاتصاف بفئة الذين أوتوا العلم، والابتعاد عن صفات الفئة المذمومة.

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص233.

[2]_ أبو حيان، البحر المحيط، ج13، ص 126.

- **الأبعاد التربويّة لفعل ذم وتوبيخ الله تعالى للذين لا يؤمنون بالقرآن وفعل مدح الذين صدّقوا به:**

1_ الأبعاد الفكريّة: مدح الله لفئة الذين أوتوا العلم، يبث أفكارا عظيمة تتجلى في قيمة هذا القرآن الكريم، وبأنّ كل من آمن به وسار على هديه، وتدبر معانيه بكلّ ما أوتي من قوّة استحق مدح الله تعالى كما أنّه بسلكه طريق القرآن العظيم فائز لا محالة.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ مدح فئة الذين يتأثرون بالقرآن الكريم بسبب ما أوتوا من العلم يرسم في نفوس المؤمنين حالة شعورية بعظمة الله وصدق وعده، وبحب تدبر القرآن الكريم والتأثر بمعانيه العظيمة؛ فشعور هؤلاء الذين ذكرهم الله في هذه الآيات عند تدّبرهم لمعاني آيات القرآن لا يوصف ولا يمكن أن تدركه العقول[1]، فلشدّة تأثرهم به لا يسجدون فحسب وأنّما يخرّون يحمدون الله سبحانه وتعالى.

3_ الأبعاد السلوكيّة: هذا ما يزيد في محاولة المؤمن الوقوف عند آيات القرآن الكريم بالتدبر والتفكر والتأمل والخشوع والتفاعل حتى يلحق بدرجة أولئك الذين أوتوا العلم والذين إذا تُلي عليهم القرآن خرّوا إلى الأذقان سجّدا، فحظ المؤمن من مدح هؤلاء والثناء عليهم لحبهم للقرآن واستشعارهم معانيه أن يكون مثلهم ويتصف بصفاتهم؛ لذلك فعلى المؤمن أن يجاهد نفسه لتدبر معاني آيات الله؛ فتدبر القرآن الكريم يورث الإنسان قوّة في الإيمان وزيادة فيه.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(15):**

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾﴾.

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2254.

إنّ الخطاب القرآني في هذا المقام يحكي لنا حالة الكفر والإنكار التي كان عليها المشركين فقد كفروا بالقرآن وطلبوا معجزات أخرى منها ما فيها منافع لهم كأن يفجر لهم الأرض ينبوعا ويجعل لهم بيتا من زخرف، أي من ذهب ومنها ما فيها مضار لهم بأن يسقط عليهم كسفا من السماء، أي قطعا[1]، وقيل أن هذه الآيات نزلت في رؤساء قريش مثل عتبة وشيبة بن ربيعة وغريهم وذلك أنهم لما عجزوا عن معارضة القرآن ولم يرضوا به معجزة بعثوا إلى الرسول (ﷺ) وعاتبوه على الطعن في دينهم وعرضوا عليه الأموال، فأجابهم بأنه رسول من الله إليهم لنصحهم وهداهم فلما رأوا منه الثبات طلبوا منه هذه المعجزات[2]، وضمير الجمع في ﴿وَقَالُواْ﴾ عائد على الذين كفروا بالقرآن الكريم وطلبوا معجزات أخرى، ومنه نقول أن الفعل الإنجازي لهذا المحتوى القضوي غرضه التعبير عن حالة **الكفر والإنكار** من قبل هؤلاء، وهو فعل إنجازي غير مباشر يندرج ضمن فئة التعبيريات أو التبيينيات وقد دلت القوة الإنجازية لهذا الفعل الإنجازي عن إصرار هؤلاء على الكفر والعناد والتكذيب وامتناعهم عن الإيمان.

وما زاد في شدة درجة القوة هو تكرار بعض الألفاظ من قبيل (أو تكون) و(لن نؤمن لك) وحرف(لن) المفيد للتأبيد[3]، أي إيمانهم لن يكون أبدا والزيادة في اقتراح المعجزات، ويوحي ذلك أيضا بالتهكم على الرسول(ﷺ) وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ «أمر من الله تعالى إلى الرسول (ﷺ) بأن يجيبهم مما يدل على التعجب من كلامهم بكلمة (سبحان ربي) ثم بالاستفهام الإنكاري»[4]، وجاء في البحر المحيط أن ابن كثير وابن عامر قرأ ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ قال بدلا من قل على الخبر تعجب عليه الصلاة والسلام من اقتراحاتهم ونزه ربه عما جوزوا عليه من الإتيان والانتقال وذلك في حق الله مستحيل[5]، ومنه يمكن عد هذه

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص 174_175.

[2]_ يُنظر: القرطبي، ص 172، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 206_207.

[3]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 210.

[4]_ المرجع نفسه، ص 210_211.

[5]_ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج7، ص113.

الإجابة سواء ب (قال) أو (قل) تعبير عن حالة **التعجب والإنكار** من قبل الرسول (ﷺ) من باب التعبيريات فلا اتجاه مطابقة بين اللفظ والعالم.

ويمكننا القول أن هذه الآيات شملت متوالية من الأفعال الكلامية يمكن تمثيلها في المُشجر الآتي:

الشكل (1)

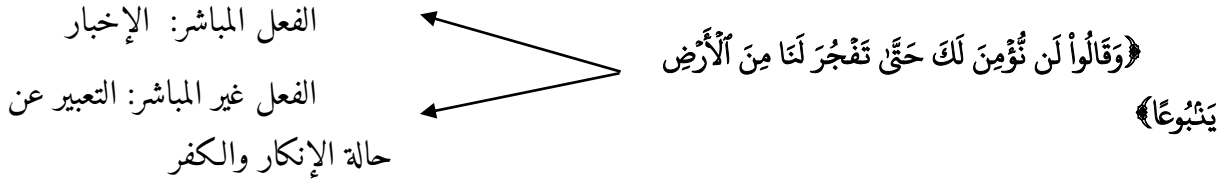

الشكل (2)

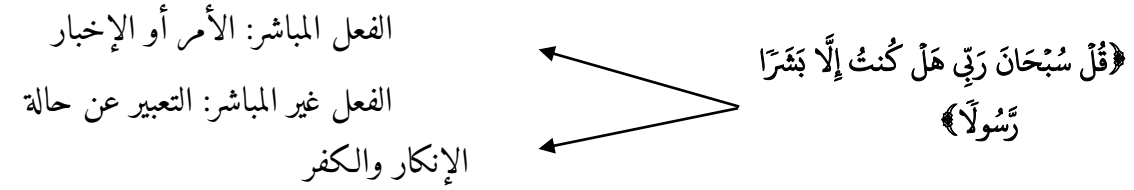

وعليه يمكننا القول إنّ الفعل الكلاميّ الإجماليّ يتمثل في التعبير عن حالة الكفر والإنكار التي طبعت عقول وقلوب المشركين، أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر ي إدراك حقيقة هؤلاء الكفار ومدى سذاجة تفكيرهم وقصور إداكهم..

- **الأبعاد التربويّة لفعل التعبير عن إنكار وجحود الكفار وامتناعهم عن الإيمان**

1_**الأبعاد الفكريّة:** إنّ تعبير الكفار عن جحودهم وإنكارهم لما جاء به محمد (ﷺ) يصوّر لنا حالة حقيقة هؤلاء الكفار وقلة أدبهم في مخاطبة الرسول وسذاجة عقولهم[1]، وهم بفعلتهم هذه

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2250.

قد عجزوا فعلا عن إدراك آيات الإعجاز الكونية فطبع الله على قلوبهم؛ فأصبحت لا تدرك ولا تعقل شيئا بعيدة كلّ بعد عن استشعار لذة آيات الله الكونية.

2_الأبعاد النفسيّة: هذا ما يشعر المسلم بحالة ازدراء لهؤلاء المشركين الكافرين الذين خاطبوا رسولهم الكريم بتلكم الطريقة التي توحي بقلة أدبهم وصغر عقولهم الباحثة عن المقترحات والآيات الماديّة متناسين حكمة الله تعالى وعظمة القرآن الكريم وما صرّف فيه من أمثال وعبر.

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ هذا ما يكوّن بعدًا سلوكيًّا يتمثل أساسًا إدراك صغر حجم عقول الكفرة، الطالبين لمقترحات حسية لا تقارن بخوارق القرآن العظيمة، وكل هذا لا يمكن أن يدركه إلا المؤمن المتدبر المتفكر في آيات الله وأنّ الشيء الذي لا تدركه الحواس هو الأعظم، ولذلك استحقوا غضب الله تعالى وعذابه الأليم.

المبحث الثاني: الأبعاد التّربويّة للتّعبيريّات في سورة الأنفال

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (1):**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾.

تعبر هذه الآيات عن **محتوى قضوي** يتمثل في الحديث عن المؤمنين وبما اتصفوا به من «الصفة القلبية، والبدنية، والمالية»[1]، فصفتهم القلبية تتمثل في الوجل من الله؛ أي الخوف لاستعظام الموجل منه[2]، والإيمان والتوكل على الله، والبدنية تتمثل في إقامة الصلاة والمالية في الإنفاق في سبيل الله، حيث دلّت كلمة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ عن إحالة شخصية للمؤمنين، وبالنظر إلى ملفوظ الآية يمكننا القول أنّ المقصود شيء فوق الوصف والإخبار، ففي الآية مدح للمؤمنين

[1]_ أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص 455.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص 556.

وتشريف وتكريم لهم[1]، وهذا يدخل ضمن الأفعال التعبيريّة؛ **فالقوّة الإنجازيّة المباشرة** دلت على الوصف والإخبار أمّا **القوّة الإنجازيّة المستلزمة** فتمثلت في المدح والتشريف، ومازاد في درجة شدة القوّة الإنجازيّة قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِم﴾ ففيها « زيادة تشريف لهم وتكريم وتعظيم وتفخيم»[2]، في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وفي تقديم الجار على المجرور ذم للمشركين[3]، بأنّهم لا يتوكلون على الله وهذا من قبيل التلميح وعدم التصريح(التعريض) في البلاغة العربيّة وما يقترب قليلا من مفهوم الاستلزام الحواري التداوليّ.

- **الأبعاد التربويّة لفعل مدح وتشريف وتكريم المؤمنين:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ مدح المؤمنين الذين اتصفوا بعلامات الخوف من الله وتذكره، يبث في المرء فكرة أنّ المؤمن إذا عظّم حدود الله استحق المدح، والتشريف، والتكريم.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ الفعل التعبيري (المدح التشريف...) يترك في نفس المسلم أثر يتلمس قلبه بأنّ المؤمن المعظّم لحدود الله الواجل إذا ذكر الله، الخائف من انتهاك حدوده، له مكانة كبيرة عند الله.

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ هذا المدح يجعل المسلم يكابد ويجاهد حتى يكون مؤمنا يعظم حدود الله، فإذا ذُكر الله تذكر وإذا خوّف بالله خاف، والوصول إلى كلّ هذا يكون بتعظيم كتاب الله والتدبر في خلقه فتزيده إيمانا.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(2):**

قيل أن الآية الأولى نزلت بعدما «نظر رسول الله (ﷺ) إلى المشركين ووجدهم ألف وأصحابه ثلاثمة وبضعة عشر رجلا؛ فاستقبل نبي (ﷺ) القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص 259_260.

[2]_ الشوكاني، الفتح القدير، ص523.

[3]_ يُنظر : ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 259.

أنجز ما وعدتني به اللهم أن تهلك هذه العصابة...»[1]، وعلى هذه الرواية يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ يحيل إلى النبي (ﷺ) وعبر عنه بضمير الجماعة لأنّه كان يدعو لأجلهم، فاستجاب الله لدعائه وأمدهم بألف من الملائكة يكونون لهم عنوانا وسندا على النصر، والظاهر من خلال ما سبق أنّ **المحتوى القضوي** يظهر الحديث عن نصرة المؤمنين في غزوة أحد رغم قلة عددهم، وملفوظ الآية يعبر عن الإخبار، لكن بالاستئناس بما قاله المفسرون بخصوص هذه الآيات نجد بأنها تعبير عن **امتنان** الله على عباده بأن استجاب لدعائهم؛ فأمدهم بألف من الملائكة مردفين؛ أي متتابعين فرقة بعد فرقة، ثم أنزل عليهم نعاسا يغشاهم أي يذهب ما في قلوبهم من الخوف والوجل ثم أكرمهم بإنزال المطر الذي نزل في وقت حاجتهم إليه[2]، فكل هذه عبارة عن منن من الله (ﷻ) .

ومنه يمكننا القول إنّ السياق المقامي لهذه الآيات دلّ على فعل إنجازي يعبر عن قوّة إنجازيّة غير مباشرة تتمثل في **الامتنان** الذي يندرج ضمن فئة الأفعال التعبيريّة، **أمّا الفعل التأثيري** فيظهر في دعوة المؤمنين على مواصلة القتال والجهاد في سبيل الله دون الخوف من المشركين؛ لأن منن الله ستكون مرافقة لهم ويمكن تلخصين عناصر الفعل الكلامي في المخطط الآتي:

الشكل (1)

[1]_ الزمخشري، الكشاف، ص 405.

[2]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج10، ص457، وابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص 279، السعدي، تفسير السعدي، ص312.

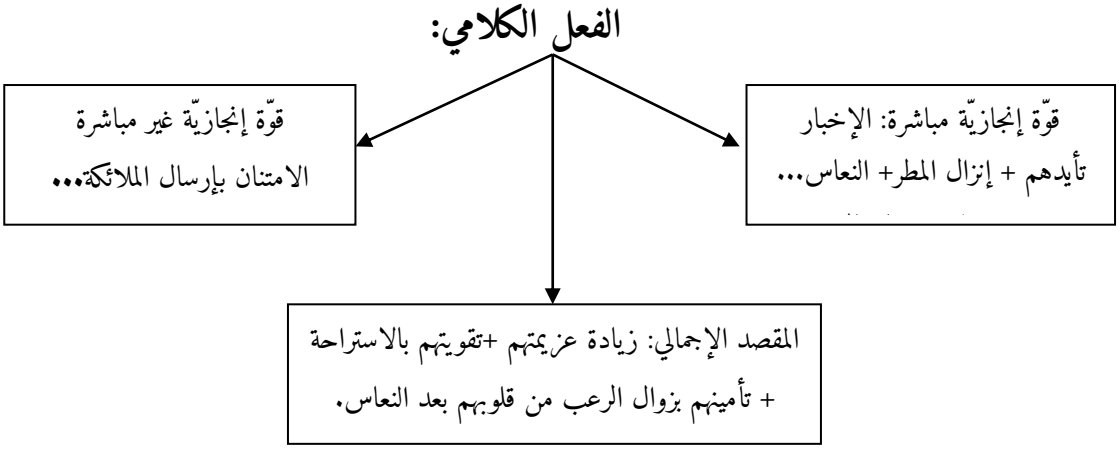

- **الأبعاد التّربويّة لفعل امتنان الله تعالى بإمداد المؤمنين بألف من الملائكة مردفين:**

1_الأبعاد الفكريّة: النصر سيكون من عند الله لا من عند أحد من النّاس؛ فالمسلمون لم يقاتلوا المشركون بعدتهم المادية الضعيفة وعددهم القليل فحسب، وإنما كان مدد السماء يتنزل عليهم، وملائكة الرحمن تثبتهم، وتلقي الرعب في نفوس أعدائهم.

2_الأبعاد النفسيّة: هذا داعٍ للاطمئنان من أنّ النصر بيد الله، وإنّ النصر سيكون حليف المؤمنين مهما طال بهم حال الحصار والحرب، فالذي نصر المؤمنين يوم بدر رغم قلة عددهم قادر على أن ينصر جميع المؤمنين المستضعفين في أي مكان وزمان.

3_الأبعاد السلوكيّة: تذكير الله تعالى بأنّه سينصر عباده المؤمنين المستضعفين رغم قلة عددهم وأنّه لن يخيبهم في ضعفهم وقلة حيلتهم، توحي بأبعاد سلوكية لعلّ أهمها استشعار قرب ومعية الله ما يجعل المؤمن أكثر ثباتًا وصبرا وتضحية في ابتلاءاته وشدائده القادمة.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(3):**

إنّ الخطاب القرآني في هذا المقام موجه إلى المشركون الذي ضربت أعناقهم وبنانهم والضمير في﴿فَذُوقُوهُ﴾ خطاب إليهم، واسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يشير إلى العذاب الذي سلطه

الله عليهم [1]، (ضرب الأعناق والبنان: ينظر في فصل التوجيهيات)، والظاهر من ملفوظ الآية أنّها وردت في بناء نحوي ودلالي سليمين ومن ثمّ فالتلفظ بها يحقق **الفعل اللفظي**، أمّا المحتوى القضوي فيظهر في الحديث عن عذاب الكفار، وعلى هذا نلاحظ أنّ البناء الشكلي للآية أمر للكافرين، ونستدلّ على ذلك من بالفعل الأمر﴿فَذُوقُوهُ﴾ لكن إذا عدنا إلى ملابسات الآية نلاحظ بأن المقصود ليس الأمر الحقيقيّ بتذوق العذاب، وإنّما خرج الأمر لقصد **التوبيخ والتقريع**؛ أي ذلكم العذاب الواقع في بدر من ضرب الأعناق وتقطيع البنان ما هو إلا غيض من فيض عذاب النار يوم القيامة، وقال ابن عاشور: فصيغة الأمر مستعملة في الشماتة والإهانة[2]، فكل هذه المعاني التداوليّة لا يمكن تحديدها إلا بمعرفة السياق والملابسات المرتبطة بعلاقة المتكلّم بالمخاطب[3].

وعليه، نستنتج أن الفعل الكلامي دلّ على قوة إنجازية مباشرة وهي الأمر وأخرى غير مباشرة تتمثل في التوبيخ، والإهانة وهو الفعل المقصود من الآية، إذًا يمكننا تصنيف فعل الإهانة والتوبيخ ضمن قسم الأفعال التعبيريّة؛ بحيث لا وجود لاتجاه مطابقة بين كلمات هذا الفعل وبين العالم.

- **الأبعاد التربويّة لفعل توبيخ وتقريع الكافرين:**

1ـالأبعاد الفكريّة: تلقى الكفار كلّ أنواع الإهانة والتوبيخ، وغيرها ومع ذلك مازالوا يصرّون على الكفر والعصيان، وذلك حال بعض البشر اليوم، فرغم وجود العبر من الأمم التي سبقتهم إلّا أنّهم باقون على طريق الضلال، وهذا ما يربي لدينا فكرة أخذ العبرة من الحوادث التي سبقتنا، ومن سلوكات الكفار الذين سلكوا طريق الضلال فاستحقوا الإهانة والتوبيخ بأن لا نكون مثلهم، وألّا نسير على خطاهم.

---

[1]ـ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص 285.

[2]ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، ج 9، ص 285.

[3]ـ يُنظر: خالد ميلاد، الأنشاء في العربيّة، ص123، مؤيد أل صويت، والخطاب القرآني في البعد التداوليّ، ص123.

2_الأبعاد النفسيّة: إذا كان هذا هو حال الكافر يتلقى شتى أنواع الإهانات من الله(ﷻ) بسبب تماديه في الكفر واتباعهم الزيغ عن الحق، فإنّ الإنسان المؤمن حتما سيكون منزها عن مثل هذه الأفعال لذا سيشعر بنوع من الأمان والاطمئنان، لأنه سيكون بعيدا عن الإهانه والتوبيخ التي تخص الكافر الذي لا يقيم حدود الله.

3_الأبعاد السلوكيّة: على الإنسان أن يعمل جاهدا على تجنب إهانة الله وتوبيخه، ويكون ذلك، بطاعته وتجنب معصيته، فالتوبيخ والإهانة أفعال تقع بسبب المعصية، وتزول بالطاعة.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(4):**

قال تعالى: ﴿**فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٧ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾.

ورد في حادثة نزول هذه الآيات أن «أصحاب الرسول (ﷺ) لما صدروا عن بدر، ذكر كل واحد منهم ما فعل: قتلت كذا، فعلت كذا، فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك، فنزلت الآية إعلاما بأن الله تعالى هو المميت والمقر لجميع الأشياء»[1]، فهذا هو السياق العام لنزول هذه الآي وانطلاقا منه يمكننا القول إنّ الفعل اللفظي يتمثل في النطق بالعبارة في بناء صوتي، ونحوي ودلالي أمّا «الفاء جواب شرط محذوف، تقديره: إن افتخرتم بقتلكم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم»[2]، وعليه فإنّ الخطاب القرآني في هذه الآيات يتضمن **محتوى قضوي** يمثل في الحديث قتل كفار قريش ورميهم يوم بدر، بقدرة من الله وذلك بإنزال الملائكة وإلقاء الرعب في قولبهم، والخطاب موجه إلى المؤمنين، ففي قوله تعالى: ﴿تَقۡتُلُوهُمۡ﴾ إحالة شخصية لهم.

[1]_ القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص476.
[2]_ الزمخشري، الكشاف، ص 408.

ولو نظرنا إلى العبارة نظرة فاحصة لتراءى لنا ـعبر تحليلهـ أنّ البنية السطحية تندرج ضمن قسم الإخباريّات غير أنه يؤول نحو التعبيريّات، حيث توحي العبارات المعجمية من قبيل (ولكن الله قتلهم) (ولكن الله رمى) على تذكير الله تعالى لهم بمننه ونعمه فهو الذي قواهم وأعانهم على النصر يوم بدر وفي ذلك يقول الطنطاوي (ت1431هـ) «والمعنى: ذلكم الذي منحته إياكم من العطاء الحسن، والقتل للمشركين والإمداد بالملائكة وإنزال الماء عليكم ذلكم كله نعم ومنن مني إليكم»[1].

وعليه نستطيع القول إنّ ملفوظ الآي دلّ على قوّة إنجازية غير مباشرة تتمثل في الإخبار، وأخرى غير مباشرة تتمثل في **الامتنان** وهو من الأفعال التعبيريّة، وفي ذكر امتنان الله (ﷻ) على المؤمنين دليل على تأييد الله لهم ونصرته إيّاهم، **والفعل التأثيريّ** للامتنان هو حمد الله وشكره على هذه المنن والعطايا، كما يدعو هذا إلى رد كل شيء إلى القوّة والإرادة الإلهيّة.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل الامتنان بنصرة المؤمنين وتحقيق غلبتهم على عدوّهم يوم بدر**

1ـالأبعاد الفكريّة: إنّ في تذكير المؤمنين (امتنان) بأنّ نصرهم يوم بدر وغلبتهم كان بفضل الله يوضح فكرة قوّة وحكمة الله وقهره[2]، وأنّه الغالب الذي يُغلب، وكلّ شيء يحدث بإذنه، فما رميُ المؤمنين وتسديهم ماكان بقوّتهم وإنّما بقوّة الله تعالى التي لا تقف أمامها جنود العالم قاطبةً.

2ـالأبعاد النفسية: على المؤمن أن يطمئن بأن الخير والغلبة والنصر والأمنة كلّها من الله.

3ـالأبعاد السلوكية: إنّ هذا ما يثير لدى المؤمن إدامة التعلق بالله تعالى وأن يعمل وهو مؤمن بهذه الحقيقة ؛ فهذا ممّا يساعده على دوام استمداد العون من الله (ﷻ) لا من أحد غيره.

[1]ـ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج6، ص 22.

[2]ـ يُنظر: أحمد السّيد، معالجة القرآن لنفوس المصلحين،منار الفكر، ط1، 2023، ص45.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(5):**

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

نزلت هذه الآية في المهاجرين، « كانوا بمكة قليلي العدد مقهورين فيها، يخافون أن يسلبهم المشركين»[1]، يدل ملفوظ هذه الآية عن فعل كلامي يتمثل في في **الفعل اللفظيّ** والمتمثل في النطق السليم بالجملة المفتتحة بفعل الأمر، أمّا **المحتوى القضوي** فيظهر تأييد ونصرة المؤمنين، وبالنظر إلى سياق الآية نلاحظ بأنّها تعبر عن قوّة إنجازية غير مباشرة تتمثل في **الامتنان** والذي يستدل عليه بالصيغة النحويّة (الأمر) في قوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾ حيث ورد الأمر هنا لغرض **الامتنان** فالله تعالى يذكّر عباده بالنصر الذي أيدهم به يوم بدر فبعد أن كانوا قلة كثرهم، وبعد ضعفهم قوّاهم، وبعد خوفهم أمنَّهم[2]، ورزقهم بالطيبات وهي الغنائم[3]، ويحمل الامتنان معنى ثانٍ يتمثل في دعوة الله عباده ليشكروه على هذه النعم، ومنه فإنّ **الفعل التأثيريّ** يتمثل في شكر الله وحده على نغمه، فالله يحب الشكر وأهل الشكر وهذا ما يليق بعظيم ما أنعمه على عباده.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الامتنان:**

إنّ لفعل **الامتنان** في هذا المقام وما صاحبه من فعل تأثيري يدل على أبعاد تربويّة تتمثل في:

1ـالأبعاد الفكريّة: والمتمثل في أنّ الله أراد أن يذكر المؤمنين بأنّهم كما صبروا ساعة وكانوا أذلاء مستضعفين قلة لا حول لهم ولا قوة، فعليهم أن يشكروه سبحانه على ما أنعم به عليهم من تأييد ونصر، فالفضل بيده والسلطان سلطانه يؤتي فضله من يشاء، كماتبين هذه الآيات أعظم منّة قد يرزقها الله لعباده وهي التأييد على النصر، فسبب نصر المؤمنين في معركة بدر كان بتأييد

[1]ـ أبو حيان، البحر المحيط، ج4 ص479.

[2]ـ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص 314.

[3]ـ يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص479 .

من الله تعالى، فقد حققوا النصر بمعيّة الله فهو الذي أوهن كيد الكافرين وحقق للمؤمنين الغلبة عليهم.

2_الأبعاد النفسيّة: وهذا ما يربي النّفس على أن لا تقنط ولا تيأس من من رحمة الله إذا ضيق بها[1]. كما أنّ هذا أدعى على أن يعيش المؤمن حالة طمأنينة وسكينة، لتيقنه بأنّ الله سيكون معه لا يودعه، وعلى عكس هذا سيكون الكافر في فزع وخوف شديدين، فمهما حاول بث الشر فنهاية ستكون بالفشل والخسران.

3_الأبعاد السلوكيّة: لا يسع المؤمن إلا أن يشكر الله على آلائه السابغات، أمّا أن ننسب إلى أنفسنا كل شيء جيّد يحصل في حياتنا، وكل فضل نحن فيه، فهذا من المغالاة، فكل فضل نحن فيه منسوب إلى الله وحده لا شريك له، ولايظنّ الإنسان يوما أنّ ما هو عليه من خير وفضل ونعمة من صنع يده، فكل شيء حاصل بفضل الله، وهذا ما يدعو إلى شكر الله وحمده، فلا يمكن مقابلة هذه النعم إلا بالثناء والحمد.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(6):**

قال تعالى:﴿**وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآية ينقل لنا حالة الإنكار والجحود التي كان عليها المشركين فقد كذبوا بالقرآن الكريم وأنكروا أن يكون هو الحق فخاطبوا الرسول (ﷺ) بأسلوب مليء بالتهكم والسخرية والإنكار فطلبوا منه أن يعاقبهم على إنكارهم بالسجّيل كما فعل بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر[2]، فهذا هو السياق العام لنزول الآية، وعليه نلاحظ بأنّها تعبر عن فعل كلاميّ يتمثل في **الفعل اللفظي** الظاهر في النطق بملفوظ الآية، الجملة الشرطية وجواب الشرط، **والمحتوى القضوي** يتمثل في طلب الكفار من الله تعالى أن ينزل عليهم حجارة أو يأتيهم بعذاب أليم إن كان

[1]_ يُنظر: إبراهيم عمر صالح، المعاني التربويّة في سورة الأنفال، مجلة البحوث والعلوم الإسلامية، ص 5.

[2]_ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ص 411.

القرآن الذي جاء به محمد (ﷺ) هو الحق، وكان ذلك لجهلهم وضلالتهم؛ فالإحالة «في قوله (إن كان هذا) إلى القرآن أو ما جاء به الرسول(ﷺ)من التوحيد وغيره.. »[1]، وقيل أنّ هذا الكلام من قول كفار قريش[2].

ومن خلال صيغ الأمر في قوله تعالى: ﴿فَأَمۡطِرۡ﴾ وقوله: ﴿أَوِ ٱئۡتِنَا﴾ نلاحظ بأنّ المقصود منه ليس الطلب؛ أي الأمر الحقيقيّ؛ فهما صيغتين للأمر هنا تفيدا **التهكم والسخرية** من الرسول (ﷺ)وممن بعثه، فلفرط جهلهم وعظيم استكبارهم وجحودهم طلبوا حصول تلك الأمور، بدل طلب الهداية، وذلك أقصى ما يدل على مدى حمقهم وسفههم.

وبهذا نصل إلى أنّ ملفوظ الآية الكريمة قد عبرعن فعل مباشر وهو الأمر الحقيقي ويظهر ذلك من خلال القرائن البنوية (صيغ الأمر) إلّا أنّ السياق المقامي دلّ على أفعال إنجازيّة غير مباشرة تنتمي لفئة التعبيريّات وهي التهكم والسخرية والإنكار.

حيث يعبر الله سبحانه وتعالى في الآية على لسان الكفار عن حالة الإنكار والجحود التي كان عليها كفار قريش.

يقول الزمخشري: «وهذا أسلوب من الإنكار»[3]، وما دلّ على شدة إنكارهم هو دعوتهم على أنفسهم إن كان محمد هو الحق وما جاء به بأن يمطر عليهم حجارة من السماء تهلكهم، فما أغربها من دعوة؟ أمّا التهكم فقد ظهر في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ حيث يدلّ هذا على التهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق[4]؛ فضمير الفصل (هو) ورد للتأكيد الخبر بأن القرآن وفي رواية أخرى الرسول (ﷺ) هو الحق الوحيد الذي ليس بعده حق آخر، وهنا حقّ عليهم التهكم والسخرية بهذا الخبر، وبالرسول (ﷺ) وكل من تبعه، ففي ظنّهم أنّه ليس هو الحق أبدا، وكل ذلك زاد من شدّة القوّة الإنجازيّة، إضافة إلى

---

[1]_ أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص482.

[2] يُنظر: المرجع نفسه ، ص482.

[3]_ الزمخشري، الكشاف، ص 411.

[4]_ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ص411، و البحر المحيط، ص482.

استعمال الشرط بحرف (إن)؛ «لأن الأصل فيها عدم اليقين»[1] ، فلو كانوا متأكدين لما استعملوا هذا الخطاب الدال على التهكم.

- **الأبعاد التربويّة لفعل التعبير عن الإنكار والكفر من قبل كفّار قريش وتهكمهم بالدّين الإسلام الذي جاء به الرسول الكريم :**

1_الأبعاد الفكريّة: يُربي لدينا هذا الفعل (التهكم والسخرية) فكرة أنّ الكفار دائما في عناد وشقاق، لا يرضون بأي عبرة تُأتى لهم، وهذا حال بعض البشر اليوم، فرغم ما يظهر لهم من عبر ودلائل إلى أنّهم لا يزالون في طغيانهم يعمهون، ولا يزالون السائرين في طريق الظلم والعصيان.

2_الأبعاد النفسيّة: وبناء على ذلك سيثير هذا في نفوس المؤمنين، الرهبة والخشية من أن يكونوا كهؤلاء الكفار أو من أن يتصفوا بالعناد، والتهكم على ما جاء به الرسول(ﷺ).

3_الأبعاد السلوكيّة: تجنب فعل التهكم والسخرية؛ فالذي جاء به الرسول (ﷺ) هو الحق الذي ليس بعده حق، ومن قال غير ذلك فهو حتمًا ناقم جاحد.

- **الفعل الكلامي (7) تحليل ونقاش:**

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾.

ورد في سياق نزول الآية الكريمة ما رواه ابن عباس بأنّ قريش كانت «تطوف بالبيت عراة، يصفقون، فكان ذلك عبادة في ظنّهم»[2]، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 332.

[2]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص948.

عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ ﴾؛ أي تصفيرا وتصفيقا يدل عن غبائهم وجهلهم فاستحقوا بذلك العذاب الذي حلّ بهم يوم بدر من قتل وأسر وحَرب[1].

ونرى أنّ الآية تضم فعلا كلاميًّا؛ إذ يتكوّن **فعله اللفظيّ** بمجرد التلفظ بعبارة ﴿**فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ**﴾ أمّا **المحتوى القضويّ** فيظهر في الحديث عن تصرفات الكفار عند البيت الحرام وما جنوه جرّاء فعلتهم التي فعلوها.

بحيث يظهر الفعل الإنجازي في قوّة إنجازيّة مباشرة تتمثل في الأمر، ويستدل عليها بالفعل الأمر ﴿**فَذُوقُواْ**﴾ ، إلاّ أنّ الأمر هنا لا يظهر على حقيقته إذ المقصود به إنشاء **قوّة إنجازية غير مباشرة تتمثل في التوبيخ، والتقريع، والتأنيب**، ويقول ابن عاشور موضحًا ذلك: ودلّ قوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ على عذاب واقع بهم إذ الأمر هنا للتوبيخ والتغليظ[2]؛ إذ نلاحظ بأنّ المقصود هو إنشاء فعل التوبيخ والتأنيب على كيدهم ومكرهم وسعيهم في إطفاء نور الرسول (ﷺ) وإخماد كلمته، ومنه نستنتج أن ملفوظ هذه الآيات يدل على فعل مباشر وهو الإخبار إضافة إلى الأمر، إلّا أنّ السياق المقامي يكشف لنا عن فعل إنجازي غير مباشر وهو التوبيخ والتأنيب وهو من الأفعال التعبيريّة* حسب تصنيف سيرل.

- **الأبعاد التربويّة لفعل توبيخ وتقريع الكفار الذين استهزؤوا بشعائر الله:**

1_الأبعاد الفكريّة: كل آثم فاعل للمعاصي يستحق الذم والتوبيخ فهذا الذي يناسبه جزاءً لتماديه وعدم حرصه على إقامة حدود الله، واستهزائه بشعائر الله؛ فالبيت الحرام له حرمته المقدسة التي لا ينبغي المساس بها.

2_الأبعاد النفسيّة: وهذا ما يثير في النفوس الخوف من انتهاك حرمات الله ولعلّ من بينها التصفيق والتصدية أمام البيت الحرام.

---

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص 339.

[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 339.

* كما يمكن تصنيف الآية ضمن قسم الوعديّات واعتبار الآية وعيدًا لهم على كفرهم وجحودهم، واستهزائهم بشعائر الله.

3_الأبعاد السلوكيّة: الحرص على تعظيم شعائر الله؛ لأنها من تقوى القلوب، وتجنب المساس بها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [1].

- **الفعل الكلامي(8) تحليل ونقاش:**

قال تعالى:﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤٤﴾.

من تشجيع الله تعالى وتأييده للمؤمنين على نصرة الكفار أنّه «أرى رسوله، المشركين في الرؤيا، قليلا، فبَشر بذلك أصحابه، فطمأنت قلوبهم وثبتت أفئدتهم»[2]، فلو أراهم أنّهم كانوا في عدد كبير لكان ذلك سببا في فشلهم وتنازعهم، لكن الله سلمهم من التنازل والمخالفة فيما بينهم[3]، «فكانت تلك الرؤيا من أسباب النصر، وكانت منّة من الله على رسوله والمؤمنين»[4]، أمّا الرؤيا المقصودة هنا فقد كانت مختصة بالرسول (ﷺ).

وعليه، يمكن القول إنّ الفعل كلامي المنجز من خلال هذه الآيات يظهر جليّا في الآية الأولى والثانية، وبحسب تقسيم سيرل لأفعال الكلام يكون لدينا:

الفعل النطقي:في قوله تعالى: ﴿يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾وفي قوله أيضا:﴿يُرِيكُمُوهُمۡ﴾أمّا المرجع المتحدث عنه(الخبر) رؤية الكفار في منام الرسول أنهم قليلون مستضعفون،ومن ثمّ يتضح لنا أنّ الفعل المباشر هو **الإخبار**، إلاّ السياق المقامي يدل على أن الفعل المستلزم والمضمر هو إظهار الامتنان، وعليه يمكن تقسيم **الفعل الإنجازيّ** إلى:

- قوة إنجازية مباشرة: الإخبار.

---

[1]_ سورة الحج، الآية: 32.

[2]_ السعدي، تفسير السعدي، ص318.

[3]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص37.

[4]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 22.

- قوة إنجازية غير مباشرة: إظهار الامتنان.

أمّا **الفعل التأثيري** المتوقع حدوثه هنا هو استشعار تشيجع الله تعالى وتأييده للمؤمنين على غلبة الكافرين ومن ثمّة الإقدام ومواصلة الجهاد.

- **الأبعاد التربويّة لفعل الامتنان بإظهار الكفار في رؤيا الرسول (ﷺ) بعدد قليل لعدم فشل وتنازع المؤمنين:**

1_الأبعاد الفكريّة: يمد الله سبحانه وتعالى جنده بشتى أنواع البشائر التي تقوي قلوبهم وتكون عنونا لهم على تجاوز كل عوارض الخوف التي تؤدي بهم إلى عدم أداء حق الله فكان من بينها الرؤية في المنام فهذا إمداد إلهيّ أبلغ ما يكون دليلا على نعم الله تعالى.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ منة الله تعالى برؤية العدو في المنام بأنه ضعيف واهن تقوي قلوب جند الرحمن ، وتزرع في نفوسهم روح الفداء والإقبال على الجهاد، فمايزال الله تعالى يمدهم بالعنون حتى في منامهم.

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ المؤمنين العارفين بنعمة الله تعالى عليهم والمقدّرين لها والمستشعرين بقيمتها يجعلهم ذلك أكثر قوّة واستعدادًا للجهاد ثمّ حامدين الله تعالى على نعمه السابغات حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه، وكذلك ينبغي أن يفعل كلّ مقدّر لأنعم الله وآلائه.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(9):**

قال تعالى: ﴿**وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣**﴾.

ورد في تفسير الآي السابقة أنّه إن أراد الجانحون للسَّلم إظهار السَّلم، وإبطان الخيانة والغدر، قصد المخادعة، فما عليك أيّها الرسول الكريم من نياتهم الفاسدة فإنّ حسبك وكافيك هو

الله، ثم ذكّره بما فعل معه أوّلًا من تأييده بالنصر وبائتلاف المؤمنين على إعانته ونصره على أعدائه[1].

وعليه نلاحظ أنّ **الفعل اللفظي** يظهر في النطق بالآية الكريمة ابتداءً بالجملة الشرطيّة، أمّا **المحتوى القضوي** فيتمثل في الحديث عن تأييد الله سبحانه وتعالى والخطاب موجه إلى الرسول الكريم (ﷺ).

وانطلاقا من ملفوظ الآية نستنتج أنّها تعبر عن **قوّة إنجازيّة مباشرة** تتمثل في الإخبار وهذا ما يظهر جليّا من الشكل النحويّ للآية، أمّا إذا نظرنا إلى سياقها نلاحظ بأنّها تعبر عن امتنان الله سبحانه بما أيده للنبي (ﷺ)من اجتماع المؤمنين على نصرته وما كان لأحد أن يعمل مثل هذا التآلف من غير الله (ﷻ) فكل ذلك لا يأتي لا بالمال ولا بالذهب وإنّما بقدرة العزيز الحكيم، يقول ابن عاشور: «والتآلف بين قلوب المؤمنين منة أخرى على الرسول، إذ جعل أتباعه متحابين له على سياستهم »[2]، وعليه فالامتنان **قوّة إنجازيّة غير مباشرة** تندرج ضمن قسم التعبيريّات، **والفعل التأثيري** يظهر في حمد الله تعالى على منّة جعل المؤمنين متآلفين فيما بينهم، فقد نزع الإحن من قلوبهم والتي كانت سببا في الحروب والنزاعات قبل الإسلام[3] ؛ وعلى نعمة جعلهم متآلفين في نصرة النبي(ﷺ)، وعليه فإنّ الفعل التأثيري المرجو حدوثه حمد الله تعالى أولا ثمّ المحافظة على هذه المنّة والثبات عليها.

- **الأبعاد التربويّة لفعل امتنان الله سبحانه بتأييده للنبي (ﷺ) باجتماع المؤمنين على نصرته:**

1_الأبعاد الفكريّة: التذكير بمنّة التآلف بين المؤمنين لا تؤتى لأحد من العالمين سوى بقدرة الله تعالى، فيها بعد فكريّ يربي الإنسان على أنّ الله تعالى صاحب القوّة والإرادة.

[1]_ يُنظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج4، ص 510.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص 63.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص 63.

2_الأبعاد النفسيّة: تأكد بأن الله هو حسبك وكافيك ولا يغرنّك تقلب من حولك، فقد لطف الله تعالى بنبيّه وأيّده بنصرة المؤمنين من حوله فجعله متآزرين ملتفين حوله ينصرونه ويبايعونه، وكان ذلك عندما اشّتدت به الحاجة للنصرة؛ هذا ما يجعل المؤمن يعيش في حالة نفسيّة مرتاحة مطمئنة فالذي لطف بك أولا سيلطف بك آخرًا.

3_الأبعاد السلوكيّة: نعم الله لا يمكن عدّها وإحصاؤها ولعلّ من بينها تآلف المؤمنين فيما بينهم، وقد يكون سبب تذكير الله تعالى بهذه المنّة أنّ الله تعالى أراد أن يبث بعدًا سلوكيًّا يتمثل في المؤمن اليقين التام بأن الله سيكون حسبه، وبأنّه سيكون معه في غمرة حزنه «فمن كان الله حسبه لا يبالي بمن ينوي سوءًا»[1]، فهل يمكن أن يأسى الإنسان ويحزن على أديّة من حوله وله رب لا يعوزه شيء في الأرض ولا في السماء؟

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (10):**

قال تعالى:﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾.

جاء في سبب نزول هذه الآيات ما فعله المؤمنون ومعهم رسول الله في أخذ الفدية من الكفّار دون أن يأذن حكم الله بذلك، إنّ الخطاب القرآني في هذه الآيات يعبر عن **محتوى قضوي** يتمثل في أسر المشركين من قبل الرسول(ﷺ)ومن معه من المؤمنين، والضمير في ﴿تُرِيدُونَ﴾إحالة للمؤمنين من أصحاب الرسول (ﷺ)[2]، وذلك بسبب اتخاذ الأسرى للفداء قبل الإثخان في الأرض، والمقصود بالإثخان كثرة القتل أو المبالغة في قتل المشركين، فأعلم الله أن قتل الأسرى الذين وفدوا ببدر أولى من فدائهم[3].

[1] _أبو حيان الأندلوسيّ، البحر المحيط، ص 510.

[2]_ يُنظر: تفسير السعدي، ص323، و الطبري، تفسير الطبري، ج11، ص 271.

[3]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10 ،ص 74.

وقال القرطبي (ت671هـ) «أن هذه الآية نزلت ببدر عتابا من الله(ﷻ)لأصحاب نبييه(ﷺ)، والمعنى ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبيﷺ»[1] فعاتبهم الله بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾، فقد كانوا بفعلتهم هذه يريدون مصالحهم الشخصية بأخذ الفدية من الأسرى، لكنّ الله يريد أن يُعزّ الدّين وينصر أولياءه، وقد اجتمعت آراء المفسرّين على جعل هذه الآية عتابًا لمن أشار على النبي(ﷺ)بأسر المشركين من أجل أخذ الفدية منهم.

ومنه يمكننا القول أن الغرض الإنجازي للمحتوى القضوي لملفوظ هذه الآية هو **العتاب**، وهو فعل إنجازي غير مباشر منبثق عن قوّة إنجازية مباشرة تمثلت في الإخبار الذي دلت عليه القرائن البنوية الموجودة في الآية، وقوّة إنجازية غير مباشرة (مستلزمة) تمثل في العتاب ويظهر **الفعل التأثيريّ** في الامتثال لأوامر الله فهو العزيز الحكيم العالم بمصالح عباده.

- **الأبعاد التربويّة لفعل عتاب الله للذين يريدون عرض الحياة الدنيا:**

1_الأبعاد الفكريّة: يتضح لنا من خلال ما سبق أن للحرب أحكام وشرائع وهذا ما يسمى بالتربية الجهاديّة، وخاصة فيما يتعلق بالأسرى وأخذ الفدية منهم، وعليه فإنّ الفعل الكلام السابق يربي فكرة أنّ للجهاد أحكامٌ وجب اتباعها والامتثال لأمر الله تعالى؛ فالله(ﷻ)يهدف لتحقيق مصلحة المؤمنين حتى يحققوا النصر على عدوّهم، فمتى التزموا بأوامر الله تعالى واجتنبوا نواهيه تمكنوا من النصر والغلبة.

2_ الأبعاد النفسيّة: كما يحقق الفعل الكلاميّ أعلاه بعدا نفسيّا يتجلى استشعار عظمة الله تعالى والاطمئنان بأحكامه التي تضمن مصالح العباد كافة.

3_الأبعاد السلوكية: وهذا ما يعلّمنا طاعة الله في كل الأمور والابتعاد عن الأسباب التي توقع عتابه، وليتيقن الإنسان أن كل ما أمر الله به فإنّه لتحقيق مصلحة كافة العباد، فما عليه إلا اتباع أوامره واجتناب نواهيه والتحلّي بالمكارم والتخلّي عن الرذائل.

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10 ، ص71.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(11):**

قال تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

إنّ الخطاب القرآني في هذه الآية يكشف عن **محتوى قضوي** يتمثل في الحديث عن المهاجرين والأنصار الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله .

ويّوضح أبو حيان الأندلسي بأنّ الآية تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص[1] للمهاجرين والأنصار، ومثله ذهب أبو السعود (ت982هـ) بقوله أنه: «كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلّى من الإيمان»[2]؛ فاسم الإشارة في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إحالة إلى المجاهدين والأنصار وجيء به لغرض «الاهتمام بتمييزهم بالإخبار عنهم وللتعريض بالتعظيم لشأنهم»[3]، وعند النطق بهذه الجملة الخبرية الاسمية يشكل **الفعل القولي.**

وعليه يمكننا القول أنّ الفعل الإنجازي ينقسم إلى **قوة إنجازية مباشرة** تمثلت في الإخبار والوصف وقوة أخرى **غير مباشرة** تمثلت في **المدح والثناء،** فقد ذُكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع: أحدهما قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَقًّاۚ﴾ يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول أن من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبدل النفس والمال كان مؤمنا حقا، والنوع الثاني قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ وتنكير لفظ المغفرة يدل على أن لهم مغفرة وأيُّ مغفرة لا ينالها غيرهم، والمعنى لهم مغفرة تامةٌ كاملةٌ ساترةٌ لجميع ذنوبهم، النوع الثالث: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ فكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم، والمعنى أن لهم في الجنة رزقا لا

---

[1]_ يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج4، ص518.

[2]_ أبو السعود، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربية، بيروت_لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ج4، ص 38.

[3]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 10، ص 85.

تلحقهم فيه غصاصة ولا تعب[1]؛ فكلّ هذه العلامات دلت على أنّهم مخصوص بالمدح والثناء، كما يؤكد الزمخشري ذلك بقوله :« هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة»[2]، وما زاد في درجة **القوة الإنجازية** التي قدم بها غرض المدح هو العنصر المعجمي ﴿حَقًّا﴾.، ومعنى ذلك أنّهم «محققون لإيمانهم بأن عضّدوه بالهجرة من دار الكفر، وليس الحق هنا بمعنى المقابل للباطل»[3] فالذين هاجروا أولئك هم الأحق بالإيمان من غيرهم الذين لم يُهاجروا، أمّا الفعل التأثيري فيظهر في المبادرة بالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة منهج الله تعالى في الأرض.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل مدح وثناء المؤمنين حقًا:**

1_الأبعاد الفكريّة: يزرع هذا فكرة أنّ من يتبع أوامر الله ويجتنب نواهيه ويتحلى بالفضائل ويتجنب الردائل يستحق مدح وثناء الله تعالى؛ فقد نال المهاجرون والمجاهدون في سبيل الله مدح الله وثناءه وما أعظم مدح الله.

2_ الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا الخطاب يجعل المؤمن يشعر بأنّ الله تعالى معه في كل خطوة ولن يضيع عمله؛ فكل مؤمن يفعل شيئا ابتغاء وجه الله أو يترك شهوة، أو يضحي بأنفس ما لديه ويجتهد في تحقيق مرضاة الله إلّا استحق الثناء والمدح...

3_الأبعاد السلوكيّة: لذلك فعلى المؤمن أن يسعى لتحقيق مرضاة الله بشتى الطرق والوسائل «فما أجمل أن يحيا الإنسان لله، فيكون كل عمله وقوله وسكناته وجوارحه ونبضات قلبه ومشاعره لله وحده لا شريك له»[4]، فحينها يستحق ثناء الله تعالى والفوز بالجنان الرفيعة.

---

[1] عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، 2004، ج2، ص 330.

[2] _ الزمخشري، الكشاف، ص421.

[3] _ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص98.

[4] _ رقية العلواني، تدبر سورة الأنفال، شُوهد في 29 أكتوبر2023 ، رابط الفيديو:
_https://youtu.be/JcAZdpTMXNc?si=sCOVZ3tw2sf6ch2.

خاتمة الفصل الرابع:

لاحظنا أنّ سورتيّ الإسراء والأنفال قد جاءتا حافلتان بالأفعال التعبيرية؛ حيث عبرّت سورة الإسراء عن عدّة أفعال إنجازية كان غرضها الإنجازي التعبير عما يختلج النّفس، فقد رأينا أفعلًا تعبر عن التنزيه وتعظيم واعتبرناها أفعلا تعبيرية؛ لأنّها تبيين عن حالة شعورية كما صنفنا الامتنان ضمن التعبيريات؛ لأنّه تذكير من الله تعالى للمؤمنين بنعمه السابغات، وقد تمظهرت مختلف هذه الأفعال بطريقة ضمنية حيث لاحظنا أنّ بعض الآيات يكون ظاهرها إخبار أو أمر أو الاستفهام إلاّ أنّ المقصود منها إنشاء أفعال تعبيريّة كالامتنان والتعجيب، والإنكار، والمدح والثناء...، أمّا الأبعاد التربويّة لها فقد دلت معظمها عن أبعاد تمثلت في استشعار قدرة الله وعظمته، وعبادته آناء الله وأطراف النّهار، ومكانة ورفعة القرآن الكريم الذي لابدّ من تفكّر معانيه واستشعار دلالته والتفاعل معه فهذا هو الدأب والديدن.

أمّا الأفعال التعبيريّة في سورة الأنفال فقد دلت على معاني الامتنان وظهر ذلك بصورة جليّة في امتنان الله تعالى على المؤمنين في معركة بدر وما سخر لهم من الملائكة أعوانًا لهم وما أيدهم به من إلقاء الرعب والرهب في قلوب أعدائهم، وما أمدهم به من العون النفسي؛ حيث بث السكينة في قولوبهم وبشرهم بالنصر، وأراهم في مناهم بأنهم فئة كبيرة حتى تقوى عزائمهم ويحققون الفوز على عدوّهم، كما ظهرت أفعال التقريع والتوبيخ للكفار الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله... وفي المقابل مدح وثناء للمؤمنين الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل إعلاء الدين الإسلامي وجعل كلمة الله هي العليا... أمّا الأبعاد التربوية فقد ظهرت ـخاصّةـ في تربية المؤمن على الصبر والمكابدة والمجاهدة والاعتصام بحبل الله فأغلب الأفعال التعبيرية دلت على الدعوة إلى الجهاد والصبر على ذلك؛ فالله تعالى دائما يذكر عبادة المكابدين المرابطين الصابرين بالفوز والنصر وبأنّ الغلبة ستكون من نصيبهم، قال تعالى:﴿**إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾**﴾أمّا أعداء الإسلام فقد لاقوا التقريع والذم والتوبيخ فمصيرهم سيكون الخسران والذل والمهانة...

الفصل الخامس:
الأبعاد التربويّة للإعلانيّات في سورتيّ الإسراء والأنفال.

تمهيد:

المبحث الأول: الأبعاد التربوية للإعلانيات في سورة الإسراء

المبحث الثاني: الأبعاد التربوية للإعلانيات في سورة الأنفال

خاتمة الفصل الخامس:

تمهيد:

قبل الشروع في تحليل الأبعاد التربويّة للفعل الإعلانيّ في سورتيّ الإسراء والأنفال نتطرق لمفهوم الإعلانيّات أو الإيقاعيّات أو التصريحيّات.

الغرض الإنجازي للإعلانيّات هو إحداث تغيير في العالم، فتؤدى آداءً ناجحًا عندما تطابق الكلمات العام ويُطابق العالم الكلمات[1]، فإذا ما تمّ التلفظ بكلمات تحقق تغييرا في الوضع القائم، وذلك الوقع مطابقًا لما تمّ التلفظ به وقع الفعل الإنجازي الإعلانيّ.

إذًا يُنجز المتكلّم من خلال الإعلانيّات «فعلا يمثل نفسه فحسب عندما ينجزه مثال: أنا أسمي هذه السفينة (الملكة إليزابيت)»[2]؛ فالفعل هنا متعلق بالمتكلّم لوحده ولادخل للمستمع في نجاحه أو فشله ، فهو ومنجزٌ من طرفه هدفه هنا صنع تغيير في اسم السفينة، في حين نجد أنّ في التوجيهيات الفعل يمثل المتكلّم والمتلقي على حدٍ سواء ونضرب مثالا آخر لتوضيح الإعلانيّات، إذا قال الرئيس: (أعلن قيام الحرب)، فبمجرد تلفظه بهذا الفعل أصبحت الحرب معلنةً والفعل هنا يمثل الرئيس لا أحدًا غيره.

ويرتبط نجاح الفعل الكلامي الإيقاعي بالمؤسسة (الرئيس، القاضي، ...) فقوّته الإنجازيّة أو كفايته الإيقاعيّة تأتى من سلطة المتلفظ[3]؛ أي أنّ الفعل الكلامي سيكون فاشلًا إذ لم يصدر من شخص يملك سلطةً والعكس صحيح؛ فأفعال الكلام عامة والإيقاعيّة خاصة تنجح انطلاقًا من الدور المؤسساتي للمتكلّم، فلو أنّ رجلاً قال لامرأة أجنبيّة عنه: (أنتِ طالقٌ)، لكان هذا لغوًا من الكلام ولم يحقق بذلك فعلا إيقاعيًّا، فلا وجود لعقدة نكاح تربطه بهذه المرأة يفصمها بمجرد التلفظ بكلمة الطلاق، فهو لا يملك سلطةً تخوّله للنطق بكلمة الطلاق لهذه المرأة؛ فالعلاقة الاجتماعية والدور المؤسساتي (السلطة) شرطان ضروريّان لنجاح الفعل الإنجازيّ، ولعلّ هذا ما قصده جورج يول بقوله: «لاينتج النّاس كلامًا في يحوي تراكيب نحويّة ومجرّد

---

[1]_محمد علي الصراف، في البراجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة)، ص63.

[2]_ثروت مرسي، نظرية الأفعال التداولية، ص 50 .

[3]_ يُنظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص59.

ألفاظ في محاولتهم التعبير عن أنفسهم، بل يُنجزون أفعالًا عبر تلك الأقوال وذلك عندما تتم في موقف مقامي يكون لهم فيه قدر من السلطة التي تخوّل لهم التعبير عن هذه الأقوال أكثر من كونها مجرد عبارات»[1]، ويقول أيضًا : «يتوجب على المتكلّم تسنم دور مؤسساتي في سيّاق معين لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة»[2]، فلكي تنجح الأفعال الإعلانيّة وتتحوّل من مجرد كونها أقولا إلى أعمال مجسدة على أرض الواقع لابدّ من امتلاك قائلها قدرًا من السلطة والمكانة الاجتماعيّة.

وقد ورد عند العرب دراسةً مستفيضةً لهذه الأفعال، حيث درس علماء الفقه أفعالاً تندرج ضمن هذا الصنف منها أفعال البيع والشراء والهبة والوصية والإجازة والطلاق والدعوى، وكلّ هذه الأفعال ينُجز فيها الفعل الكلامي بمجرد النطق بها[3]، والأفعال الايقاعية فالقرآن الكريم كلها ناجحة كونها صادرةً من الله سبحانه وتعالى الذي يمتلك السّلطة مسبقا قبل التلفظ بخطابه مما يؤدي إلى استقبال خطابه بمجرد التلفظ به، فهي علاقة خالق بمخلوق توجب على هذا الأخير الطاعة والامتثال، وهذا الصنف يسميها سيرل بالايقاعيات الخارقة التي يفتقر إليها البشر[4].

ولا تفوت الإشارة في هذا المساق أنّ العالمين اللسانيين باخ وهارنيش قد استبعدا هذه الفئة (الإعلانيّات)؛ لأنهّما يرون أنّها تقريريات أو إخباريّات فهي متداخلة مع هذه الفئة [5].

---

[1]_Yule ,Goerge ,Pragmatics, Oxford University press,1995, P47.

[2]_ جورج يول، التداولية، ترجمة، قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2015، ص89.

[3]

ص118.

[4]

منشورات جامعة الكويت، 1994، ص 135_ 136.

[5]_ يُنظر: ثروت مرسي، نظرية الأفعال التداولية، ص66.

المبحث الأول: الأبعاد التّربويّة للإعلانيّات في سورة الإسراء

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (1):**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾.

رُوي في أسباب نزول هذه الآية ما ذكره الزمخشري (ت538هـ) في الكشاف أنّ العرب كانوا يقتلون بناتهم ويئدونهم خشية الفاقة ونقص الرزق فنهاهم الله مضمن لهم أرزاقهم وجاء في روح المعاني أنّ المقصود بالأولاد الذكور والإناث على حدٍ سواء[1] فنزلت الآية لكفِّ النّاس عن قتل الأولاد إذا كان ذلك لخوفٍ من الإملاق والمقصود به «الفقر وعدم الملك»[2].

وقد ورد الفعل التلفظيّ بصيغة النهي والإخبار، **والمحتوى القضوى** يتمثل في قتل الأولاد خوفاً من الفقر والحاجة، **والفعل الإنجازيّ** ينقسم إلى **قوّة إنجازيّة مباشرة** تتمثل في النهي ﴿**وَلَا تَقْتُلُوٓاْ**﴾ أمّا القوّة الإنجازية غير المباشرة فتتمثل في إعلان تحريم قتل الأولاد مع بيان سبب ذلك وهي أنّ الله يخلق الأولاد ورزقهم معهم فهم ليسوا سببًا في نقص رزق وأموال آبائهم، ثمّ بيان عاقبة ذلك بأنّه مان خطأ كبيرًا؛ أي إثمًا ومعصيّةً[3]، وقد جاء فعل الإعلان مطابقًا للواقع الخارجي والواقع مطابقًا له، فمنذ إعلان الله تعالى تحريم قتل الأولاد خشية الفقر والحاجة وقع فعل ترك ذلك الفعل الشنيع فهو يكاد يكون منعدمًا اليوم.

ويظهر **الفعل التأثيري** في القيام بترك قتل الأولاد والوقوف عند هذا الحدّ وعدم تجاوزه.

---

[1]_ يُنظر: الزمخشري، تفسير الكشاف،ج 15، ص596، الألوسي، روح المعاني، ج15، ص66.

[2]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 69.

[3]_ يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، ص85، الزمخشري، الكشاف، ص 596.

- **الأبعاد التربويّة لإعلان تحريم قتل الأولاد خشية الإملاق:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في إعلان الله سبحانه وتعالى تحريم قتل الأولاد خشية الإملاق وبيان الله بأنّه هو الذي يرزق الأولاد؛ فكلّ ولد يولد ومعه رزقٌ من ربّه، تكريم وتشريف للإنسان؛ فقد كرّمه الإسلام ولم يساوي بينه وبين الحيوان الذي قد يُقتل بشكل عادي وبلا سبب، وأعطاه حق العيش، وكرّم المرأة التي كانت قبل مجيئ الإسلام تُدفن حيّةً خشية أن تسبب لهم العار والفقر ونقص الرزق، فغيّرت هذه السلوكات السيئة إلى ما يضمن للإنسان مكانة ورفعة.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في تحريم قتل الأولاد وتغيّر الإسلام هذه السنة كانت سائدة في الجاهلية، يجعل المسلم اليوم يعيش في هدوء واطمئنان لأنّه يعيش في كنف دين عادل يكرّم الإنسان ويضمن له حق العيش.

3_الأبعاد السلوكيّة: إذا تمّ إعلان تحريم قتل الأولاد فقد وقع فعل التحريم، لذلك فإنّه من قتل ولده خشية إملاق فقد وقع في الحرام وتجاوز حدود الله الذي نهانها عن تجاوزها في قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[1]، وهذا ما يبين لنا أنّ كلّ ما حرّمه الله تعالى لابدّ من تجنبه واجتنابه.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(2):**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾.

إنّ منطوق الآية الكريمة يعبر عن فعل كلامي إعلاني، وقد ظهر على هيئة النهي في قولهتعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ وقد تحقق الفعل الكلامي الإيقاعي أو الإعلانيّ بمجرد التلفظ بمنطوق الآية، أي يحصل الشيء ويتحقق وجوده بصدور الأمر الإلهي إلى المأمور، وجاء الفعل الكلامي هنا بصيغة غير مباشرة في صورة النهي في الجملة الفعليّة المتصدرة بحرف النهي (لا)

[1]_ سورة البقرة، الآية: 187.

والفعل (تقربوا) ، والضمير في (إنّه) يعود على كلمة الزنا[1]، والمقصود بها« في اصطلاح الإسلام مجامعة الرجل امرأة غير زوجة له ولا مملوكة غير ذات الزوج»[2].

إذن الملاحظ أنّ **الفعل اللفظي** يتمثل في النطق بملفوظ الآية الكريمة، أمّا **المحتوى القضوي** فإنّه يظهر في الخبر وهو قربان الزنا وبيان أنّه كان فاحشة، والمرجع وهو أولائك الذين كانوا يمارسون الزنا. أمّ الفعل الإنجازيّ فتظهر حمولته الدلالية من **قوّة إنجازية مباشرة** وهي النهي عن قربان الزنا **وقوّة إنجازية غير مباشرة تتمثل في إعلان تحريم قربان الزنا،** ويبّين تعالى سبب إعلانه تحريم قرب الزنا بقوله:﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾، فهذه العبارة تعليل لتحريم قربان الزنا وتأكيد عليه، وتمَّ تأكيد ذلك بالحرف (إنَّ) الذي يفيد توكيد الخبر، وما زاد ذلك توكيدًا كما يذكر ابن عاشور هو «إقحام فعل (كان) المؤذن بأنَّ خبره وصف راسخ مستقر»[3] ؛ أي إنّ وصف الزنا بالفاحشة وصف ثابت لها أمّا معنى الفاحشة « فعلة بالغة الحد الأقصى في القبح»[4]، وكل هذا مدعم في زيادة درجة شدّة القوّة الإنجازية، وينطوي تحت الفعل الإيقاعي أفعال كلامية أخرى غير مباشرة ومستلزمة مقاميًّا تتمثل في **الوعيد والترهيب** للذين يُقْدمون على فعل الزنا كونها طريق مؤدٍ إلى النار.

أمّا **الفعل التأثيري** فهو متعلق بجملة (إنّه كان فاحشة...) فمتى علم المخاطب أن الزنا محرمة كونها فاحشة فإنّه سيتجنب هذا العمل الخبيث.

- **الأبعاد التّربويّة لفعل إعلان تحريم الزنا:**

1_الأبعاد الفكرية: إنّ في إعلانه تعالى تحريم مجرد قربان الزنا يكوّن لدينا بعدا فكريًّا يتمثل في محبة الله لهذا المجتمع الإنساني ورغبته في أن يكون مجتمعا نظيفًا طاهرًا عفيفًا؛ لأنّ فاحشة الزنا من أسباب فساد المجتمع وتردي الأخلاق «تقتل في الفرد والأمة معاني الشرف

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 72.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 90.

[3]_ المرجع نفسه ، ص 90.

[4]_ المرجع نفسه ، ص90.

والاستعلاء، وتدمر فيهم العفة والغيرة والحياء»[1]، كما أنّها «سبيل عذاب وخزي ونكال في الآخرة»[2].

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في إعلان تحريم الزنا بعدًا نفسيًّا يتمثل في الحفاظ على كرامة الفرد وصيانتها فلا تهان ولا تذل.

3_الأبعاد السلوكيّة:

❖ إنّ في إعلانه تعالى تحريم القرب الزنا بعد سلوكيّ يتمثل في الاحتراز من قربانها ؛ لأن مجرد القرب من هذه الفاحشة يثير شهوة عنيفة والتي قد توقع الفرد فيها؛ لذلك وجب عدم المقاربة منها وذلك أضمن[3] من الوقوع فيما حرّم الله.

❖ معاهدة الله على ترك الزنا وعدم الاقتراب من طرقه وأسبابه بمجاهدة النفس على غض البصر وترك النظر إلى ما حرّم الله.

❖ الابتعاد عن الخطوات التي تؤدي إلى الوقوع في الفواحش والمعاصي؛ يقول السعدي: «فإنّ من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيها»[4]؛ فالأضمن للإنسان الابتعاد عنها قدر المسطاع، لذلك لا بدّ من ترك مسافة شاسعة وواسعة بين هذه المحرمات التي تطمس على قلب الإنسان وتخسف بورع النفس وتقواها.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(3):**

قال تعالى:﴿**وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾**﴾.

---

[1]_ جمار علي محمد، الوصايا العشر، إدارة الشؤون الدينية، الدوحة_قطر، (د، ط) ،(د، ت) ، ص 31.

[2] ص346.

[3]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15 ص 2224.

[4]_ السعدي، تفسير السعدي، ص475 .

نزلت هذه الآية في سياق مما كان سائدًا في العصر الجاهلي حيث يتجاوز القاتل إلى سواه من الآباء والإخوة والأبناء مما لا ذنب لهم سوى أنّهم من أسرة القاتل[1]، وهذا ما يسمى بالثأر الجاهلي وقد نهى الله عنه وجعل السلطان والذي هو ولي المقتول أو القصاص هو المسئول عن الثأر في هذه الحالة تجنبًا للمفسدة ووقوع الفوضى في القتل.

ونستطيع القول أنّ الآية تتضمن فعلًا كلاميًّا إعلانيًّا يتمثل في إعلان تحريم قتل النفس إلاّ بالحق ، وقد ورد الفعل الكلامي الإعلاني على هيئة النهي ويظهر ذلك في جملة ﴿**وَلَا تَقْتُلُواْ**﴾ وعند التلفظ به يتكوّن الفعل القولي، **والمحتوى القضوي** يتمثل في قتل النّفس والإسراف في ذلك، وجعل القصاص فاصل في هذه الحالة.

ومنه نستنتج أنّ الفعل الكلامي في هذا المقام دلّ عن قوّة إنجازية مباشرة(حرفية) تتمثل في النهي، وأخرى مستلزمة تتمثل في إعلان تحريم قتل النّفس على المسلمين إلاّ بالحق؛ وقد ذكر الزمخشري أنّ المقصود بالحق «إلاّ بأن تكفر، أو تقتل مؤمنا عمدًا، أو تزني بعد إحصان»[2]، فقتل النّفس محرم في الإسلام بيده أنّه يجوز قتلها في الحالات المذكورة سابقًا، لكن ذلك لايكون إلا في إطار شرع الله (المطالبة بالقصاص).

ومنه فإنّ في قوله تعالى:﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ ، فعل كلامي إعلاني ثانٍ فالمقصود بالسلطان مطابقة ولي المقتول بالقصاص (قتل القاتل)[3]؛ فالقصاص هو شرع الله الذي يأخذ بثأر المقتول؛ فلا تترك الأمور كما كان سائدًا في الجاهلية بأن يسرف ولي المقتول في القتل فيقتل القاتل ويتعدى ذلك إلى أقربائه وعشيرته.

ونلاحظ مما سبق أنّ أفعال (وتحريم قتل النّفس، إعلان إباحة القصاص) أفعال تؤثر على العالم القانوني بحيث تؤثر في ضبط العلاقات بين العبد وربه ، وبين النّاس بعضهم بعضًا. وهذا القانون سنّه الله، فمصدره الصلطة الإلهية وهذا ما يجعل القول مطابقًا للعالم والغرض من

[1]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15، ص 2225.

[2]_ الزمخشري، الكشاف، ص 596.

[3]_ يُنظر: الألوسي، روح المعاني، ج15، ص69.

هذا الفعل هو إحداث تغيير في العالم بفرض هذا القانون الذي ألغى ما كان سائدا في الجاهلية (قانون الغابة) وإحداث قانون إسلاميّ بهدف تنظيم العلاقات بين النّاس وبذلك يكون (المتكلّم) الله (ﷻ) قد أوقع فعلًا بمجرد القول، فالتلفظ بفعل التحريم والإباحة كافٍ من أجل إنجازه (فعل مؤسساتي)؛ إذ لا يراد بالإيقاعيات وصف واقع وإنّما الغرض منها هو الانتقال إلى واقع جديد، وهذا النوع من الإيقاعيّات يسميه (سيرل) الإقاعيّات الخارقة للطبيعة[1].

أمَّا الفعل التّأثيري فيكمن في استجابة المسلمين لهذا الحكم الإلهي وابتعادهم عنه؛ لأنه سبب رئيس في تدمير المجتمع، والله لم يترك الأمور هكذا فقد شرع القصاص وبين حكمه.

- **الأبعاد التربويّة لفعل إعلان تحريم قتل النّفس وإباحة القصاص:**

1ـالأبعاد الفكريّة: إنّ في محاربة الإسلام لجريمة وإعلان تحريمها تقديس للنفس الإنسانية «إذ جعل حرمة النفس الإنسانية أجدر بالتعظيم من الكعبة التي محل تقديس للمسلمين بل محل تعظيم العرب في الجاهلية»[2].

أسند الإسلام أمر القصاص إلى الحاكم (السلطان) تهدئة للغليان الذي يستشعره ولي الدم[3]؛ «فحينما يحس أنّ الله قد ولاه على دم القاتل وأن الحاكم مجند لنصرته على القصاص، فإن ثائرته تهدأ نفسه تسكن ويقف عند حد القصاص العادل الهادئ»[4]؛ فالقصاص بيان لعدل الدين الإسلاميّ، فجزاء القاتل قتل بنفس ما قتل وهذا مقتضى العدل والنزاهة.

2ـالأبعاد النفسيّة: إنّ قتل النفس التي حرم الله بغير حق سبيل إلى انتشار الفوضى والفساد في المجتمع فيهدد أمنها ونظامها[5]، ولذلك كان في تحريمه تعالى لهذه الجريمة وتحديده

---

[1]ـ يُنظر: الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص135.

[2]ـ السيّد محمد علي النمر، سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، ص260.

[3]ـ المرجع نفسه ، ص 264.

[4]ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج15، ص2225.

[5]ـ يُنظر: المرجع نفسه ، ص 2225.

للقصاص بعدًا نفسيًّا يتمثل في زرع الاطمئنان في نفوس أفراد المجتمع وإشعارهم بالأمن والاستقرار في ظل حياة كريمة لم تدنس بهذه الجريمة النكراء[1].

3_الأبعاد السلوكيّة: حرّم الله تعالى قتل النّفس وفي نفس الوقت شرّع وأباح القصاص وهنا بيان لمنتهى عدله سبحانه وتعالى، فلكلٍ حقه ومستحقه فلا يضيع ثأر وليّ المقتول ولا ينجو القاتل بفعلته، وعليه فإنّ من سلوكات الفرد هنا الوقوف عند حدود الله بعدم قتل النّفس إلا بالحق، واللجوء إلى القصاص الذي يضمن حصول وليّ المقتول على حقه وتنظيم الحياة الاجتماعية.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(4):**

قال تعالى:﴿**وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾**﴾.

وردت هذه الآية الكريمة في السيّاق الذيكان فيه العرب في الجاهلية «يستحلون أموال اليتامى لضعفهم عن التفطن لمن يأكل أموالهم وقلة نصيرهم لإيصال حقوقهم»[2].

والخطاب القرآنيّ في هذا المقام يكوّن فعلا كلاميًّا، يظهر أوّلا في الفعل اللفظيّ المتمثل في قول عبارات وألفاظ الآية الكريمة، والمحتوى القضوي يتمثل في الخبر وهو الحديث عن قربان مال اليتيم إلّا بالّتي هي أحسن؛ أي بما فيه صلاحه فلا تتاجروا فيه ولا تشتروا منه ولا تستقرضوا منه حتى يبلغ اليتيم أشدّه سواء كان ذلك بالبدن أو بالمعرفة أو بالتجربة أو بهما معا[3]، والمرجع هو خطاب لكافة المسلمين بعدما كان خطابًا لمستحلي أكل مال اليتيم؛ فضمير واو الجماعة عائد عليهم، أمّا الفعل الإنجازيّ فقد ظهر على هيئة قوّة إنجازيّة مباشرة تمثلت في النهي الذي نستدلّ عليه من خلال القرينة النحويّة﴿وَلَا تَقْرَبُواْ﴾ وقوّة إنجازيّة غير مباشرة تمثلت في إعلان تحريم أكل مال اليتيم.

---

[1]_ يُنظر: السيّد محمد علي النمر، سورة الإسراء والأهداف التي ترمي إليها، ص 259_260.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص96.

[3]_ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص111_113. (تفسير سورة الأنعام).

وفي قوله تعالى:﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ أمر بالوفاء بالعهد، وهو « كل ما أمر الله به ونهى عنه»[1]، فإعلانه تعالى تحريم أخذ مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن يعدُّ من العهود التي أمر بها تعالى، وقد جاء الأمر بصيغة الجماعة حتى تكون كل الجماعة مسئولة عن هذا الأمر[2]، ويمكننا عدّ الأمر هنا من العوامل الحجاجية المساهمية في زيادة درجة القوّة الإنجازية غير المباشرة (إعلان تحريم أكل مال اليتيم).

ونستنتج من خلال ما سبق أن الآية الكريمة تتضمن فعل كلامي كلي يتمثل في إعلان تحريم قربان مال اليتيم، ثم التأكيد على هذا الفعل بالأمر بالوفاء بالعهد، وقد أحدث الفعل الكلامي تغييرًا في الواقع، فقد تم تحريم أكل مال اليتيم في المجتمع الإسلاميّ وتمّ تغيير ما كان سائدًا في الجاهليّة، وقد ولّدت هذه الأفعال التي غلب عليها طابع التحريم، فعلا تأثيريًّا وهو تجنب أكل مال اليتيم والعمل على الوفاء بالعهد.

- **الأبعاد التربويّة لإعلان تحريم أخذ مال اليتيم:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في إعلانه تعالى تحريم أخذ مال اليتيم حفاظ على مال هذا الضعيف الذي لا يقوى على تدبيره وبيان لمنهج الشريعة الإسلاميّة فهي « مكلفة برعاية اليتيم وماله حتى يبلغ أشدّه ويرشد ويستطيع أن يدبّر ماله»[3]، وفي هذا بيان إلى أنّ القرآن الكريم يربي المسلمين تربية دينية عميقة، تجعلهم يتمسّكون بالفضائل والأخلاق النبيلة.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا التحريم يضمن لليتيم في مجتمع الإسلام حياة ملؤها الهدوء والاستقرار، فلن يضيع حق اليتيم في ظل الدين الإسلاميّ العادل.

3_الأبعاد السلوكيّة: لقد تمّ إعلان تحريم أخذ مال اليتيم بصيغة الجماعة حتى تحذر كلّ الأمّة من نهب وسرقة وأخذ مال اليتيم، وهذا ما يجعل المؤمن حريصًا على تأدية مال اليتيم خصوصًا وعدم القرب منه.

---

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ، ج13، ص76.

[2]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15، ص2226.

[3]_ المرجع نفسه، ص2226.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (5):**

قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥﴾.

إنّ الخطاب القرآني أعلاه موجه من الله تعالى إلى المسلمين لتشريع أصول الذين وبناء الشريعة وجاء في مناسبة نزول هذه الآية أنّ المشركين «كانوا يبيعون التمر والزيت كيلا، وكانوا يتوازنون الذهب والفضة، فكانوا يطففون حرصا على الربح فلذلك أمرهم بالوفاء»[1]، يظهر **الفعل النطقي،** في النطق بالعبارة المبدوءة بالفعل الأمر، **والمحتوى القضوي** هو إتمام الكيل وعدم التطفيف في القسطاس، وهو « كل ميزان كبر أو صغر من موازين الدراهم وغيرها»[2]، واسم الإشارة (ذلك) إحالة إلى إيفاء الكيل والوزن.

وعليه فقد ظهرت **القوّة الإنجازية** على هيئة مباشرة دلت على **الأمر** ظاهر من خلال الجملة الفعلية: ﴿وَأَوۡفُواْ﴾ أمَّا **القوّة الإنجازيّة المباشرة** فقد دلّت على إعلان **تحريم التطفيف والتنبيه** على هذه الفعلة، وقد ظهر ذلك من خلال استعمال إذا الظرفية حيث جاءت « إذا الشرطية الظرفية للتنبيه على عدم التسامح في شيء من نقص الكيل عند كل مباشرة له»[3].

وتأسيسًا على ما سبق يمكن القول إنّ **الفعل التأثيري** المتوقع حدوثه هنا استجابة الفرد المسلم لعدم التطفيف في الميزان لأنّه فعل حرام؛ «لأن التطفيف يعود على المطفف باقتناء جزء قليل من المقال ويكسبه الكراهية والذم عند الناس وغضب الله والسحت في ماله... »[4]؛ فإيفاء الكيل خير وأفضل من التطفيف.

---

[1] على تشريعه هذا الحكم بنزول هذه الآية من سورة الإسراء.

[2]_ الزمخشري، الكشاف، ص597.

[3]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص 98.

[4]_ المرجع نفسه ، ص 98.

- **الأبعاد التربويّة لفعل إعلان تحريم التطفيف في الميزان:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ الفعل الكلاميّ العامل على توجيه النّاس بالأمر بإيفاء الكيل وتحريم التطفيف في الميزان يربي فينا فكرة أنّ الدين الإسلاميّ دين حق وإنصاف، يدعو إلى إقامة الإيفاء ونبذ الغش، الذي لا يورث فاعله إلاّ الكراهية والذم عند النّاس وغضب الله والسحت في ماله، بعكس الإيفاء الذي يكسبه رضا الله عنه ورضاه عن نفسه والبركة في ماله[1].

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ إيفاء الكيل والإنصاف فيه يكسب صالحبه انشرحا في الصدر وارتياحا نفسيّا لا يحصل إذا عمل بالارتباح بالتطفيف المحرّم.

3_الأبعاد السلوكيّة: بعدما علمنا أنّ التطفيف في الميزان حرام، وأنّ الله أمر بإيفاء الكيل، فالسلوك المرجو حدوثه هو العمل بهذه القاعدة وتطبيقها على أرض الواقع، فمافائدة قراءة القرآن دون العمل به؟ فإذا كنتم مما يكيلون فتعلموا إيفاء الكيل[2].

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(6):**

قال تعالى:﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾.

تأتي هذه الآية في سياق دعوة الله جبريل عليه السلام لأمر محمد (ﷺ) بأن يحطم الأصنام التي كانت محاطة بالبيت الحرام وأمره بأن يقول ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ﴾ عند تحطيم كل صنم[3].

ويتكوّن **الفعل القولي** لهذه الآية من النطق بالجملة الفعلية التي افتتحت بالفعل (قل) في بنائها النحوي والدلالي السليم، أمّا **المحتوى القضوي** فيتضح في ظهور الحق وهو الإسلام والدّين الثابت وزهوق الباطل أي اضمحال وزوال الشرك والكفر[4]، أمّا الفعل الإنجازيّ فقد دلّ عن قوّة **إنجازية مباشرة** تتمثل في الأمر؛ أمر الله تعالى رسوله الكريم بأن يقول ظهر الحق وزهق

---

[1]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص99.

[2]_ يُنظر:موقع إسلام أون لين، https://islamonline.net

[3]_ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ص 606.

[4]_ يُنظر: الألوسي، روح المعاني، ج15، ص144.

الباطل فهذا هو المعنى المباشر لملفوظ الآية، لكن المقصود هو إنشاء قوّة إنجازيّة غير مباشرة تتمثل في إعلان اضماح الكفر والشرك وبزوغ فجر الدّين الإسلاميّ الحنيف؛ فعلى الرغم من أن البنية اللغويّة توحي بأنّها أمر، لكن بالنظر إلى سياق الآية يتضح لنا أنّها حاملةٌ لمعنى الإعلان، حيث تم الإعلان عن مجيء الحق وزهوق الباطل.

ونجاح الأفعال الإعلانيّة متوقف على تغيير العالم بعد صدورها فإن طابق محتواها القضوي كانت أفعالًا ناجحةً وإلا فلا، فهل طابق الفعل الإنجازي في هذه الآية المحتوى القضوي؟ نلاحظ بأنّ الفعل قد طابق حقا المحتوى القضوي وتم تغيير العالم بمجرد النطق بفعل الإعلان حيث ذهبت عبادة الأصنام وحطمت واستبدلت بعادة الله، وفي توضيح هذا يقول ابن عاشور: «أنه استقر وشاع الحق الذي يدعو إليه النبي(ﷺ) وانقضى الباطل الذي كان النبي(ﷺ) ينهى عنه»[1]، هذا ما يوضح أنّ الفعل قد وقع وتحقق فقد ذهب الباطل وتلاشى وجاء وبان الحق وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ تأكيد على إعلان ظهور الحق ؛ فالباطل لطالما كان زهوقًا غير نافع هش سريع العطب[2]، والواجب أن يحلّ الحق مكانه وهذا ما يدعم القوّة الإنجازية بالإيجاب، **والفعل التأثيري** يظهر في إقامة الدين الإسلامي وترك عبادة غير الله والشرك به.

- **الأبعاد التربويّة لفعل إعلان ظهور الدّين الإسلاميّ وزوال الشرك والكفر:**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في إعلانه تعالى مجيئ الإسلام وما قدم وزهوق الباطل والشرك والظلم بيان لبعد فكريّ يتمثل في إنّ الباطل مهما طال زمنه فإنّه سيأتي اليوم الذي يزهق فيه ويزول وأنّ البقاء يأتي من عند الله الحي الباقي الذي لا يزول[3].

[1]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 188.

[2]_ يُنظر : سيد قطب، في ظلال القرآن،المجلد4، ج15، ص 2247.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص 2247.

وأنّ الله تعالى له القدرة والسلطان على تغيير حياة البشر وتغيير دينهم فعدما كانت الحياة جاهلية يسودها الظلم والفسق والفجور واستحلال قتل النفس، وعبادة ما لا ينفع ولا يضر... جاء الإسلام ليغيّرها ويعلن أنّ العبادة تكون لله وحده لا شريك له.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ هذا ما يدعو إلى اطمئنان وثبات، فالباطل مهما طال زمنه سيأتي يوم لفنائه وأن الحق غد مشرق لابدّ من انتظاره.

3_الأبعاد السلوكيّة: ومن هنا لابدّ من أن يعلم الإنسان أنّ أيَّ باطل وأي ظلم قائم سيأتي يومه ويزول ويضمحل ويحلّ محلّه الحق الذي مهما طال سيأتي ميعاده، وأنّ الذي يسير على ثغر يحبه الله ويرضاه فائز لا محالة، فالقوّة والسلطان والبقاء للحق وللصادقين الثابتين المرابطين، فالعبرة بالمهاجرة إلى الله بقلب صحيح سليم وهدم صنم الشيطان الذي يحاول إيقاع الإنسان في الشهوات والشبهات وفي المحرّمات والخلوات...

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(7):**

قال تعالى:﴿**قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾**﴾.

ورد في حادثة نزول هذه الآية أنّه «أتى النبي ﷺ (سلام بن مشكم) في عامة من يهود سماهم، فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا؟ وإنّ هذا الذي جئت به، لا نراه متناسقا كما نتناسق التوراة، فأنزل علينا كتابا نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به» [1]، فنزلت الآية حتى ولئن اجتمعت الإنس والجن لا يمكنهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقال الزمخشري في تفسيرها «بأن لو تظاهروا (الإنس والجن) على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله»[2]، فهو معجز سواء في معانيه أونظمه أوبلاغته أوبيانه أو أخباره أو

[1] .171

[2] _ الزمخشري، الكشاف، ص 608.

منهجه... لا يشبه أيّ كتاب آخر سواء التوارة أو غيرها عجز الإنس والجن مجتمعين على أن يأتوا بمثله.

وعليه، نلاحظ أن بنية الفعل الكلاميّ تظهر في **الفعل اللفظي** المتمثل في النطق بالجملة الفعليّة، **والمحتوى القضوي** يظهر في عدم قدرة الثقلان وفصحاء اللسان عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم مجتمعين بعضهم مع بعض، أمّا **الفعل الإنجازي** فيواكبه قوّتين إنجازيتين الأولى مباشرة تتمثل في الأمر ويستدل عليه بالفعل (قل) إلا أنّ الاستعانة بالسياق العام لنزول الآية وماذكره المفسرين يكشف أنّ المقصود إنشاء قوّة إنجازية غير مباشرة تتمثل في **إعلان أنّ القرآن الكريم معجز**، فقد كان في الآية تصريح وإعلان واضحين بأنّ القرآن الكريم معجز ولا يمكن أن يُؤتى بمثله، أمّا افتتاح الخطاب بالفعل (قل) وكمايرى الطاهر بن عاشور جاء للاهتمام به[1]؛ أي للاهتمام بالخبر المسوق بعد الفعل (قل) ولفت الانتباه لما سيرد بعده.

وخلاصة القول إنّ ظاهر الخطاب القرآني (شكله) يُوحي بأنّه طلب، لكن بالاستناد إلى سياقه المقامي نلاحظ أنّه قد عبر عن فعل كلامي يتمثل في التصريح أو الإعلانّ بأنّ القرآن معجز والذي يمكن يتصنيفه تداوليّا ضمن قسم الإعلانيّات، ومن العلامات المعجميّة التي يمكن استثمارها في زيادة قوّة الفعل الكلامي وتأكيده توظيف لام القسم (لئن) والشرط (لو اجتمعت) وتكرار كلمة (مثله) التي تدلّ على كون القرآن الكريم معجز وبالتالي دفع التوهم أن تكون له صفة مثله.

أمّا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾ فيمكن إعتبارها آية مدعمة للإعلان المصرّح به في الآية السابقة(الإعلان بإعجاز القرآن الكريم)؛ حيث ذكر الله تعالى في هذه الآية «ناحية من نواحي إعجازه (القرآن الكريم) وهي ما اشتمل عليه من أنواع

[1]ـ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 202.

الأمثال»[1]، وقد جاءت جملة ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ معطوفة على الجملة السابقة ومشاركة لها في حكمها المتمثل في تعجيز وتحدي الكفار[2].

ومنه يمكننا القول إنّ الفعل الكلامي في هذه الآيات ورد على هيئة **قوّة إنجازيّة غير مباشرة** دلّت على الإعلان بأنّ القرآن الكريم معجز لا يمكن الإتيان بمثله حتى ولو تعاون وتناصر الإنس والجن، معًا، أمّا **الفعل التأثيري** فيتمثل في تغيير أفكار المشركين حول قدرتهم على الإتيان بمثل القرآن، وشكر الله وحمده بالنسبة للمؤمنين على نعمة القرآن العظيم.

- **الأبعاد التربويّة م لفعل إعلان أنّ القرآن الكريم معجز لا يشبه كلام البشر:**

1ـالأبعاد الفكريّة: القرآن الكريم كلام معجز في سائر جوانبه « فيه من الإعجاز العلميّ، والبيانيّ، والتشرعيّ..»[3]، لا يمكن أن يأتي بمثله الجن والإنس متعاونين ومتناصرين في آرائهم وأفكارهم، فكيف إذا كانوا منفردين؟ ومنذ إعلانه تعالى بإعجاز القرآن وإنزاله معجزةً للرسول (ﷺ) وإلى اليوم عجز جميع أهل الأرض على أن يأتوا بمثله.

كيف يمكن للمخلوق من تراب، الذي ليس له علم، ولا قدرة له أن يأتي بمثل القرآن الكريم[4]، وهو كلام الله الذي ليس كمثله شيء قال تعالى:﴿**قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا** ﴾[5]، لذلك فإنّ إعلان إعجاز القرآن الكريم يعطينا بعدا فكريًّا بأنّه هذا الذي عُجز عن الاتيان ولو بآية مثله منهج حياة متكامل، يقول سيد قطب: يعالج النفس الإنسانيّة والجماعات المتشابكة، ويحيط بكلّ ما تحتاج حياة الفرد

[1]ـ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15ص 204.

[2]ـ يُنظر: المرجع نفسه، ص 204.

[3]ـ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائر التدبر، ص724.

[4]ـ يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص485.

[5]ـ سورة الكهف، 109.

والجماعة الإنسانية...[1] هذا ما لم يتمكن منه إنس ولا جان، أفلا يتم الإعلان بهذا أنّه معجزٌ لا يشبه كلام البشر؟

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في إعلان إعجاز القرآن الكريم وعدم قدرة أي مخلوق الإتيان بمثله يجعل المسلم يشعر بالخوف والرهبة من عدم تأدية حق هذا الكتاب الكريم فهمًا وتدبرًا وتلاوة؛ فإعجاز القرآن داعٍ للتأمل والاستنجاد به هاديًّا ومصلحًا، هذا من جهة ومن جهة أخرى يجعلنا كأمّة إسلامية نشعر بالفخر والاعتزاز كون هذا القرآن منهجنا وسبيلنا.

3_الأبعاد السلوكيّة: لذلك فإنّ الإعلان بإعجاز القرآن الكريم يترتب عنه سلوك العمل بما جاء به وفهم معانيه وتعظيمه والاهتمام به والتخلّق بحقائقه الإيمانية وإقامة حدوده وإعطائه أنفس الأوقات والتصالح معه، والإقبال عليه تلاوةً وتجويدًا وحفظًا ثمّ تدبّرًا ووقوفًا عند آياته العظيمة ومدارستها وعدم تجاوزها وإثارة الأسئلة حولها وغيرها.من أمور التدّبر..، وكلّ هذا موجب لحصول على لأجر العميم والفضل العظيم والخير الكثير، وتحوّل الطريق من النّار إلى الجنّة... كما أنّ ذاك داعٍ إلى الالتجاء به فهو الذي ينظم حياة النّاس بكل تفاصيلها فهو «مشروع العمر وبرنامج العبد في سيره إلى الله حتى يلقى الله»[2]؛ لذلك فإنّ إعلان إعجاز القرآن الكريم رسالة إلى القلوب حتى تستقيم وتسير على نور من هديه.

المبحث الثاني: الأبعاد التّربويّة للإعلانيّات في سورة الأنفال

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (1):**

نزلت هذه الآية عندما اختلف المسلمون في قسمت الأنفال بعد معركة بدر، «قال عبادة بن الصامت: نزلت حين اختلفنا في النّفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى الرسول فقسه رسول الله ﷺ على السّواء»[3]، فهذا هو السيّاق العام لنزول الآية.

---

[1]_ يُنظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد4، ج15، ص2250.

[2]_عمرو الشرقاوي، المشوق إلى القرآن،العصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2018، ص14.

[3]_ القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص442.

ونستطيع القول إنّ ملفوظ الآية الكريمة يُمثّل فعلًا كلاميًّا بحيث يظهر أولا في **الفعل اللفظيّ** والمتمثل في النطق بالجملة الخبرية،﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ...**﴾ والأنفال هي «ما شدّ من أموال المشركين إلى المسلمين كالفرس الغائر والعبد الآبق»[1]؛ فكل ما جمع من المشركين بعد الحرب سواء كانت أموالًا أو عبادًا تعد أنفالًا، أمّا **المحتوى القضوي** فيتمثل في المرجع وهو خطاب للرسول(ﷺ)فالكاف في ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ إحالة شخصية له، وكذلك الضمير المستتر في (قل)، أمّا ضمير الجمع الغائب فيحيل إلى من حضر بدرًا[2]، أمّا الخبر فيتمثل في حكم الأنفال، بأنّها لله ورسوله؛ فاللام في ﴿لِلَّهِ﴾ لام الملك ؛أي أنها ملك لله ورسوله، فيعطيه الرسول(ﷺ) لمن يشاء بأمر الله أو باجتهاده، وقد ذكر اسم الله (ﷻ) قبل الرسول (ﷺ) للدلالة على أنّه يتصرف في الأنفال بإذن من الله[3].

أمّا الفعل الإنجازيّ لهذه الآية فيواكبه قوّة إنجازيّة حرفيّة وهي الإخبار، وأخرى مستلزمة ضمنية تختفي وراء الإخبار وهي **الإعلان** أنّ الأنفال حكمها مختص بالله ورسوله؛ فالرسول هو المسؤول عنها وعن تقسيمها بأمر من الله تعالى؛ فالواضح من سياق نزول الآية؛ (اختلف الصحابة في قسمة الأنفال وساءت أخلاقهم فيها) أنّ المقصود شيء فوق الإخبار وهو الإعلان هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد صدر كما حكم الأنفال عندما كان المسلمون لا يعلمون ماذا يكون في شأن المسمى عندهم (الأنفال)[4]؛ فهذا أمر لا يمكن أن نسميه فعلًا إخباريًّا وإنّما هو إعلان، والكلمة التي وضحت أنّ المقصود الإعلان (قل) التي ينشء مدلولها عند قولها ، فتلفظها هو الله الذي يملك سلطة على سائر المخلوقات إنسًا وجنًا جمادًا ؛ فبمجرد التلفظ بالأمر ﴿**قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ**﴾ أُنجز الفعل مباشرة لذلك يمكننا القول إنّ هذا إعلان في بيان حكم الأنفال حتى لا يحدث اختلاف في قسمتها، فمنذ إعلان هذا الفعل أصبح حكم الأنفال

---

[1]_ أبو حيّان، تفسير البحر المحيط، ج4، ص453.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص249.

[3]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص251.

[4]_ يُنظر: المرجع نفسه، ص248.

مختصًّا بالرسول (ﷺ) يتصرّف به كما أمره الله تعالى، أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في استجابة الصحابة في ترك الأنفال لله ورسوله.

- **الأبعاد التربويّة لفعل إعلان اختصاص حكم الأنفال بالله ورسوله**

1_الأبعاد الفكريّة: إنّ في إعلانه تعالى اختصاص حكم الأنفال بالله ورسوله؛ فالرسول هو الذي يتولى بيان حكمها بأمر من الله تعالى، بيان لبعد فكريّ بأنّ بعض الأحكام تأتي من عند الله تعالى مصلة مبيّنة وبحكمة منه؛ فقد بيّن تعالى يوم بدر أنّ من يتولى حكم الغنائم هو الرسول (ﷺ)حتى لا تقع فتن واختلاف بين الصحابة حول الأنفال التي هي فالأساس عرض الحياة الدنيا ؛ فالله تعالى يعلم أنّ الإنسان بطبعه يحب المال ومتاع الدنيا الفاني، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ فبين اختصاص حكم الأنفال بالرسول لكي تكون قسمةً عادلة لا يجور فيها أحد على أخر.

2_**الأبعاد النفسيّة:** ومنه فإنّ البعد النفسيّ يتمثل في تزكية النّفس من الأغلاط والأخطاء، فلم يترك الله تعالى حكم الأنفال للصحابة والمسلمين المشاركين في غزوة بدر وإنّما بيّن حكمها ووضحه؛ فلا يخفى على أحد أنّ كل نفس بني آدم مبنية على أخطاء وعلى شهوات وشبهات معرضة للفتنة وللضعف لذلك تولى القرآن الكريم تزكيتزها وتطهيرها.

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ البعد السلوكيّ الذي يمكن أن نستنبطه انطلاقًا من الفعل الكلاميّ السابق يتمثل أساسًا في الوقوف عند أحكام الله تعالى وعدم تجاوزها؛ لأنّ فيها حكمة بالغة لا يعلمها البشر.

- **التحليل التداولي للفعل الكلاميّ (2):**

قال تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥**﴾.

ورد الخطاب القرآني في هذه الآيات مستهلا بنداء اختصاص للمؤمنين والنداء في القرآن الكريم إمّا أن يكون لخير يُؤمر به أو شرٍّ يُنهى عنه[1]، وهذا ما تجسده الآية، فبعد النداء جاء

[1]_ يُنظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص 162.

نهي كان على حقيقته؛ فقد نهى الله (ﷻ) عباده المؤمنين من الفرار إذا التقى الزحفان، والمقصود بالزحف في قوله تعالى : ﴿زَحْفًا﴾ الجيش الكثيف ويسمى (زحفًا)؛ لأن كثافته واتساع المساحة التي يشغلها الجنود تبدي حركتهم بطيئة[1]، وعند النطق بالجملة الندائية المصحوبة بالنهي يتشكّل **الفعل النطقي**، أمّا **المحتوى القضوي** فيتمثل في الثبات والصبر وعدم الفرار إذا التقى المؤمنين بالكفار في الحرب.

وقد عبرت الآية الكريمة عن **قوّة إنجازيّةمباشرة** تمثلت في النهي والتحذير الشديد عن الفرار يوم الزحف، لأنّ هذا يعدّ ذنبا عظيمًا، وقد تضافر النهي مع النداء في تشكيل الفعل الإنجازيّ، حيث ورد النهي بأدة النّهي (لا) ، مسبوقا بالصيغة النحوية (يا أيّها) وهذا ما يُنتج لنا **المعنى الصريح** لهذه الآية وذلك بضم محتواها **القضوي** إلى الغرض الإنجازي (النّهي المسبوق بالنداء) كما يمكننا تقسم الآية إلى معنى عرفي وآخر مستلزم:

- **معنى عرفي**: يتمثل في وجود عدو يريد مقاتلة المسلمين واحتمال فرار بعض المسلمين عند مواجهة العدو.
- **معنى حواري مستلزم** :تحريضهم على الثبات والصبر في نصرة دين الله، والتحذير من الفرار عند مواجهة العدو.

أمّا **الفعل التأثيري** فيظهر في صمود المؤمنين في مواجهة عدوّهم.

ويمكن تمثيل الفعل الكلاميّ في المخطط الآتي:

[1] ط1، 2010، ج2، ص 882.

الشكل (1)

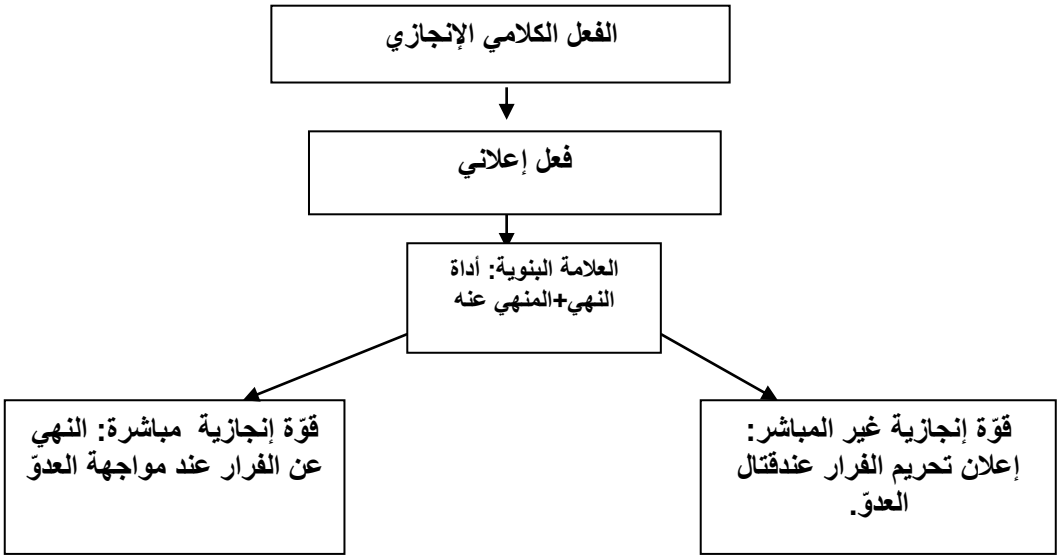

- **الأبعاد التربويّة لفعل إعلان تحريم الفرار عند التقاء الجمعان:**

1_ الأبعاد الفكريّة: إنّ في نهيه تعالى المسلمين عن التوليّ عند مواجة وقتال العدو يعلّم الأمّة المسلمة أنّ الفرار من الزحف ليس من شيم المسلمين، والله تعالى جعل ذلك محرمًا، فلا يجوز للمسلمين في القتال أن يفروا وأن يولوا ظهورهم لعدوهم، وإنّما عليهم مواجهة العدو وعدم الخوف من الموت قال تعالى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾[1]، كما يربي هذا فكرة التضحية والبذل والعمل في سبيل الله.

2_ الأبعاد النّفسيّة: إنّ في تحريم الله تعالى الفرار عند مواجهة العدو، يصنع في نفوس المسلمين، الشجاعة وينزع من قلوبهم الرهبة والخوف من الموت، وهذا يحققه الإيمان بالله؛ فمتى تحقق الإيمان بالله وبأنه لن يصيب الإنسان شيئا إلا وقد قدره الله له.

3_ الأبعاد السلوكيّة: على المسلم أن يتعلم أنّ الشجاعة والثبات والإقدام عند اللقاء من واجباته التي لابدّ له من القيام بها، وأنّه من أخلاقه الفرار عند مواجهة العدو، فالأصل في المسلم أن يكون شجاعا مقدامًا يواجه العدو بوجهه لا بظهره، يقاتل بالسيف أو البنذقية أو

[1]_ سورة التوبة، الآية: 51.

الحجارة... فمن كان من أهل الإيمان والصلاح فعليه بالعمل والتضحية في سبيل جعل كلمة الله هي العليا.

وهذا ما نجده يكاد منعدما في مجتمعاتنا اليوم، فاليهود يقاتلون ويقتلون الفلسطنيين ويقتلون كل يوم الآلاف الأبرياء، وبعض العرب يولون ظهورهم عن إعانة الفلسطنين ومواجهة عدوهم، الذي هو في الأساس عدو كل العرب المسلمين، فالواجب يكون أولا منصبا على أبناء البلد المحتل «فإن لم يكفوا فعلى من يليهم من جيرانهم»[1]، فمادام البلد المتحل مسلما فالهمّ يقع على جميع البلدان المسلمة، ومن تهرب من هذا فهو مسلم باللسان فحسب.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(3):**

قال تعالى: ﴿۞وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾.

يرد الخطاب القرآني في هذه الآية في سياق بيان كيفية تقسيم الأنفال بعدما بيّن الله تعالى أنّ حكمها خاص بالله ورسوله وقد نزلت في معركة بدر لذلك فإنّ الخطاب موجه إلى جميع المسلمين وبالخصوص جيش بدر[2].

وتشكّل الآية السابقة فعلا كلاميًّا يظهر أولا في الفعل النطقي المتمثل في التلفظ بالجملة الفعلية ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم...﴾ والمقصود بالغنائم* ما أخذ من الكفار بعد القتال، أمّا

[1]_ مجاهد مأمون ديرانيّة، الاستعمار وفلسطين،دار المنارة ، المملكة العربية السعودية ،ط1، 2023، ص 19.

[2]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص5، والألوسي، روح المعاني، ج12، ص200.

*- الفرق بين الغنيمة والفيئوالنفل: اختلف المفسرون قديما وحديثا في بيان الفرق بين هذه المصطلحات حيث ذهب الطبري أنّالغنيمة هي ما أُخذ عنوة بقتال والفيء هو ما أُخذ بعد الصلح ومن دون قتال ولم يذكر النفل، بينما ذهب ابن عاشور ومجموعة أخرى من المفسرين أنّ الغنيمة والأنفال بمعنى واحد وقد ذكرناه سابقًا= يُنظر: تفسير الطبري، 185، ابن عاشور، ص6.

المحتوى القضوي فيتمثل في تعليم المسلمين كيفية قسمة الغنائم، قال الطبري(ت 310هـ): «قال أبو جعفر وهذا تعليم من الله ﷻ المؤمنين قسم غانمهم إذا غنموها ». [1]

والفعل الإنجازي يتكون من **قوة إنجازيّة مباشرة** وهي الأمر وقد دلّ عليه بالعلامة النحويّة(اعملوا)، لكن وبالنظر إلى السياق نزول الآية وماورد في تفسيرها نلاحظ بأنّ المقصود ليس طلب الفعل على جهة الاستعلاء، وإنّما أُفتتح الخطاب بفعل الأمر للاهتمام بشأن الغنيمة وللتنبيه على قسمة هذه الغنائم بالطريقة الصحيحة[2]، وهذا ما يُعرف في البلاغة العربيّة بخروج الأمر إلى معانٍ أخرى[3]، ترتبط بالسيّاق وملابسات الخطاب.

وعليه فقد وجدنا أنّ الأمر الذي شكلّ قوّة إنجازيّة مباشر قد عبر عن قوّة إنجازيّة أخرى مستلزمة؛ فالمقصود شيء فوق الأمر تمثل في الإعلان الذي يُصنف تداوليًّا ضمن قسم الإعلانيّات أو التصريحيّات؛ فقد أعلن تعالى أنّ الغنائم تقسم على خمسة أخماس وفي توضيح هذه القسم يقول الطبري: «فأربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة، فربع لله والرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي ﷺ ولم يأخذ النبي ﷺ من الخمس شيئا، والربع الثاني لليتامى والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل»[4] ، ومنذ إعلان قسمة هذه الغنائم وهي تقسم بهذه الطريقة، فالإعلان فعل كلاميّ أدى إلى تغيير الواقع بمجرد النطق به بجعل الكلمات مطابقة للعام والعام مطابق للكلمات. واستجابة المسلمين لقسمة الغنيمة بهذه الطريقة مرهون بمدى قوّة إيمانهم قال تعالى: ﴿**إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ...**﴾ ؛ فإن كانوا مؤمنين حقًا ودخل الإيمان في قلوبهم فسيستجيبون لهذا الفعل الإعلانيّ الذي يقتضي تقسيم الغنيمة بذلك الشكل،

---

[1]_ الطبري، تفسير الطبري، ج11، ص184.

[2]_ يُنظر : ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص5.

[3]

ص153_154.

[4]_ الطبري، تفسير الطبري، ج11، ص191.

لذلك فإنّ االفعل التأثيري يظهر في الاستجابة لفعل الإعلان وجعل الغنائم مقسمة بالشكل المعلن عنه.

- **الأبعاد التربويّة لفعل إعلان قسمة الغنائم:**

1_**الأبعاد الفكريّة:** بعدما أعلن الله تعالى في الآية الأولى أنّ حكم الأنفال مردود لله ورسوله فحسب، وارتضى المسلمين بهذا أعلن في هذه الآية أنّه يمكن لهم أخذ أربعة أخماس الغنيمة وهذا ما يوضح لنا بعدًا فكريًّا يتمثل في حكمة الله تعالى البالغة فليختبر مدى صدق إيمانهم واستسلامهم للقسمة الجديدة أعلن قسمتها؛ فتطبيقهم لهذه القسمة يبقى مرهونًا بإيمانهم، فإن كانوا يؤمنون بالله ورسوله فحتمًا سيطبقون هذه القسمة التي ارتضاها الله لهم.

كما أنّ إعلان قسمة الأنفال بالطريقة التي ذُكرت في الآية توضح لنا عدل الله سبحانه وتعالى فقوله لله تعالى: ﴿**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ**﴾ عائد لمصالح المسلمين العامة ثمّ بين أنها تخص أيضا اليتامى وولي قرابة الرسول لأنّهم آزروه، وابن السبيل الذين شاركوا في نصرة الإسلام...[1]؛ فلا يمكن أن يأخذ هذه الأنفال الأغنياء ومن لم يكن ضمن هذه الفئة وهذا من تمام العدل والنزاهة.

2_**الأبعاد النفسيّة:** إنّ هذا الفعل يكوّن بعدًا نفسيًّا يظهر أساسًا في الرضا والحب بأحكام الله سبحانه وتعالى التي تمسّ أساسًا المحتاجين، واليتامى والمساكين.

3_**الأبعاد السلوكيّة:** إذا أعلن الله تعالى قسمة الأنفال بهذه الطريقة فلا يجوز الاعتراض على حكم الله ولا مخالفة قسمته، ولابدّ من التسليم لهذا الحكم فمنه تنبع حقيقة الإيمان والإسلام يقول سيد قطب: «الاستسلام لهذا الأمر الجديد هو الإيمان...هو شرط الإيمان...وهو مقتضى الإيمان »[2]، وكذلك الاستسلام لبقية أحكام الله (ﷻ)؛ فكل حكم أنزله تعالى لابدّ من الوقوف عند وعدم تجاوزه؛ فمن ذلك يتحقق الإيمان والإسلام.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي(4):**

قال تعالى:﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧**﴾

[1]_ يُنظر: الألوسي، روح المعاني،ج5، 203.

[2]_ سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد3، ج10، ص1521.

يظهر الفعل الكلامي التوجيهي في قوله تعالى:﴿فَشَرِّدْ بِهِم﴾ وهو بمثابة فعل إنجازي يتمثل في محاولة دفع المخاطب (الرسول ﷺ) للقيام بالفعل المأمور به؛ فقد أمره تعالى بأن يشرد الكفار؛ أي ينكر في تعذيبهم وعقوبهم بحيث يصيرون بها عبرة لغيرهم، يقول القرطبي:«لعلّ هذا يكون عبرة لمن بعدهم فيعرضون عن القيام بما قاموا ، والتشريد في اللغة: التبديد والتفريق»[1]، وعليه نلاحظ أنّ الفعل التلفظي يظهر في النطق بالجملة الشرطية (الشرط والجواب)، والضمير في (لعلهم يتذكرون) إحالة شخصية إلى من الموصولة[2]، والمحتوى القضوي يتكون من الخبر وهو التشريد ببني قريظة الذين «عاهدوا النبي (ﷺ) أن لا يحاربوه ولا يعينوا عليه عدوه ثمّ نقضوا عهدهم فأمدوا المشركين بالسّلاح والعدة...»[3]، أمّا المرجع فهو الرسول (ﷺ) فالأمر موجه إليه.

وعليه نستطيع القول إنّ **القوة الإنجازية الحرفية** تمثلت في الأمر الذي يستدل عليه بالصيغة النحوية (فشرّد) وعلى الرغم من مجيء الفعل الإنجازيّ على هيئته المباشرة والحرفية فهذا لا يمنع من حمله **لقوّة إنجازيّة غير مباشرة** والتي نستشفها من السياق العام للآية وهي إعلان إباحة مقاتلة الكفّار الذين غدروا وخانوا؛ فالدّين الإسلاميّ دين قوّة وليس دين ضعف؛ ثمّ الدعوة للاعتبار والاعتاظ بأن لا يُقدم غير هؤلاء على فعل الخيانة؛ فقد أمر تعالى الرسول (ﷺ) بأن ينكّل بهؤلاء من أجل أن يكونوا عبرة لغيرهم وفي مضمون هذا يقول ابن عاشور: «وفي ذلك رحمة لغيرهم لأنّه يصد أمثالهم عن النكث ويكفي المؤمنين شر الناكثين الخائنين»[4]، فعندما يشرّد الرسول الكريم بهؤلاء الكفار وينكل في قتلهم سيكون فعله هذا عبرة لغيرهم بأن لا يخونوا عهد الله فيكفي المؤمنين شرّ فعلتهم، ويقول السعدي أن في هذا زجر لمن لم يعمل المعاصي[5]؛ فسماع

[1]_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 48.

[2]_ ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير، ج10، ص51.

[3]_ المرجع نفسه، ص48.

[4]_ المرجع نفسه، ص 50.

[5] _يُنظر: السعدي، تفسير السعدي، ص320.

باقي الكفّار خبر التكير سيجنبهم الوقوع في معصية نقض العهد، وما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، أي « لعلّ المشردين من ورائهم»[1]، يتعظوا بما حدث لغيرهم فيكفوا عن فعل الشرّ، **والفعل التأثيري** يظهر فالإعراض عن فعل الخيانة من جهة، ومن جهة أخرى مقابلة غدر وخيانة الكفار بالتقتيل والتنكيل.

- **الأبعاد التربويّة لفعل إعلان إباحة المشركين والكفّار والتنكيل بهم:**

1_ الأبعاد الفكريّة: تنقل لنا الأفعال الكلامية هنا وبالنظر إلى سياق ورودها فكرة كراهية الله تعالى للغدر والخيانة، ومنه جاء الأمر بتأديب الخونة على نحو يخيف أمثالهم ويلزمهم حدودهم[2]، فالغدر والخيانة من صفات الكفّار، وهي من الأفعال المنهيّ عنها في الدين الإسلاميّ، لذلك أمر الله تعالى بتعذيب هؤلاء الخونة، كما يتضح لنا في أمر الله تعالى بالتنكيل بالكفار وتعذيبهم دعوة لزرع الخوف والفزع والرعب، في من أرادوا خيانة الله ورسوله، وهذا بيان بأن الدين الإسلامي دين هيبة وقوّة وسطوة وليس مجرد دين للدعوة والتبليغ[3] فمن نقض عهد الله وغدر وخان فلابدّ أن يُقاتل ويعذّب، فجزاء سيئة سيئة مثلها.

2_الأبعاد النفسيّة: هذا ما يُربي ف نفسيّة الفرد المسلم الشعور بالقيمة الكبيرة لهذا الدّين لا يربينا على الضعف بل يبيح لنا مقابلة السيئة بالسيئة، كما يربي فينا الاستشعار بذمامة بعض الأفعال كالخيانة والغدر.

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ هذه الأفعال تربي فينا سلوكات تبتعد عن أفعال الغدر والخيانة أولاح فليس من أخلاق المسلم الغدر والخيانة وإنّما هي من أخلاق الكفّار الذين لا دين لهم ولا مذهب، كما تربينا على سلوك ردّ السيئة بالسئية وعدم الاستسلام والضعف.

- **التحليل التداولي للفعل الكلامي (5):**

قال تعالى:﴿**فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾**﴾.

---

[1]_ الزمخشري، الكشاف، ج10، ص417.

[2]_ يُنظر: محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص185.

[3]_ يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1542.

إنّ الخطاب القرآني هنا موجه إلى المؤمنين من أهل بدر، فهو يأمرهم بأن يأكلوا من غنائم معركة بدر وأن يتقوا الله في ذلك بأن لا يفعلوا شيئا لم يأمرهم به الله[1].

وبالرجوع إلى التحليل التداوليّ لعناصر الفعل الكلاميّ في ملفوظ هذه الآية، نلاحظ أن الفعل اللفظي يظهر في التلفظ بالعبارة المبتدءة بفعل الأمر ﴿كلوا﴾ وهي جملة فعليّة لأنها ابتدأت بفعل، **والمحتوى القضوي** هو الأكل من الغنائم الحاصلين عليها من الأسرى وهذا ما يُسمى بالفداء، وهو من الغنائم والمقصود بالغنيمة «ما افتكه المسلمون من مال العدو بالايجاف عليهم»[2]، وتقوى الله في كل ذلك، أمّا الأكل في قوله تعالى ﴿كلوا﴾ فليس المقصود به الأكل المتعارف عليه، وإنّما عُبر بالأكل لأنّه « أقوى كيفيات الانتفاع بالشيء»[3].

وعليه، فإنّ الملاحظ أنّ **الفعل المباشر** هو الأمر الحقيقي وذلك ظاهر من خلال العلامة البنوية (كلوا)، إلاّ أنّ المقصود هو تحقيق فعل **غير مباشر** يتمثل في **الامتنان**؛ فالأمر مفرع على الامتنان بالإذن للمسلمين بأن ينتفعوا بالغنائم في مصالحهم، وليس المقصود بالأمر هنا الإباحة، فقد ذكر سابقا، وإنّما الأمر مستعمل في معنى المِنّة[4]؛ فهذا من نعم الله تعالى على المسلمين بأن ينتفعوا بالغنائم التي افتكوها من العدوّ، ثم أردف تعالى كل ذلك بالأمر بتقواه، والجملة حاملة لمعنى التذييل، فبعدما بيّن تعالى نعمه على المسلمين ذيّل (أَلحقَ) ذلك بالأمر بتقواه تأكيدا على أنّ التقوى من نتائج نعم الله فهي تعبر عن الشكر لله، فالنعمة موجبة للتقوى، أمّا قوله تعالى:﴿**إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ تعليل على الأمر بتقوى الله وهذا ما يمكن اعتباره تدعيم للقوّة الإنجازيّة، والفعل التأثيري يظهر في تقوى الله، بمراعاة حدوده أمرا ونهيّا والاتصاف بما أمر أن يُتصف به، ويمكن تمثل أفعال الكلام بالشكل الآتي:

---

[1]_ يُنظر:الطبري، تفسير الطبري، ج11، ص 230.

[2]_ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص 78.

[3]_ المرجع نفسه ، ص 79.

[4]_ يُنظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص 79.

- قوّة إنجازية مباشرة (الأمر الحقيقي) ← كلوا
  ↓ اتقوا
- قوة إنجازية غير مباشرة ← إعلان إباحة الأكل من الغنائم

- **الأبعاد التربويّة إعلان إباحة الأكل من غنائم الحرب:**

إنّ الأمر العظيم الذي تدعوا إليه أفعال الكلام التي دلّ عليها ملفوظ الآية السابقة تمثل أساسا في تقوى الله، فما الأبعاد الفكريّة، والنفسيّة، والسلوكيّة التي يُمكن أن نستشفها من فعل التقوى؟

1_الأبعاد الفكريّة: التقوى شعار أهم الجنّة، وفيها النجاة في الدنيا والآخرة دعا إليه القرآن الكريم في العديد من المواضع ومنه قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ**﴾[1]، ولذلك فإنّ استشعار أهميّة التقوى في هذا المقام أهمّ بعدٍ فكريّ.

2_الأبعاد النفسيّة: إنّ في الدعوة لتقوى الله بعدٌ نفسيّ يتجلى في استشعار عظمة الله تعالى، وأنّ تقواه سبب لحصول رضاه ومغفرته، أمّا في الامتنان فيحصل الأُنس والطمأنينة، كيف لهذا وهذا امتنان من الله تعالى يحمل معاني الرضا والإذن...

3_الأبعاد السلوكيّة: إنّ الدعوة إلى تقوى الله من شأنها أن تغرس في سلوك الفرد المسلم سيرا على هذا السلوك وهو تقوى الله حق تقاته، فتقوى الله من أساب استمطار الرحمات الربانيّة، ومن أجل ذلك أعقب الله تعالى أمره بالتقوى، بقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فالله تعالى غفور رحيم بالمؤمنين، فقد أحلّ لهم أخذ الفداء .

[1]_ سورة آل عمران، الآية: 102.

خاتمة الفصل الخامس:

نخلص من خلال ما سبق أنّ الإعلانيات في سورتيّ الإسراء والأنفال وردت على هيئة أفعال إنجازيّة غير مباشرة؛ إذ يُظهر شكلها أنّها إخبار أو أمر لكن المقصود منها شيء فوق ذلك وهو الإعلان الذي ينشؤ فعله بمجرد التلفظ بكلماته، ويتضح ذلك عندما يتم ربطه بالسياق وملابسات الخطاب، كما أنّ أفعال الأمر في بعض الآيات هي من مكتنا من تحديد فعل الإعلان ومثال ذلك الفعل (قُلْ) فالمتلفظ به هو الله تعالى الذي له الأمر النافذ والمخاطب هو الإنسان مخلوق من مخلوقاته الذي لا يملك أمام سلطة المتكلّم إلا التنفيذ والاستجابة بأرادته أو بدونها، فبمجرد النطق بذلك الفعل وأمثالها التي ذكرناها سابقًا يحدث التغيير في الواقع أو الخارج فتصبح الكلمات مطابقةً للعالم والعالم مطابق للكلمات، إذًا نلاحظ بأنّ هذه الأفعال دائمًا ناجحة ومتحققة لأنها نابعة من مؤسسة دينية ذات مكانة وسلطة مقدسة فهو الخالق البارئ الذي له الأمر والسلطان.

أمّا الأبعاد التربويّة المستنبطة من الأفعال الإعلانيّة فقد ألفناها تتمحور حول بيان حكمة الله (ﷻ) فكل الأفعال المعلنة توحي بمدى عدله تعالى ونزاهته، وقدرة الدّين الإسلاميّ على تنظيم حياة الفرد والجماعة، فقد تغيّرت الأحكام بين البشرية قديمًا وبعد مجيء الإسلام الذي تمكّن من تخليصها من عادات وتقاليد أسرتها لمدّة عقود من الزمن؛ فالمجتمع في كنف الدّين الإسلاميّ يمثل ميلادًا لإنسان جديد على مختلف الأصعدة والمجالات، مما يجعله يعيش في ضمن ضوابط اجتماعية تنظم الحياة الاجتماعية وتضمن لكلّ إنسان حقوقه وواجباته.

- **الفعل الكلامي الكليّ لسورتي الإسراء والأنفال وبعده التربويّ :**

بعدما بيّنا أفعال الكلام الصغرى لكلّ آية من آيات سورتيّ الإسراء والأنفال وتوصلنا إلى أنّ كلّ آية يمكنها أن تشكل فعلا كلاميًّا مستقلًا نورد فيما يلي الفعل الكلامي الكلي أو الأكبر للسورتين وذلك انطلاقا من الفكرة التي وضعها فان دايك (Van Dijk) والتي أطلق عليها مصطلح الفعل الكلامي الأكبر أو التداولية الكبرى وهو الفعل الكلاميّ الإجمالي الذي

يؤديه متوالية من أفعال الكلام ضمن منطوق الخطاب وسياقه،[1] فتضافر أفعال الكلام الصغرى مع بعضها البعض ضمن منطوق الخطاب الواحد يؤدي فعلا كلاميًّا كليًّا؛ فالنص« مهما كان طوله فإنّه قد يؤدي فعلًاكلاميًا واحدًا (ولو تعددت الأفعال الكلامية) »[2]، لذلك فإنّ أفعال الكلام التي شكلتها آيات هاذين السورتين من إخبار وتوكيد وتوجيه ووعد وعيد وإعلان يمكن إجمالها ضمن فعل كلامي كليّ.

تنوعت أفعال الكلام في سورة الإسراء وذلك بتنوع المواضيع والأغراض التي تناولتها السورة فتوزعت بين أفعال كلامية إخبارية مباشرة وغير مباشرة وأفعال توجيهية وأخرى تعبيريّة وإعلانية والتزامية إلّا أن السيطرة كانت من نصيب أفعال الكلام التوجيهيّة أو التوجيهيّات.

كما رأينا كذلك أنّ سورة الإسراء اشتملت على أعظم حدث وقع للنبي (ﷺ) وهو الإسراء به من البيت الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس وقد حدث ذلك في غمرة أحزانه واشتداد العدوان عليه، ونفس الشيء قد يحدث لأي عبد مؤمن فقد تتسلط عليه كل أنواع الأحزان والابتلاءات فيتفاجئ برحمة الله ؛ ففي خضمن أحزان النبي(ﷺ) أيده الله بمعجزة الإسراء الباهرة التي خرقت جميع نواميس الأرض وحيرت الكفار والمشركين وأيده بالحجج والبراهين الدالة على صدقه عليه الصلاة والسلام.

وعليه، نستطيع القول إنّ الفعل الكلامي الكلي المباشر لسورة الإسراء هو الامتنان الذي يمكن تصنيفه تداوليّا ضمن قسم التعبيريات وقد ورد بصيغة الإخبار؛ فمثلا قوله تعالى في بداية السورة﴿**سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ...**﴾ملفوظ هذا الفعل وارد بصيغة الخبر وهذا ما تعبر عنه البنية الشكلية للآية إلاّ أن المقصود منها في عرف التداوليّة هو إنشاء فعل الامتنان.

---

[1] الشرق، المغرب، (د، ط)، 2000، ص309.

[2] ـ عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص286.

أمّا البعد التربوي للسورة كاملة هو تصحيح الاعتقاد والاطمئان بأنّ بعد الحزن يأتي الفرج والانشراح ثم تقويم السلوك ، فقد جاءت سورة بني إسرائيل لتخاطب النفس البشرية في وجدانها وفي انفعالاتها، وفي أحزانها وأفراحها، في آلامها وآمالها تمضي بنا في عمق المشاعر السلبية فتقومها، وهذا ما لاحظناه جليّا ظاهرا في الأبعاد الفكرية والنفسية والسلوكية التي استنبطناها من كل فعل كلامي تداوليّ استنطقته آياتها.

سورة الأنفال من السور المدنية ـوكغيرها من السورة المدنية ـجاءت متضمنة لأحكام الشريعة وغيرها ولعلّ أبرز حادثة وردت في هذه السورة قضية الغنائم والاختلاف حول قسمتها ومنها سميت السورة بالأنفال، أي الغنائم حيث بينت السورة أن الأنفال لله وللرسول وقسمتها تكون بمعية الرسول (ﷺ) كما أنّ في ذلك دعوة خفية تتمثل في الأمر بتقوى الله المتمثلة في طاعته وطاعة رسوله. وقد ورد ذلك من خلال مجموعة من الأوامر حيث اشتملت سورة الأنفال على واحد وثلاثين(31) موضعا للأمر وردت للنصح والنهي والتوجيه حيث أراد تعالى أن يبين لهم أنّ هذه الأنفال عرض دنيوي زائل، والاختلاف عليها اختلاف دنيوي، والله تعالى يريد أن يرسخ في قلوبهم قوانين النصر بعيدا عن الدنيا وزخرفها، والأنفال قضية فرعية، أمّا القضية الأساسية فهي تقوى الله المتمثلة في طاعته وطاعة رسوله والتراحم والتكافل وإصلاح ذات البين وعدم التنازع...

وعليه نستطيع القول إنّ الفعل الكلامي الكلي لسورة الأنفال يتمثل في فعل كلامي مباشر بألفاظ مباشرة وهو ترك قسمت الغنائم للرسول(ﷺ) وفعل كلامي غير مباشر يتمثل في الأمر بتقوى الله وترك التنازع عن الأنفال لأنّها عرض دنيوي زائل.

خاتمة

خاتمةً:

بعد اختتام رحلتنا البحثيّة في تحليل أفعال الكلام وبيان أبعادها التربويّة في سورتي الإسراء المكيّة والأنفال المدنيّة، وجمعنا بين مجالين علميّين مختلفين الجانب التربويّ الإصلاحيّ واللغوي التداوليّ نجمل ما توصلنا إليه في النقاط الآتية:

- تبيّن لنا من خلال البحث أنّ جوهر لغة الخطاب القرآنيّ ومقاصدها تنكشف عندما تحلل اللغة بالنظر إلى سياق استعماها؛ أي باعتبارها صادرة من متكلّم محدد وبلفظ محددٍ لتحقيق غرض محددٍ، أمّا أبعادها التربويّة فتظهر بصورة جلّية عندما يتم تقسمها إلى أبعاد فكريّة، ونفسيّة، وسلوكيّة، فيظهر التأثير الفكريّ الذي يسهم في تكوين شعور نفسيّ وأخيرًا ضبط سلوكيّ.
- جاء بحثنا عبارة عن مقاربة تداوليّة للخطاب القرآنيّ، أو محاولة لتطويع المنهج التداوليّ ليتفق وقدسيّة النص القرآني، موضحين بذلك أنّ أغلب ما أورده المفسرون يعدُّ تطبيقًا تداوليًّا؛ فهم يهتمون بالمخاطب، والمتكلّم، والسياق، والمقاصد الحقيقية للمتكلّم، ويحاولون فهم ما لم يصرّح به، وهذا عينُ المنهج التداوليّ.
- وتمّ التوصل انطلاقًا من تتبعنا للغة الخطاب القرآني في سورتي الإسراء والأنفال أنّ لغة الخطاب القرآني تمثل نموذجا حيًّا للغة التداوليّة الإنجازيّة؛ وذلك لتوفرها على الركيزتين الأساسيتين اللتين انبنت عليهما النظرية التداوليّة بصفة عامة وأفعال الكلام بصفة خاصة وهما التأثير والإنجاز.
- توصلت الدراسة إلى أنّ الفعل الكلامي في الخطاب القرآني صالح لكل زمان ومكان؛ فالقرآن الكريم نزل في (زمن الرسولﷺ في المدينة المنورة ومكة المكرمة) إلاّ أنّ لغته وخطابه ومعانيه لاتزال متداولة ومستعملة لحد الساعة وحتى تقوم القيامة؛ لأنّه يُبنى على مقاصد إنسانيّة لا تنحصر في سياق زمني؛ لذلك فإنّ الفعل الكلامي في سورتي الإسراء والأنفال يمكن تحيينه لكي يتجاوز المكان والزمان.؛ لذلك قد يرد في سبب نزول

آية ما أنها نزلت في شخص ما (رسول، أو صحابي أو زوجات النبيﷺ غيرها) لكن هذا لا يمنع من اسقاطها على حالة أو وضعية في زماننا اليوم؛ فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وهذا ما يمكننا من استنباط الأبعاد التربويّة.

- وتأكدنا من خلال بحثنا أنّ القرآن الكريم كتاب الدّين والدنيا ودستور العلم والعمل، يحمل وصايا وتوجيهات يحتاجها المسلم المؤمن في تقويم سلوكه وتحسين أخلاقه؛ فكان في تتبع الأبعاد التربويّة المستنبطة من سورتي الإسراء والأنفال قيم وأخلاق وتوجيهات تهدف إلى تقويم سلوك الفرد والجماعة.
- وقد أسفر بحثنا في سورتي الإسراء والأنفال عن أبعاد تربويّة يمكن استثمارها في مجال المعاملات الاقتصاديّة، وفي مجال الأخلاق، وفي مجال الحرب ونظامها، فقد قدّمت سورة الأنفال قوانين ثابتة للنصر تظهر في الأخذ بالأسباب والاستعداد للجهاد، ثمّ الإيمان بأنّ الله صانع النصر، وقلبها بيّنت سورة الإسراء المطلوب من القرآن الكريم بفهم معانيه والعمل به والوقوف عند آياته بالانتفاع والتفاعل، ومن الصلاة بأدائها فريضة ونافلة، ومن الأخلاق السيئة بمعاهدة الله بتركها وعدم الاقتراب من طرقها وأسباها وتجلّياتها...
- مكنتنا الأبعاد التربوية ـالمستنبطة من الآيات القرآنيةـمن اكتشاف الدلالات المضمرة والتلميح الإلهي، وجعلتنا نستشعر الهدف الأسمى للقرآن الكريم؛ فقد جاء ليهدينا لقيم تربويّة تصحح تفكرينا، وتغيّر سلوكنا.
- لاحظنا أنّ الفعل الكلاميّ يمرُّ بأربع مراحل أساسيّة قبل وصوله إلى حالته النهائية؛ الفعل القولي المتعلق بالصوت والتركيب والدلالة، والفعل القضوي الخاص بالحدث المشار إليه، والفعل المتضمن في القول عمل يتحقق بمجرد التلفظ بعبارة معينة، والفعل الناتج عن القول الذي يخصُّ ردود فعل المتلقي وذلك ما وألفناها واضحًا جليًّا في مدونة بحثنا.

- توصلنا من خلال بحثنا أنّ في كثير من الأحيان يأتي الفعل الإنجازيّ متضمنا في الفعل الوصفي، بمعنى أننا قد نتأمل قوله تعالى:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ فنلاحظ أنّها جملة خبريّة تخبرنا عن أمر الله تعالى بمكانة الوالدين ولكنّها متضمنة لفعل إنجازيّ متضمن في القول قد يكون إعلانًا بتحريم أديّة الوالدين أو فعلًا توجيهيًّا بالبرّ بهما أو نصحا باحترامهما وطاعتهما، وهذا يعني أنّ كثيرا من الأفعال الكلاميّة قد لا تأتي بشكل مباشر وصريح وإنما ترتبط بالسياقين المقالي والمقالي.
- وتّم الوصول إلى أنّ الفعل التأثيري ـفي الخطاب القرآني بالتحديدـ يحتاج إلى تخمين وتوقع فنتائج الأفعال الكلاميّة فيه متوقعة فحسب؛ إذ تختلف من شخص إلى آخر حسب درجة إيمانه واقتناعه، فهناك من يدرك الفعل دون أن يحدث تغيرا في سلوكه، وهناك من يدرك الفعل فيتأثر ويغير من سلوكه، ومشاعره، وتفكيره...
- وتمّ التأكد من خلال دراستنا أن الأخبار والقصص-التي ظهرت في شكل أفعال كلام إخباريّة أو الإخباريّات-التي يوردها القرآن الكريم ليست لمجرد الإخبار وبيان قصص الأمم الغابرة، وإنّما مقصدها الأساسي هو الهداية والإرشاد وأخذ العبرة...، كما أظهرت الأفعال التوجيهيّة أو الطلبيات كالأمر والنهي عن بعد سلوكي من خلال ضبط سلوك الفرد والجماعة وتوجيههما نحو قيم العدل والتواضع والرحمة سواء في السياق الفردي (سورة الإسراء) أو السياق الجهادي (سورة الأنفال).
- وتمّ التوصل إلى أنّ الأفعال الكلاميّة الإعلانيّة كالتحريم وإصدار الحكم أفعال ذات تأثير كبير في المتلقي، خاصة وأنها تصدر من الذي يمتلك السلطة والقرار (الله سبحانه وتعالى) فأفعاله الكلامية ذات قوة إنجازية لا يمتلكها أي متكلم آخر.
- كشف البحث أن الخطاب القرآنيّ يتميّز بلغته التأثيرية ومقاصده التبليغية ولذلك برز الفعل التأثيريّ للخطاب القرآني بقوّة لافتة وكانت الأبعاد التربويّة بمثابة أفعال تأثيرية لأفعال إنجازية مختلفة؛ تؤثر على فكر المخاطب، ونفسيته، ثمّ سلوكه.

- إنّ الأبعاد التربيّوية ساعدتنا في بيان جانب إعجازي آخر في القرآن الكريم قلّما تحدث عنه الباحثين والعلماء في مضمار إعجاز القرآن الكريم، ألا وهو الإعجاز التأثيري الذي لايؤثر في وجدان المخاطب فحسبُ وإنما يؤثر في فكره وسلوكه أيضًا.
- إنّ لأفعال الكلام في سورتيّ الإسراء والأنفال وما حملته من معان ومقاصد تداوليّة تأثير عجيب في النفوس، تنشرح له الصدور وتهوي إليه الأفئدة، وذلك ما أسميناه بالأبعاد النفسيّة.
- القرآن عظيم مليء بالمعاني والخبايا، يسعى لتربية الفرد والأسرة والمجتمع، انطلاقا من تربية الفكرة السّليمة وصولا إلى تقويم السلوك؛ فذلك هو الدّين القيم، لذلك فإنّ تحليل الأبعاد التربويّة في الخطاب القرآني لا يقف عند الحدّ الذي تناولنا فالمجال مفتوح أمام طالب العلم؛ فأسرار القرآن الكريم لا تنتهي.
- وأكدّت دراستنا صلاحية نظرية أفعال الكلام كأداة تحليلة ناجحة لمقاربة الخطاب القرآني، كما أثبت أهمية الدراسات البينية في الكشف عن العمق التأثيري للغة القرآن الكريم.
- من التوصيات المقترحة: تضمين تلك الأبعاد في حياتنا اليومية، والاستفادة من المقاصد والغايات المنجزة من أفعال الكلام؛ وذلك يكون من خلال ملازمة تلك الآيات القرآنية في التواصل اليومي لتضحى غداء للروح، وراحة للقلب ورجاحة العقل.
- لابد من استخدام النظريات اللسانية في خدمة الخطاب القرآني؛ وذلك يكون انطلاقا من دراية تامة بمضمون المناهج الغربيّة، والحذر من أن تكون الغاية من البحث خدمة النظريات اللسانية وليس خدمة الخطاب القرآني.
- لابدّ على دارس القرآن الكريم تداوليًّا ألا يقف عند حدود استخراج أصناف أفعال الكلام من إخباريات وغيرها وإنّما العبرة تكمن في بالبحث عن الغيات القرآن وأسراره التربويّة.

وآخر القول الحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

بيبليوغرافيا (قائمة المصادر والمراجع):

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

المراجع العربيّة:

1. أبراشي محمد عطية، روح التربية والتعليم، دار الفكر العربى للطباعة والنشر، القاهرة_ مصر، 1998.
2. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسط، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، إيران، 1374، ج1.
3. أحمد السّيد، معالجة القرآن لنفوس المصلحين، منار الفكر، ط1، 2023.
4. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2010.
5. أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط1، 2006، ج13.
6. أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللغة، مؤسسة الرسالة، ط2، 1986، ج1.
7. أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003، ج5.
8. أحمد حسين الرافعي، تفسير القرآن بالأمثلة والمعاني المعاصرة، القدس، ج2.
9. أحمد مدكور، مناهج التربية أسسها وتطبيقها ، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، 2001.
10. إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت_لبنان، ط1، 1993.
11. أبو بشر عمر سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت لبنان ط1، (د، ت) ، ج1.
12. أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، دار البشائر، دمشق، ط1، 1997.
13. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة، الدار البيضاء، ط1 ، 2006.
14. بلقزيز عبد الإله، الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2002.

15. ابن تيمية، الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير،تحقيق إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، دار ابن الجوزي، ط1، 1436، ج3.
16. ثروت مرسي، في نظرية الأفعال التداولية،دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2022.
17. جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، تحقيق عبد الله بن محسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ج15، ط1، 2001.
18. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق، إسماعيل الشافعي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط1، 1998.
19. جمار علي محمد، الوصايا العشر،إدارة الشؤون الدينية، الدوحة_قطر، (د، ت، (د، ط).
20. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016.
21. حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ومجموعة باحثين، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، 2014.
22. الحاكم في المستدرك، تحقيق الفريق العلمي لمكتب خرقة السنة، دار المنهاج القويم، الجمهورية العربية السورية،ط1، 2018.
23. أبو حسن علي بن محمد بن الماوردي، النكت العيون(تفسير الماوردي)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د، ت).
24. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(دط)، 2010،ج7.
25. خالد حوير الشمس، اللسانيات البينية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2022.
26. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003.

27. خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة دراسة في استراتيجيات الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد_الأردن، ط1، 2012.
28. خليفة بو جادي، في اللسانيات التداولية ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط2، 2012.
29. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت_لبنان، (د، ط).
30. عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط 25، 2007.
31. عبد الرحمن بن حجر الغامدي، مدخل إلى التربية الإسلامية، دار الخارجي للنشر والتوزيع، الرياض، 1418 هـ .
32. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تفسير السعدي، مكتبة الإيمان المنصورة، (د، ط)، (د، ت).
33. عبد الرحمن بودرع، محمد أبو زبد أبو زيد، أحمد تنوف، ميلود عرنيبة، محمد بلعيد، مصطفى العادل، خاليد حسني، سليمان محمد أمين السلامة، مامدى إفادة المناهج النقديّة واللّسانيّة الحديثة في دراسة النص القرآني، مجموعة من الباحثين، مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث، قطر، (د، ط)، 2021.
34. عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة أسامة، الرّياض، ط2، 1985.
35. الزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج9، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، (د، ت).
36. زكي بن سعد بن فهد الهويمل، خواص القرآن الكريم، دار ابن الجوزي.
37. زهري بن شهاب، تنزيل القرآن، ، تحقيق صلاح الدين منجد، دار الكتاب الحديث، بيروت، ط2، (د، ت).
38. سامي بن محمد العمر، الابتلاء بوابة الاصطفاء،(د، ط)، 1441هـ.
39. سعد بن سعيد الحجري، الخوف من الله تعالى،الكتيبات الإسلاميّة، دار بلنسية،(د، ط)، (د، ت).

40. أبو سعود، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربية، بيروت_لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ج4.
41. أبو سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، 1982.
42. فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن، دار الملاك، بيروت_لبنان، ط6، 1418.
43. الشوكاني محمد بن محمد، الفتح القدير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط1، ج3.
44. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، (د، ط)، 1992.
45. طالب هشام الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، (د، ط)، 1994.
46. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، 1984، ج 9، 10، 15.
47. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000.
48. عادل محمد خليل، أوّل مرة أتدبر القرآن، الكويت، ط2، 2016.
49. عائشة هديم، مقالات في تداوليّة الخطاب القرآني وعلومه، تقديم عمر بلخير، دار ركائز للنشر والتوزيع، الأردن، 2021.
50. أبو عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2006.
51. عبود حميودة، الصورة البيانية والبعد التربوي دراسة في سورة البقرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد_الأردن، ط1، 2016.
52. عربي بختي، العقل في القرآن والسنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر_بن عكنون، (د، ط)، 2015.
53. عبد العزيز أبو السريع، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1989.

54. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت_لبنان، ط1، 2009.
55. عفيف عبد الفتاح طبارة، الخطاب في نظر الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، (د،ت).
56. علاء الدين بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، 2004، ج2.
57. علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازيّة في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.
58. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2، (د، ت).
59. عمر بن عبد الله المقبل، قواعد قرآنية في النفس والحياة، مركز تدبر للاستشارات التربوية والعلمية قواعد قرآنية، المملكة العربية السعودية، ط2، 2012.
60. عمرو الشرقاوي، المشوق إلى القرآن،العصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2018.
61. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللسانيّ العربيّ،ايتراك للنشر والتوزيع، مصر_القاهرة، ط1، 2004 .
62. فخر الدين الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1981، ج20.
63. فريد الأنصاري، مجالس القرآن، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 2015، ج1.
64. أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ، القاهرة،(د، ط)، (د، ت)، المجلد5.
65. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1989.

66. القادري أحمد رشيد، الفكر التربوي الإسلامي، دار جرير، عمان ـ الأردن، 2005.
67. أبو القاسم محمود الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،دار المعرفة، بيروت_لبنان، ط2، 2009.
68. قاسم حسام أحمد، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
69. قاسم محمد بن أحمدة بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1995 ج1.
70. القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة، القاهرة، (د، ط)، 1988.
71. القرافي شهاب الدين أبي العباس، كتاب الفروق، أنوار البروق في أنوار الفروق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ، ط1،2001، ج4.
72. قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة بغداد، بيت الحكمة،(د، ط)، 1988.
73. ابن القيم الجوزية، الداء والدواء، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، ت).
74. ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت_لبنان، ط1، 2009.
75. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ط)، 1956، ج3.
76. عبد الله بن إبراهيم السادة، ثلاثون مجلس في تفسير سورة الإسراء، (د، ط)، (د، ت).
77. المبخوت شكري، دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد، بيروت،ط51، 2010.
78. مجاهد مأمون ديرانيّة، الاستعمار وفلسطين،دار المنارة ، المملكة العربية السعودية ،ط1، 2023.

79. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005، مصر.
80. مجيد الماشطة، مسرد التداولية ، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018.
81. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة_مصر، (د، ط)، 2014.
82. محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الشروق، (د، ط)، (د، ت).
83. محمد بن صالح العُثمين، تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، المجلد الأوّل.
84. محمد بن عبد العزيز الخضيري، السراج في بيان غريب القرآن، مجلة البيان، ط1، 2008.
85. محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث القاهرة،(د، ط)، 2006، ج2.
86. محمد بن علي محمد الشوكاني، فتح القدير، راجعه يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت_لبنان، ، ط4، 2007.
87. محمد حسن جبل ، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة(ز، ح، ف)، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2010، ج2.
88. محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة في الحوزة العلمية في قم المقدسية،(د، ط)، (د، ت)، ج13.
89. محمد سعيد رمضان البوطي،الحب في القرآن ودوره في حياة الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط4، 2011.
90. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط7، 2001.
91. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،دار القرآن الكريم، ط4، 1981، المجلد3.
92. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الحديث، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
93. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط2، ج1.
94. محمد محمد يونس علي، مقدمة في علميّ الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي_ليبيا، ط1، 2004.

95. محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيّات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004.
96. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، (د، ط)، 2002.
97. مختار عطية، علم المعاني، دلالات الأمر في القرآن الكريم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د، ط)، 2004.
98. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.
99. مصطفى غلفان، اللسانيات العربيّة، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
100. مقداد يالجن، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، ط2، دار عالم الكتب، الرياض، ج1.
101. نجلاء السبيل، وقفات تربوية في سورة الحجرات، دار التوحيد لتحفيظ القرآن بجدة.
102. نصر خليل جحان، وعد الآخرة زوال لا إبادة، تقديم محي الدين الأسطل،مكتبة دار الأرقم، غزة، 2018.
103. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي_ليبيا، ط1، 2004.
104. هشام عبد الله خليفة، نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت_لبنان، ط1، 2008.
105. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 2009، المجلد5، ج9، 10.
106. يعقوب محمد بن عليّ السكاكي، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط2، 1997.

المراجع الأجنبيّة المترجمة:

1. آل روبول وجاك موشلار، التداولية علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطفي الزيتوني، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ط1، 2003.
2. آلان روبول و جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداوليّة،ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، مراجعة خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د، ط)، 2010.
3. جورج يول، التداوليّة ، ترجمة قصي العتَّابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.
4. جوليان لونجي وإيليا سرفاني، قاموس التداوليّة، ترجمة لطفي السيد منصور، دار الرافدين، بيروت_لبنان، ط1، 2020.
5. جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت_لبنان، ط1، 2006 .
6. جون لانكشوأوستين ، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، (د، ط)، 1991.
7. دومنيك مانغو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعوم، الرباط، 2008.
8. فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (د، ط)، 2000.
9. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداوليّة، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنهاء القومي، (د، ط)، (د، ت).
10. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين لغوفمان، ترجمة صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007.
11. يان هوانغ، معجم أوكسفورد، ترجمة هشام إبراهيم عبد الله خليفة، دار الكتب المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2020.

المراجع الأجنبيّة:

1. John, Searle, Speech acts an essay in the philosophy of language, cambridge University prees 1969.
2. Michael Geis,Speech Acts and conversational ,cambriadge ,New York ,press 1955.
3. Yule ,Goerge ,Pragmatics, Oxford University press,1995.

الرسائل الجامعيّة:

1. ستار هويدي على الحسناوي، المقاربات التداوليّة في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربيّة وآدابها، كلية التربة للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، 2017.
2. فاضل ضايف سلطان، سورة الإسراء دراسة بلاغية دلالية نحوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الكوفة كلية الآداب، 2007.
3. مجدي محمد محمد عمارة، آيات الجهاد في القرآن دراسة تداولية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في اللغة العربية، جامعة طنطا، كلية الآداب، 2019.
4. محمد مدور،الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014.
5. موصد خديجة، خطاب النّفس في القرآن حقيقته، أساليبه، مقاصده، أطروحة مقدمة لنيل شهادة المجاستير، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامة،2007.
6. مؤيد عبيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البُعد التداولي،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها،الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم اللغة العربية، 2009.

المقالات:

1. إبراهيم عمر صالح، المعاني التربويّة في سورة الأنفال، مجلة البحوث والعلوم الإسلامية.

2. بدرية صالح البسام، الدلالات التربوية المستنبطة من وصايا سورة الإسراء وتطبيقاتها التربوية، دراسات تربوية في التربية وعلم النفس، المجلد الخامس، العدد، 2011.
3. جميل حمداوي، المقاربة التداولية في النقد والأدب، بحث منشور في منصة منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 2012.
4. عايد بن عبد الله الحربي، وصايا سورة الإسراء تفسيرها ودلالاتها، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد131.
5. محمد العبد، تعديل القوّة الإنجازية، فصول مجلة النقد الأدبي، العدد65، 2004_2005.
6. محمد عبد الله محمد سليم الشحي، القواعد التربوية المستنبطة من سورة الإسراء (مقال)، جريدة الحكمة، جانفي 2019 .
7. موصد خديجة، خطاب النّفس في القرآن حقيقته، أساليبه، مقاصده، أطروحة مقدمة لنيل شهادة المجاستير، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامة،2007.

المواقع الإلكترونيّة:

1. موقع إسلام أون لين، https://islamonline.net
2. موقع: أساب نصر الله للمؤمنين على أعدائهم63 https : binba2 arg sa discussion
3. القناة الرسمية للأستاذة الدكتورة رقية العلواني ، تدبر سورة الأنفال، شُوهد في 29 أكتوبر2023 رابط الفيديو: https://youtu.be/JcAZdpTMXNc?si=sCOVZ3tw2sf6ch2_.
4. القناة الرسمية للأستاذة الدكتورة رقية العلواني، تدبر سورة الإسراء: الحلقة الأولى (الآية من 1 إلى3)، نشر منذ ثلاث سنوات، شُوهد سنة 2022، رابط الفيديو: https://youtu.be/2auWUdAZUl8?si=0CdLKEdBQvjVOevq
5. رقية العلواني، ، تدبر سورة الإسراء، شُوهد سنة 2022، الرابط الفيديو: https://youtu.be/1RoYjLSCLvw?si=Fb_cSn9BzCr4BT9k

ملاحق البحث

الملحق الأول:

الرقم	المقابل العربيّ	المقابل الأجنبيّ
1	الحجاجية	**Argumentation**
2	الإخباريّات	**Assertive**
3	الالزاميّات	**Commissive**
4	استلزام عرفي	**Conversational Implicature**
5	استلزام تخاطبي	**Conversational Implicature**
6	الإعلانيات	**Declarative**
7	الأفعال المباشر	**direct illocutionary Acts**
8	التوجيهيات	**Directive**
9	التعبيريات	**Expressive**
10	فعل كلامي أكبر/ فعل كلامي إجمالي	**Global Speech Act Macro Speech Act**
11	الفعل الإنجازي	**Illocutionary act**
12	القوّة الإنجازية	**Illocutionary force**
13	الفعل غير المباشر	**Indirect illocutionary Acts**
14	اللسانيات	**Linguistics**
15	فعل القول	**Locutionary Act**
16	تعديل القوّة الإنجازية	**Modifying Illocutionary force**
17	الفعلالتأثيري	**Perlocutionary**
18	التداولية	**Pragmatics**
19	الفلسفة الذرائعية	**Pragmatism**
20	الخبر	**predication**
21	المحتوى القضوي/ الفعل القضوي	**/Propositional Act Content**
22	الإحالة	**Reference**

23	المرجع	**Reference**
24	أفعال الكلام	**Speech Acts**
25	البنوية	**Structural**
26	الملفوظ/ القولة	**Utterance**
27	الفعل النطقي	**Utterance Act**
28	الفعل اللفظي	**Utterance Act**

الملحق الثاني:

أ_سورة الإسراء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (1)وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا (2)ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا (3)وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا (4)فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا (5)ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا (6)إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُٓوٓاْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا (7)عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا (8)إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا (9)وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا (10)وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا (11)وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا (12)وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا (13)ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا (14)مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا (15)وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا (16)وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا (17)مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا (18)وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا (19)كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا (20)ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا (21)لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا (22)۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا (23)وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا (24)رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا (25)وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا (26)إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا (27)وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا (28)وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا (29)إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا (30)وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ

أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا (31)وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا (32)وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا (33)وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا (34)وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35)وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا (36)وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا (37)كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38)ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (39)أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40)وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41)قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43)تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (45)وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا (46)نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (47)ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48)وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49)۞قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50)أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (51)يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52)وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا (53)رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (54)وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (55)قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56)أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57)وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا (58)وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59)وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا (60)وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61)قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا (62)قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا (63)وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا (64)إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65) رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66)وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا (67)أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا (68)أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعًا (69)۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا (70)يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا (71)وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا (72)وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا (73)وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا (74) إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا (75)وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا (76)سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا (77)أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا (78)وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا (79)وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا (80)وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا (81)وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا (82)وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا (83)قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا (84)وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا (85)وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا (86)إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا (87)قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا (88)وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا (89)وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا (90)أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا (91)أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا (92)أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا (93)وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا (94)قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا (95)قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا (96)وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا (97)ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا (98)۞أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا (99)قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا (100)وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا (101)قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا (102)فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا (103)وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا (104)وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (105)وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا (106)قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا

(107)وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108)وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109)قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (110)وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111).

ب_سورة الأنفال:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (1) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2)ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (3)أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ (5)يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (6)وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ (7)لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (8)إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ (9)وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ (11)إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12)ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (13)ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ (14)يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ (15)وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (16)فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ (18)إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (19)يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (20)وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21)۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (23)يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (25)وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (27)وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (28)يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (29)وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ (30)وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ (31)وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (32)وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ (33)وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (34)وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ (35) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ (36)لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (37)قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ (38) وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (39)وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ (40)۞وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (41)إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42)إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (43)وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ (44)يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (45)وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (46)وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ (47)وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (48)إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (49)وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (50)ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ (51)كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (52)ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (53)كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ (54)إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ (55)ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ (56)فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (57)وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ (58)وَلَا

يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59)وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) ۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (61)وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ (62)وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (64)يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (65)ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (66)مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67)لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68)فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (69)يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (70)وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71)إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ ۝ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72)وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74)وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ (75).

فهرس البحث

فهرس البحث:

مقدّمة: 01

المدخلُ النظريُّ: مفاهيم تأسيسية، لمقولة العنوان ومواضيع البحث الرّئيسية.....07

أوّلًا_ الأبعاد التربويّة: 07

ثانيا_ اللسانيّات التداوليّة 15

ثالثا نظرية أفعال الكلام 24

رابعًا_ إشكالية مقاربة الخطاب القرآنيّ في ضوء آليات اللسانيّات التداوليّة..... 35

الفصل الأوّل: الأبعاد التربويّة للإخبريّات في سورتيّ الإسراء والأنفال.....40

تمهيد.....40

المبحث الأوّل: الأبعاد التربويّة للإخباريّات في سورة الإسراء.....47

المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للإخباريات في سورة الأنفال 82

خاتمة الفصل الأوّل: **83**

الفصل الثاني: الأبعاد التربويّة للطلبيات في سورتيّ الإسراء والأنفال.....85

تمهيد:.....86

المبحث الأوّل: الأبعاد التربويّة للطلبيات في سورة الإسراء:..... 87

المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للتوجيهيّات في سورة الأنفال:..... 125

خاتمة الفصل الثاني: 158

الفصل الثالث: الأبعاد التربويّة للالتزاميّات في سورتيّ الإسراء والأنفال..... 159

تمهيد:.....161

المبحث الأول: الأبعاد التربويّة للالتزاميّات في سورة الإسراء. 161

المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للالتزاميّات في سورة الأنفال: 193

خاتمة الفصل الثالث: 211

الفصل الرابع: الأبعاد التربويّة للتعبيريّات في سورتيّ الإسراء والأنفال.....212

تمهيد:.....213

المبحث الأول: الأبعاد التربويّة للتعبيريات في سورة الإسراء: 214
المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للتعبيريات في سورة الأنفال.....251
خاتمة الفصل الرابع:..... 270
الفصل الخامس: الأبعاد التربويّة للإعلانيّات في سورتيّ الإسراء والأنفال...272
تمهيد:.....273
المبحث الأول: الأبعاد التربوية للإعلانيات في سورة الإسراء 273
المبحث الثاني: الأبعاد التربويّة للإعلانيّات في سورة الأنفال 289
خاتمة الفصل الخامس: 301
خاتمة : 305
قائمة المصادر والمراجع.....310
ملاحق البحث..... 322
فهرس البحث:..... 331
ملخص البحث: 333

ملخص البحث

الملخص باللّغة العربيّة:

شكّلت نظريّة أفعال الكلام منذ نشأتها في الحقل الفلسفي الغربي تحولا جذريا في فهم اللغة لا بوصفها نسقا شكليا فحسبُ، بل بوصفها ممارسة اجتماعية وسلوكًا تداوليًّا ينتج الأثر ويحدث الفعل. ومع انتقال هذه النظريّة إلى السياق العربيّ الإسلاميّ بات من المهم إعادة النظر في الخطاب القرآنيّ بوصفه خطاب يمتلك قوّة في التأثير وقدرة على إحداث الانفعال فهو ليس مجرد كلام يتلى للتعبد والتنسك به، ولا يقصد به مجرد الإبلاغ، بل هو كلام يمكنه أن يُحدث تغييرا فكريا وسلوكيا ونفسيا في السامع، وحامل لرسالة تربويّة وبعد أخلاقي تهذبي وإصلاحي، فتتكامل فيه البنية اللغويّة مع السلوكيّة والأخلاقيّة والتربويّة، وبالتالي فهو أرضٌ خصبة لتحليل **الأفعال الكلاميّة من جهة واستنباط الأبعاد التربويّة منها** من جهة أخرى

ولمّا كان كذلك جاء هذا البحث جامعًا بين الحقل اللغويّ التداوليّ (نظرية أفعال الكلام) وبين الحقل الديني الشرعي التربويّ لدراسة وتحليل النص القرآني، فيمكن القول إنّ هذه الدراسة تندرج ضمن ما يمكن تسميته بالدراسات البينية التي تعنى بالتقاطع بين مجالين علميين مختلفين لحل إشكالية ما يؤدي إلى فهم أعمق للموضوع.

وبما أنّ القرآن الكريم يشكل نصا واسعا متنوعا فقد وقع الاختيار على سورتي الإسراء والأنفال كنموذجين تطبيقين يمثلان مرحلتين مختلفتين من مراحل التنزيل، الأولى مكية ذات طابع عقدي توجيهي، والثانية مدنيّة ذات طابع تشريعي جهادي، وذلك قصد بيان لتنوع أفعال الكلام في سياق الخطاب المكي والمدني لتحقيق أغراض تربويّة مختلفة... فجاءت هذه الرسالة تحت عنوان: الأبعاد التربويّة لأفعال الكلام في سورتي الإسراء والأنفال.

الكلمات المفتاحيّة: نظريّة أفعال الكلام، الأبعاد التربويّة، الدراسة البينيّة، سورتي الإسراء والأنفال.

Summary in English:

The theory of words of speech since its inception in the Western philosophical field has been a fundamental shift in understanding the language, not only as a formal format, but as a social practice and a deliberative behavior that produces the effect and the action occurs. With the transition of this theory to the Arab -Islamic context, it has become important to reconsider the Quranic discourse as a discourse that possesses a force in influencing and the ability to cause emotion, as it is not merely a

word that is recited to worship and tolerate it, and it is not intended to be merely reporting, but rather it is a word that can create an intellectual, behavioral and psychological change in the listener, and be pregnant with an educational message and after an ethical and reform. Linguistics with behavioral, moral and educational, and therefore it is a fertile land for analyzing verbal verbs on the one hand and deducting educational dimensions from them on the other hand And when this was this research came in combination between the deliberative linguistic field (theory of speech actions) and the educational religious field to study and analyze the Quranic text, it can be said that this study falls within what can be called inter -studies that are concerned with the intersection between two different scientific fields to solve the problem of what leads to a deeper understanding of the topic. And since the Holy Qur'an constitutes a wide variety of text, the selection of the Surahs of Isra and Anfal as two applications representing two different stages of the download stages, the first is an Meccan with a guideline contract, and the second is civil with a jihadist legislative nature, in order to explain the diversity of the actions of speech in the context of the Meccan and civil discourse to achieve different educational purposes ... so this message came under the title: For the verbs of speech in the Surahs of Isra and Anfal. Key words: theory of speech actions, educational dimensions, inter -studying, Surat Al -Isra and Anfal.